الجزء الثاني من سلسلة تمرد وحشي

لغط متمرد

نور بلاك

(نورا سليمان)

كمان دجينة هو لغة روحها فكيف لا يدعها تلحن ؟!
قيل عن لحن النسيان أنه يحفر السماء !!
جفنيها المغلقين.. ويدها التى تحتضن الأوتار وعصا الكمان..
رأسها الذى يدور بتسارع ثم يتباطأ فجأة
بوتيرة متمهلة أكثر من فعل.. لقد كانت تحفر السماء..
بالبكاء وباخراج كل مأساتها..
بشكوى حنينها وإهمالها.. بضياعها.. وبيعها.. باستغلالها وسلبها حريتها..
من أهل لم يعرفوها أبسط أمور دينها وهويتها..
كانت تتراقص بخفة فراشة على لحن لا يشبهه عزف..
بإحساس لم يشابهه إحساس..
بعالم صادق لا يكذب وإله لا يكفر به.. بلحن يودع الماضى بخجل..
ويأمل فى مستقبل آخر دون شعور باليأس ؟!

تصميم : رفيدة مناصرة

سلسلة تمرد وحشي

الجزء الثاني

لغط متمرد

Nor Black

آصف

تصميم : رفيدة مناصرة

سلسلة تمرد وحشي

الجزء الثاني

لغط متمرد

Nor Black

دجينة

تصميم: رفيدة مناصرة

تصميم : رفيدة مناصرة

لغة التمرد

نور بلاك

الروح سكنت والقلب خضع
والجسد أصبح لا يشعر ولا ينهك ...
تتسارع رقصتها تجن حركتها
ويخرج صوتها أخير بصرخة مزلزلة ذعر
عندما تجلي شيئ أمام علوها لم تستطع فهم
لم تتعرف عليه روحها الغائبة
وتصل لمعاينة وسوه ...

نوفيلا لغط متمرد

الجزء الثاني من سلسلة تمرد وحشي

بقلم: نور بلاك (نورا سليمان)

جروب خربشة للبنات فقط

https://www.facebook.com/groups/123671551591007/

لينك الجزء الاول فرشاة وحشية

http://www.mediafire.com/file/55w533ctir33x8g

الفصل الأول

قبل ثلاثة أشهر وليلة؟!

السويد غوتنبرغ

ضاحية حاجه"

كانت تمشى بنوع من الخواء في الضاحيةٍ الطويلة المرصوفة بعناية تتأمل الممر التاريخي الذي أسس منذ القرن السابع عشر.ٍ فتشعر أنه لا يحمل أية روح أو مرح فهي تمر عليه يوميا مرور الكرام فلا يلفت نظرها البيوت الخشبية التاريخية ولا المقاهي ولا المحلات التجارية والسياحية... بل هدفها محدد ٍومباشر شيئا يجعل روحها تسعد مرة أخرى... وصلت أخيرا أمام أحد المعارض الفنية... أخفضت يديها لتعلِق حقيبتها بشكل عكسي وارتسمت ابتسامة دافئة أخيرا على شفتيها قبل أن تدخل إلى جناح الآلات الموسيقية.. توجهت مباشرة نحو طاولة زجاجية مرصعة بالألماس المزيف... ترفع يدها لتمررها ببطء على المكان الذي يرقد في منتصفه كنز غالي ثمين تهفو روحها لامتلاكه بشدة.. مؤكد سيساعدها هذا الكمان بإطلاق ألحانها الخاصة —لحن التمرد والعصيان.. لحن الحرية وامتلاك حق المصير والقرار.

"إذاً... هنا تختفين مني كل يوم يا قطيطة؟!"

التفت دجينة مجفلة وهي تعود للوراء خطوة واحدة فكادتٍ أن تتعثر في الطاولة الزجاجية... فمد آصف ذراعه سريعا يلتقط خَصرها جاذبها نحوه... وضعت يدها تلقائيا على صدره وعلت أنفاسها قليلا لتعبر عن تلك المعاناة التي تعيشها في قربه... إن مظهره الأرستقراطي الدائم يضربها في مقتل... رفعت عينيها ببطء... فضرب صدرها بلا رحمة وجهه الوسيم... ابتسامته المحتوية وجذعه المشوق الأنيق وملابسه المنسقة بعناية وبدون غلطة عكسها هي تماما "هل ما زلتِ تخشينني يا قطيطة؟ كدت أن تتسببي في كارثة"

لم ترد ما زالت تحدق به، كما هو يحتوي كل جزء منها بعينه... ضحكة ساخرة من نفسه تملكته إذ لم يجذبه نوع دجينة يوما... لم تروق له الفتيات اللواتي تأخذن طريق البوهيمية في التفكير والملبس ولكنها تعجبه... يريدها... إنها تجذبه حتى وهي تطلق العنان لشعرها الأسود ليثور حول وجهها وكأنها لم تمشطه منذ فترة... ترتدي قميصا أخضر طويل تعتليه بقعة من الطعام الذي تناولته أثناء الغذاء وبنطال جينز ممزق عند الركبتين وبالطبع حقيبة من الجينز المخيط تضعها متشابكة على صدرها فتستفزه ليمزقها ويرميها بعيدا.

"هل أعجبتك الاستراحة على صدري قطتي؟"

راقبها وهي تستعيد توازنها ولسانها السليط سريعا

فاعتدلت فوق حذائها الرياضي وهي تخبره بانزعاج "هل تتبعني آصف؟ لم نتفق على هذا"

عيناه التقطت قلادتها الفضية الطويلة والتي تنتهي بدلاية على شكل قناع "فانديتا" الرمزي... ربما هو لم يعرف بعد دوافع دجينة لإرتدائه وما الذي تخفيه وراء تشبثها بذلك القناع كرمز يعبر عنها وأيضا "وردة فانديتا" التي ترسمها على ساعدها الأيمن كوشم دائم! على أية حال هو يعلم جيدا مبادئ البوهميين و يبدو أن دجينة لم تصل لسموهم الحقيقي بعد... كما يعلم تماما أن ما يعبر عنه هذا القناع ووردة الموت ما هو إلا رسالة للعالم أنها شخص غامض تفضل أن تبقي مخفية الهوية... أو ربما لا يعني إلا أنها تقاوم السلطة ،هويتها ،قيود ولادتها وإعلان لتمردها؟!!!!

مال بأناقة نحو وجهها وأمام عينيها التي توسعت بذهول ليخبرها "أنا أفعل ما يحلو لي منذ أن وافقتِ على ارتباط مصيرك بي دجينة"

وكأن مجرد إعلانه عن عقد امتلاك أخر جعل عيناها تشتعلان غضبا وثورة... تكلمت بصوت غوغائي لا يمثل أبدا تلك المهتزة المرتعبة التي وجدها في شقة جلاء وظن بها السوء يوما "لِم نتفق على هذا ابدأ... إياك أن تحاول امتلاكي يوما أو فرض ما لا أريده... أنا لم اهرب من عوني الدمنهوري لأكون أسيرة لدى أخر"

أزعجته لهجتها ولكنه سيطر على نفسه جيداً لمعرفته الجيدة بها خلال الستة أشهر التي قضاهم معها منذ أن أخذها من باريس هاربة

"هشششش... لن نعود خطوات للوراء... لن أعيد عليك كيف تتحدثين بشكل جيد وتفرقين بين البشر!"

ابتلعت دجينة ريقها فهي تعلم جيداً ما وراء كلماته التي قد يظنها الكثير مجرد حروف واهية ولكنها وحدها تعلم أنها نغمة مسيطرة على لحن نشاز خرج من بين أوتار الموسيقي الهادرة فيعيده اصف بهدوء نحو السلم الموسيقي ليجعله غير قادر على الخروج مرة أخرى عن النص... عندما لم ترد ابتسم بلطف وهو يخبرها "ما الذي تفعليه هنا ولماذا لم تنتظري لأقلك للمنزل بنفسي؟"

استدارت دجينة دون أن تجيب لتتأمل الكمان الباهظ الثمن وتداعب أوتاره بعينيها كمن يداعب حبيب مُحرم يحترق للمسه ولا يستطيع

"أيعجبك؟"سألها بصوت أجش

هزت رأسها بشعرها المشعث دون قدره لها على الإجابة...

"أريد إجابة دجينة" عاد يسألها بصرامة مسيطرة أنيقة

غرزت أصابعها في شعرها ترفعه بين يديها وكأنها تمنحه مزيد من مظهره البوهيمي حولها... ضحكت بتوتر وهي تقول "نعم جدا... أنا أدخر من راتبي لأشتريه منذ أشهر"

نظر آصف للمبلغ الموضوع وبتقييم بسيط علم أن ثمنه يحتاج من دجينة العمل لمدة عامين كاملين لديه... ولكن الكمان يستحق وهي تستحق أكثر منه بكثير...

عادت تستدير نحوه وهي تمسك حزام حقيبتها "هيا لنغادر لقد اكتفيت وأريد الذهاب للمنزل"

&&&&&&&&&

ليلاً كانت تتقلب في مخدعها دون قدرة على النوم تتذكر كل ما حدث بينها وبين آصف... لقد تبدل كل شيء بينهما بعد شهرٍ واحد منذ تهورت وعادت معه إلى هنا هاربة من بطش والدها ومحاولته المستميتة في إيجادها هو والآخر!!

لقد اقترب منها آصف إلى حدٍ خطر جداً لم تستطع أن تقاومه... لقد اكتشفت فيه روحا أخرى غير التي ظنتها ربما كانت طريقة تعارفهما خطأ فقد ظن بها أشياء بشعة من قبل ولكنه منذ أن أسكنها منزله ومنحها المأوى والحماية لم يحاول أن يطالبها بأي شيء بل أصبح يستمع إليها ويتفهما لا يمل من هياجها ومزاجها النزق ولا حتى عندما تلتزم الصمت لأيام وتعود لقوقعتها الداخلية غير سامحة لأحد بتخطيها همست "رباااه ما نهاية كل هذا وهل أنا من القوة أو الاستعداد حقا لأسلم نفسي لرجل عربي أخر؟"

هو ليس أحدهم... ليس منهم ذكرت نفسها بقسوة واضطرب قلبها كالطبول داخل أضلعها وصورته الجذابة والشديدة الأناقة تتمثل أمام عينيها بصوته اللبق وحديثه المنمق يدوي في أذنيها.. نظرته الرجولية القوية التي تثير

فيها كل الغرائز الأنثوية والتي لم تكن تعرف أنها تتواجد بداخلها تحرقها؟!

رسالة نصية أتتها على هاتفها جعلتها تنتبه من تفكيرها المشتت به "هل أنتِ مستيقظة؟"

حاولت جاهدة أن تخمد توترها وقلقها وهي تكتب "نعم... هل هناك شيء؟"

بعد أقل من دقيقة كانت تصلها منه رسالة أخرى يأمرها "افتحي باب المنزل أنا هنا"

شحب وجهها وضربات قلبها تكاد تشبه معزوفة موسيقية لأوبريت مجنون وهي تكتب "هل تدرك كم الوقت آصف؟! أنصحك بالاستدارة والتوجه إلى سيارتك مرة أخرى لأنك تعلم جيدا أن هذا من المستحيل أن يحدث!"

ابتسم على الطرف الأخر بإعجاب لن ينكره فرغم كل شيء المتمردة العنيدة ما زال يوجد في أوردتها دماء أنثى شرقية حرة "كفي عن تفكيركِ المبتذِل وافتحي الباب، أنت خطيبتي رسميا وأم أطفالي مستقبليا ومؤكد لن أفعل ما يضرك عزيزتي؟!"

لم يأتيه ردها ولكن بعد خمس دقائق كاملة فُتح الباب الخشبي للمنزل ببطء وتردد وكأنها تصارع ما بين استقباله وطرده!

أرجع رأسه للوراء ضاحكاً مما جعلها تضطرب خاصة عندما قال "ما الذي ترتديه بالله عليكِ هذا غير مشجع إطلاقا لما أتيت من شأنه"

قالت على الفور عابسة "هل أتيت لتسخر مني في منتصف الليل آصف؟ سأغلق الباب"

تأملها وهي تقف خلف الباب بمنامه قطنية متداخلة الألوان والخطوط مع بنطال متسع بخصر هابط تعلوه كنزة واسعة مهدلة الأكمام وتلوي أطرافها حول كفيها.

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يمد يده يختطفها من خلف الباب... ويجذبها لتصبح أمامه مباشرة ولم يهتم بشهقتها التي خرجت معترضة عندما سحب نفسهِ من معطفه ووضعه على كتفيها... كان يرتدي قميصا أبيضا ناصع مفتوح الأزرار وبنطال أسود من القماش... لوى معصمي القميص على ساعديه ورجع للوراء خطوة يضع قدمه على الحائط خلفه ثم قال بهدوء

"لقد منحتكِ خمسة أشهر كاملة منذ أن طلبت الزواج منكِ وأنتِ وافقتِ وأنا بصراحة عزيزتي لم أعد أستطيع الاحتمال"

عبست بالتناقض مع حمرة الخجل في وجنتيها وهي تقول من بين أسنانها "هل قطعت كل تلك المسافة من المدينة إلى هنا في ليلة عمل لكي تخبرني بأمر أعلمه؟"

لم يلف ويدور وهو يقول بثقة قاطعة باترة "بل لأخبركِ أني سأصطحبكِ غدا لإتمام زواجنا في السفارة المصرية وبعدها توثيقه هنا على مهل ما رأيكِ؟؟"

"ماذا؟ ماذا؟! هل قررت من نفسك يا آصف هذا يجعلني..."

قاطعها وهو يقول "كيف تحبين اكل التفاح؟"

فغرت فاها بذهول قبل أن تعود ملامحها للهشاشة بسرعة رهيبة فعادت بعينيه تلك القطيطة الرقيقة الهادئة الضعيفة ثم ما لبثت أن أجابته بصوت أجش "بالطريقة التي علمتني إياها!"

ابتسمت ملامحه الوسيمة بشكل جعل معدتها تتلوى داخل جسدها المسكين... راقبته وهو يقترب منها مرة أخرى يمسك طرفي معطفه يغلقهما حولها ثم قربها منه وهو يخبرها بهدوء "إذا اتبعي قلبكِ وهوى نفسكِ وتزوجيني ربما تجدين معي الكثير مما أمنحكِ إياه !"

قالت بعصبية وهي تشعر أنها مهددة بالخطر في حضوره القوي "أتزوجك لأني أحببت طريقتك في أكل التفاح؟!! هذا اغبي سبب للزواج"

قال بهدوء بينما يشدها اكثر من طرفي معطفه نحو صدره "الزواج أغبي منظومة خلقت... ولكنها الأعظم في تاريخ البشرية عزيزتي"

"نحن متناقضين تماما"

وضع شفتيه مقابل أذنها وهو يهمس بصوت جعل فؤادها يضرب بلغط مجنون متسارع عن ضرباته الطبيعية "في الاختلاف حياة وفي التناقض اكتمال... احتواء وأمان كنت تنشديه ولن تجديه بين ذراعي رجل غيري... أنتِ لي أنا دجينة"

تمتمت " أنا ما زلت أخافك"

ضحك وهو يكمل بذات الهمس "أنتِ تقارعيني بشراسةٍ... تطلقين بريتك معي دون تحفظ وأنتِ تعلمين تماما أن خوفكِ هذا ما هو إلا حماية تطلبيها مني وسأمنحكِ إياها راضيا مستمتعا"

عضت على شفتيها متذكرة صورة واحدة لا غيرها تحت أضواء برج ايفل منذ ستة أشهر! ثم عادت لتنظر لعيني اصف القوية الصلبة رغم ما يحمله من حنان بينهما فذكرت نفسها بقوة "أليس من الرائع أن تحظى بكل هذا الاهتمام منه والحب والحماية؟!! رجل على استعداد أن يمنحها العالم كله إن أرادت؟!

ولكن هي لم ترد العالم يوماً ولا حمايتهم... لم ترد إلا فنها... لم تعترف إلا بانها قادرة على الوصول لنغمة تمردها بفنها دون مساعدة أي قيد شرقي

"تزوجيني"

عاد همسه الحار يجعلها تضطرب، تتهور وتتمرد على نفسها على حلمها على قلبها الذي يداعبه آصف دون رحمة وهو يطلب ودها

مد يده يخرج من جيب بنطاله علبه صغيره باللون الأزرق المخملي وفتحها ببطء أمام عينيها التي توسعت دهشة عندما التقط "سوار" بسيط من الفضة تتعلق به لعب صغيرة دائرية الشكل ويتقاطع مع حرف "V"

همست بصوت مختنق "كيف حصلت عليها؟"

مد يده يخطف يدها الرقيقة بين يديه ليضع السوار في معصمها بتلكؤ وقال بصوته المهيمن الأجش

"بتلة الورد لفانديتا... صنعت خصيصاً من أجلكِ"

اقتربت منه ورفعت وجهها تتأمل ملامحه الوسيمة بدمائه النبيلة التي تجذب فؤادها ليقرع مثل الطبول وهي تسأله "هل من المعقول أنك تؤمن بأيقونة من هم مثلنا؟"

رفع كفه بعد أن أغلق السوار حول معصمها... وأمسك وجنتها المخملية يمسدها بكلا إصبعيه وهو يقول برقة "ربما أتحفظ على طريقة أفكاركم ولكن بالنهاية أنا أكره الظلم دجينة وأفضل أن أرى التمرد الذي يصل بكِ لهدف حقيقي"

عينيها تعلقت بعينيه في نظرة أمل أن يتفهم يوماً... ألا يجعلها تندم أو تهرب... أن تجد من يراها إنسانة حقيقية

وليس مجرد صفقة ربحية تعود بالمال ولا مجرد بوابة عبور لمن يريد أن يحصل على جنسية غربية!!

تركها آصف وهو يقرأ بوضوح صراعها المختفي من بين حدقتيها الخضراء التي تماثل تمرد قطيطة صغيرة حديثة الولادة تتخبط وهي تشذب مخالبها الناعمة دون قدرة لها على كسب مهارة الحماية أو الاصطياد ولكنها تصر على عدم الاعتراف؟!

راقبته يفتح باب سيارته ثم يعود نحوها يفتح صندوق مغلف بالورق الأخضر اللامع وهو يقول "تعلمين أني احب لون عيناكِ... قبلا كنت أكره كل ما هو أخضر حولي لذا اخترت هذا المنزل وسط الزهور... الصفراء"

اغرورقت عينيها الجميلتين بالدموع حتى شوشت الرؤية أمامها وهي تنظر لما يخرجه آصف أمام عينيها وقال "أعلم أنكِ لن تلتفتي للمجوهرات أو المال ففكرت أن هذا الكمان سيكون مهرك المناسب"

اندفعت دجينة سريعاً تلف يديها حول عنقه تتعلق فيه بتشدد ودفنت رأسها على صدره... ابتسم متفاجئا وهو يحاول أن يوازن نفسه... أسند الكمان على الصندوق الضخم دون أن يفلتها ثم عاد يلف ذراعيه حول خَصرها بقوة رافعها عن الأرض عدة سنتيمترات خرج من بين شفتيه نفس حار ملتهب وهو يقول "دجينة أنتِ تدفعيني للجنون والتهور سويا..."

همست بتحشرج"فقط احتضني أقوى يا آصف وحاول أن تنحي عقلك الشرقي الغبي جانبا الآن"

عقله الشرقي الغبي!! حسناً إن نجح في السيطرة على جسده الذي يطالب بها هادرا بجنون صارخا باسمها فقد يستطيع... ما الذي يحدث له وكيف لفتاة كدجينة لم تملك صفة واحدة مما خطط له في امرأته يوما أن تسيطر عليه بهذا الشكل كي يفعل المستحيل ليصل إليها؟!

دفن وجهه في عنقها وشفتيه تلامس نعومة بشرتها بمشاعر جمةٍ أخذ نفسا عميقا وهو يقول "غدا ستصبحين زوجتي شرعا بكل الطرق الصحيحة وبعدها أعدك ألا أكف عن احتضانكِ يوما"

&&&&&&&&

صوته كان جامداً لا حياة فيه وهو يخاطب التحري الخاص الذي كلفه أن يبحث معه عنها.. لم يكابر آصف في الاعتراف أن حمل دجينة لجنسيتها الفرنسية والتي كانت سبب نكبتها ومعانتها مع والدها يسهل لها فتح جميع الأبواب للتنقل بين بلدان أوربا بسهوله ويسر... لقد حاول أن يتتبعها حسب بطاقات الائتمان البنكية والتي قامت بسرقتها منه؟! ولكن يبدو أن خضراء العينين تملكِ بعض الذكاء إذ أنها سحبت على الفور مبلغا ماليا وقامت بالتخلص منهم... أخيرا قال "أريد عنوان المكان فورا"

رد المخبر على الطرف الأخر وقال "ليس لها عنوان ثابت سيد آصف كما أخبرتك هي تعيش في...."

قاطعة اصف بحدة "أنت ،أنا لا أريد شرحاً مطولاً ،فقط عنوان أخر مكان تواجدت فيه"

أخذ الرجل نفس عميق قبل أن يعطيه ما أراد بدقة متذكرا جنون الرجل في مطالبته يوميا بأن يكثف البحث عنها ويقوم بتوظيف كل من يستطيع مقابل أي مبلغ مالي لقد كان يبحث معهم عنها بنفسه ثلاثة أشهر دون أن يمل يوما ساعة واحدة !

ربما هو دائماً يؤدي عمله بحرفية ولا يعنيه ما قد يحدث للشخص المفقود إن وجد ولكنه بالتأكيد يشفق على تلك المسكينة مما قد تراه مع ذلك الرجل... فالغضب والوحشية التي تحتل عينيه وملامحه وهو ينطق حروف اسمها لا تبشر بالخير أبدا !!!

&&&&&&&&&

مغمضة العينين كانت تتناول بعض الطعام السريع الذي قد حصلت عليه منذ قليل... لقد حاولت أن تقتصد على قدر الإمكان ولكن مطاردة آصف لها كلفتها الكثير مما استطاعت أن تحصل عليه منه بجانب مصيبتها الخاصة التي اكتشفتها بعد مغادرتها لآصف بوقت... ارتعش فك دجينة وهي تغص مرغمة فانسابت دموع الألم من تحت أهدابها المغلقة... لم تستطع أن تتخلص من ذلك الوشم... لم تقدر أبدا أو تجرؤ على التفريط به... لقد حاولت من أجله

أن تستنجد بوالدها ليرسل لها بعض المال فرفض متهما إياها أنها جلبت له العار وإن أرادت أن تتخلص مما هي فيه يجبٍ أن تعود إليه... وهذا لن يحدث حتى وإن دفعت حياتها ثمنا... أولم تفعل الأن؟! هبطت يديها تلقائيا تحاول أن تضم معطفها حول جسدها الضئيل في محاولة مضنية للإحساس بالدفء ولكن ملابسها التي أصبحت لا تصلح للاستخدام الأدمي لم تمنحها ما أرادت... ليتها استنجدت بجلاء ولكنها تعلم أن زوجته قد تسارع وتخبر آصف عنها... كم تكره الشرقيين... كم تكره تخلفهم وظلمهم للإناث... ووضعهن في خانة الاضطهاد والتخلف أو المتاجرة!! وكم تكره خيانة آصف لها... لقد كان نسخه مٍنهم أرادها سلعة تباع وتشترى وحصل عليها بالخداع ملتفا حولها وهي التي اعتقدت بغباء انه أحبها وأنها وجدت الملاذ والوطن أخيرا والرجل الذي يفهم تمردها ونغمة روحها؟! كانت تضم بطنها بقوة هامسة "لن أسمح لهم أن يفعلوا بكِ ما فعلوه بي حتى وإن كانت حياتي الثمن"

&&&&&&&&&

بعد ساعات من البحٍث بين أزقة بارٍيس المظلمة استطاع آصف أن يلمح جسدا ضئيل منكمشا حول نفسه فوق أحد الكراسي الخشبية العامة وبجانبها أحد الحقائب والأكياس البنية الخيشية ،رباااه زوجته هو تعيش متشردة بين أزقة باريس !! ما الأقسى على رجولته هجرها إياه أم اختيارها الشوارع بديلا أفضل منه؟! ركٍن سيارته غير مهتم بمخالفة قد يتلقاها وهبط سريعا متوجها نحوها

لم يكن آصف يرى في تلك اللحظة سوى غشاءا أحمر يحجب عينيه عن رؤية شيء سوى والد امتلك من التعنتٍ والغباء ما يكفي ليصل بابنته إلى الحضيض... لم يدرك أبدا أن غباء تصرفاته قد يوصل تلك الغبية لأن ترمي بنفسها للتهلكة قطعة لحم سهلة المضغ لمن يحاول.....

حاول آصف جاهداً الهرب من الشعور بالغضب... بالتوجه إليها وإنزال عقابٍ لم تتخيله يوما بها كما توعد فور أن يراها... أخذ نفسا عميقا وتقدم نحوها ثابت الخطى جامد الملامح ومغلق الشعور تماما... أجفلت دجينة وعيناها تضيق بتكذيب واهي وهي ترى خياله الضخم بملابس سوداء أنيقة يعلوها معطف أسود طويل يتقدم نحوها... هزت رأسها بقوة وأنفاسها تتوقف داخل رئتيها... جسدها كله يرتعش رعبا وذعرا عندما تعلقت عينيها الجزعة بتلك الجمرتين الخاليتين من أي شعور!

مرتجفة مصدومة مشلولة الأطراف... جلس آصف بجانبها... لدقائق طويلة كانت تسمع أنفاسه تخرج هادئة منتظمة كانه لا يراها أو كأنها لا تعنيه كشيء مجهول مبهم لا يستحق أن يلتفت إليه

وجهها الشاحب الذي استحال لقطعة رخام ابيض لم يستطع أن يلتفت إليه وهو يقول بعد وقت بهيمنة رجولية مرعبة رغم سخريتها "عندما أمتع إحداهن في فراشي يجب أن تمنحني المقابل ،وأنتِ رغم إغراء تناولكِ كنتِ كوجبة مليئة بالدهون غير مشبعة لمتطلباتي ،لذا كان لابد أن تنتظري على مائدتي حتى أقرر أنا استبدالكِ"

الصمت كان مجيبه رغم الطعنة الحادة التي وصلت إلى وتين قلبها ،حاولت جاهدة أن تنظم أنفاسها اللاهثة و أن تحافظ على معدل لغط قلبها المتسارع

التفت لها آصف يقيم شعرها الأسود الذي شعث بسبب قلة الاهتمام ،وجهها الملطخ ببعض الأتربة وتلك الملابس المهترئة الخفيفة التي ترتديها في هذا الجو قارص البرودة... جز على أسنانه بغضب أعماه ولكن قبل أن يقدم على أية حركة ينفس بها عن غضبه كانت عينيها تلتقي بسواد عينيه برهبة وكتفيها تنحني بالتضامن مع ذراعيها تضم خَصرها بقوة تتمتم بصوت مرتجف وكأنها تدرك أنه على وشك قتلها "لو اقتربت من إحدانا سأبلغ عنك الشرطة"

عقد حاجبيه بتعبير مبهم يحاول أن يستوعب عمن تتحدث جامعة نفسها معه؟؟

فعلتها الغريزية جعلت عيناه تتوسع بصدمه وإدراك ودون تردد كان يمد يده وبحركة لا تذكر كان يسيطر على ذراعيها يلويها خلف ظهرها كاشفاً ما تحاول أن تحجبه عنه عندما فتح معطفها ظهر بطنها التي تكورت تحت ملابسها

الصدمة جعلته يتمتم مرتجفاً "يا إلهي ،هذا ابني"

كان يقر بها دون أدنى شك أو تفكير... طفله يعاني وهو مجرد نطفه مع أم تائهة مشردة تنام على الأرصفة

الصدمة، المفاجئة والتوهان جعلها تهمس باندفاع غير محسوب العواقب "ربما ،لا أذكر"

رفع آصف وجهه مجفلاً والكلمة تخترق رأسه فتسيطر على عقله الذي تحول لقنبلة نارية جعلته دونٍ تردد يرفع يده ويصفعها بقوة جعلتها تندفع للوراء قليلا ولولا يده الأخرى التي تكبلها جيدا لكانت طاحت عنه عدة مرات بينما صوته يهدر بصراخ حاد وغضب مستعر "زوجة آصف غانم لا تتحدث مثل العاهرات"

وضعت دجينة يدها على وجنتها مصعوقة ببهوت... عيناها تتخبط... لغط قلبها يتعالى بانفعال مجنون لم تستوعب دجينة حقا أنه قام بضربها... لم تستوعب حتى خيط الدماء الذي يسيل من فمها ولم تعي عينيه التي رغم براكينها كانت تتوسع بذهول... قالت بصوتٍ مختنق متخبط "لم لا؟! لقد كنت توقن بالفعل أني كذلك"

نظراته كانت تحوم حول وجهها وأنفاسه تخرج لاهثة بينما قلبها يعلو بصخب صم أذنيه... راقب أخيرا الدموع التي تتدفق من عينيها وهي تهمس "لقد رفض مساعدتي رغم إخباري له عن طفلي ورغم علمه بأني أنام على الأرصفة"

فتح آصف فمه للحظات كأنه ينوي قول شيء.. أن يستجدي جنونه أن يعود إليه... يجب أن تعاقب ويجب أن تدفع الثمن... يجب أن□أن ماذا؟! لكن همسها المتضرع ببؤس باسمه "آصف"

جعل كل شيء يخرس في عقله متذكراً كل شيء بينهما! وبدون تردد كان يسحبها إليه ليضمها إلى صدره ويحيط جسدها البارد بدفئه... دفع رأسها على المضخة الضخمة بين أضلعه فتعالت شهقات أنين من بين شفتيها وذراعيها تتشبث بصدره كأنه الحياة !بينما تخبره بوجع معاكسٍ تماما لفعلتها "كم أكرهك ،لم أكره مخلوق مثلك أبدا"

على الفور ضمها اكثر وأكثر محاولا منحها الدفء الذي تفتقده معنويا وجسديا وهو يقول محترقا "وأنا يا قطيطة؟! لم أكره امرأة مثلما كرهت تحكمكِ في لغط قلبي"

&&&&&&&&&&

بعد وقت

كانت دجينة تقف مرتجفة ضائعة لقد قاومته بكل ما تحمل من شراسة ولكنه قتلها في مهدها بسهولة... بغضبه المستعر الذي يحمل الجحيم بين طياته؟!

اقترب منها مرة أخرى وهو يمسك مقص بين أصابعه ثم وبدون أدنى اهتمام بارتجافها كان يمسك طرف ملابسها باشمئزاز ومزقها من عليها كاملة "اتركني سأبلغ عنك الشرطة"

لم يهتم ولم يبالي وهو يعود لحشر جسدها على حائط الحمام البارد ثم انحنى نحو بنطالها ليلاقي نفس مصير ملابسها العلوية... تلوت دجينة بين يديه قبل أن يتعالى

بكائها بحرقة وهي تتمسك بملابسها الداخلية الغير نظيفة على الإطلاق "أرجوك هذا يكفي آصف أنت تحاول إذلالي؟!"

لم يرفع وجهه نحوها لم يستطع وأنفاسه العنيفة تخرج ساخنه ملتهبةٍ محترقة كبركان خامد يوشك على الانفجار مدمرا كل ما حوله ولكن عينيه التي التقطت تكور بطنها عادت تحمل الألم المخلوط بوجع رجولته فعصر كفيه بتوحش وكانه يقاوم نفسه لتحطيم شيء ما... فشل أن يسيطر على أعصابه وعينيه تلمح جرح طويل يشق ركبتها من الخلف عندما استدارت تمحنه ظهرها محاوله ستر نفسها عنه... صرخ فيها بكل أحاسيس الغضب والقهر "لماذا؟؟ أخبريني سببا واحدا يجعلكِ تكسرين كل وعودكِ لي؟ أن تمسكي بشرفي على المحك وترمي نفسكِ لكلاب الطرق الضالة التي تمتلئ بها باريس؟"

لم ترد... فارتفع على عقبيه سريعاً يديرها لتواجهه يمسك بعضضها يهزها بعنف رغم تعالي إكائها العنيف قائلا من بين أسنانه بشراسة "إمنحيني سببا واحدا الآن يجعلني لا أفصل رأسكِ عن جسدكِ لأريح نفسي من الورطة التي أوقعت نفسي فيها معكِ"

أغمضت عينيها بتشدد وهي تخبره من بين بكائها الحاد بصراخ مماثل "لأنك حقير أخر اشتريتني منه بالمال عبر صفقة... فرضت عليّ رجولتك رغم رفضي إياك... أنت كاذب مدعي أخر غبي متخلف"

فتحت عينيها ببطء عندما لم يرد فقط أنفاسه العنيفة تلفحها بنيران متوهجة خطرة... صفعتها تلك النظرة الذاهلة في عينيه والتي امتلأت بالكثير من الغضب والكثير من الألم... توقعت أن يجن جنونه نحوها أن يفعل ما يهددها به ولكنه تراجع عنها سريعا جامد الملامح... عم السكون بينهما لوقت ليس بقليل وهي تراه يدور حول نفسه وكأنه اسد ضخم يقاوم نفسه أن لا ينقض على فريسة ألقوا بها داخل قفصه الآسر... التفت إليها أخيرا يشدها من ذراعيها وهو يقول بقسوة "لا أذكر أني فرضت نفسي عليكِ في أي جزء من علاقتنا الحميمة إلا في بادئ الأمر بيننا وظننته دلال أنثوي مقرف أمقته... أما عن شرائكِ صدقيني أنتِ لا تستحقين مني حتى التفسير"

ارتّدت دجينة للوراء في محاولة للهرب منه للفرار وقلبها يخفق بقوة وإحساسها بالذل والخزي يعري روحها أمامه...لم تستطع أن تفلت من قبضته عندما وضعها في حوض الاستحمام فصرخت من حرارة الماء الذي لم يعرفه جسدها منذ شهرٍ كامل! تمتمت بحرقة "أرجوك...أرجوك توقف آصف"

لم يكن يرى أمامه... مقهوراً من أفعالها فقال بجفاء "اخرسي وتقبلي ما أفعله أشعر بالقرف منكِ دجينة كيف تتحملين نفسكِ وكيف يتحمل ضميركِ ما تفعلينه بجنيني؟"

هزت رأسها وشعور من المرارة يجتاحها رفعت عينيها الجميلتين والتي أسرته يوما لتخبره بتحشرج "لهذا كنت

أخاف العودة إليك كرهتك جدا يا آصف أنت لا تفرق عنهم... لقد اشتريتني وكأني سلعة تجارية بينكم"

لم تلن ملامحه المتصلبة وهو يعود يرفعها بين يديه ثم يجبرها أن تتمدد في حوض الاستحمام وقال ببرود "اخلعي ملابسكِ المتبقية"

شهقت وهي تهز رأسها بعنف تخبره بهستيريا يائسة "لا لا لا"

وضع آصف يده على وجهه بينما يده الأخرى تستريح على خَصره حاول أن يهدئ نفسه وينظم أنفاسه وهو يراقب حالة الجنون التي دخلت فيها دجينة... هل حقا لم يعرف المرأة التي قرر أن يربط مصيره بها؟! هل أخطأ في وضع يده حول العلة الحقيقية التي تحملها روح دجينة المشوهة؟!

زفر بضيق وهو يميل ليخلع حذائه مُلحقه بجواربه ولم يهتم بخلع ملابسه الأنيقة والتي كانت قد خربت بالفعل بسبب متشردته !!توجه ناحية حوض الاستحمام ودون تردد كان يدخل معها يجلس خلفها ثم يفرد ساقيه حولها ويلف ساعديه حول خَصرها جاذبها نحوه... دوى صوته الحازم ولكنه لم يحمل اللين أبدا "اهدئي"

تعالى بكائها المرير المصاحب لأنفاسها اللاهثة فكرر بسيطرة "اهدئي دجينة من أجل الطفل"

لم تصدمه عندما رمت رأسها على صدره مطلقه أنينا طويلا "أنا لا أعرف شيء عن ابني منذ شهر... لديّ جرح في

ساقي يؤلمني وهناك أشياء تحدث لي لا استطيع تفسيرها... أنا أنا....."

صمتت وكأنها تبحث عن مبرر ما ولم تجد حُجة قوية لما فعلت... فلم تعرف ماذا تخبره؟؟ كانت تتخبط ضائعة كليا وهو لم يساعدها بأي شيء... فعل أو قول بل اكتفي بجموده وكأن كل شيء بينهما قد انطفئ... حتى وهو يمرر الإسفنجة بهدوء على جسدها ينظفه بإصرار عالما كل خباياه ثم يتركها ليفرك شعرها بالصابون جيدا... استمر في فرك جسدها وشعرها متنقلا بينهما بسلاسة مزيلا أوساخها بصمت دون أن يتفوه بكلمة وداخله يصرخ محتجا على نفسه... يصفعها بالسخرية المريرة... هو من تغاضى عن كل ما كان يراه من تناقضاتها... عن شخصية فتاة لا تناسبه... فأقل الأشياء لا تستطيع فعلها... ومنذ متى كانت تعني حياة التحرر العفونة كما يتلمس في كل جزء منها حتى أصابته بالتعفف عنها؟!

نهض مره أخرى بصمت ورفعها معه من تحت كتفيها ثم فتح رشاش المياه ليخلص جسدها من الصابون "أنا"

"اخرسي" أمرها بهدوء ونبرة خاوية بعد أن تحرك هو أولاً يخرج من الحوض وجذب منشفة قطنية كبيرة لف بها جسدها

ثم ركع على ركبتيه ومد يده من تحتها نحو باقي ملابسها الداخلية محاولا أن يخلصها منها...

كانت عاجزة عن النظر إليه... حتى وهي تشعر بقرب يده التي تستبيح أنوثتها وتهدر كرامتها... عادت للتمرد وهي تدفعه بعيدا فلم يستطع أن يقاوم نفسه وصوته يخرج عنيفا وهو يقف مره أخرى ليمسك بوجنتيها بين أصابعه وأجبرها على النظر إليه وقال ضاغط على حروفه "لا تحاولي استفزازي... لا أعتقد إنكِ تحملين كل هذا الخجل أو تخافين من استباحتكِ وإن كانت نفسي تعف عن الاقتراب منكِ من الأساس... كل ما أفعله الآن فقط من أجل طفلي هل تفهمين؟!"

راقب الأنفاس تتجاوز شفتيها بعنف بينما غشت عينيها غشاوة من المشاعر القاتلة الموجوعة والتي أعلمته أنها تتألم وأن كلامه مؤكد ذبحها للصميم لم يلتفت كثيرا لها...لم تشعر وهو يميل ليلقي باقيِ ملابسها في سلسة المهملات ثم يتوجه ليغسل يديه جيدا لم تحاول المقاومة مرة أخرى أو الاعتراض بل استسلمت بقهر وتعب خشية أن يخبرها بالمزيد ليجرحها....

قراءة سعيدة

الفصل الثاني

تمددت على الفراش منذ بضع دقائق بالفعل ودخلت في غيبوبة نوم فورية وسط الفراش الناعم والمريح الفاخر... الأغطية القطنية تحيط بها من كل مكان مشبعة أنفها برائحه عطرية ساعدتها على الاسترخاء بينما كان هو يتحدث في الهاتف بخفوت يطلب طبيب خاص ليأتي لغرفته و لم تترك عينيه جسدها الضئيل والمنهك من التعب والذي يبدو أنه وجد راحته أخيرا... تخلص من ملابسه المبتلة ثم أبدلها ببنطال أنيق حريري يعلوه قميص رمادي اللون لينتظر الطبيب... التقط منامة تخصه ثم توجه لشنطة الإسعافات الأولية في خزانة الطوارئ عاد إليها وجلس بهدوء محاولا تمالك نفسه وأعصابه قبل أن يكشف الغطاء عنها ويديرها لتنبطح على وجهها... لم تستيقظ ولم تشعر به حتى فأطلق نفسا مكتوما قبل أن يتفحص جرحها الذي كان ملتهبا بالفعل ولكنه غير متقرح على ما يبدو أنه حديث ولكن كيف حصلت عليه؟!

شرع في تطهير الجرح بمادة مطهرة جعلتها تطلق صرخة متألمة ثم عادت سريعا لغفوتها دون اعتراض أو تألم أخر...

دقائق وانتهى من تعقيم جرحها ثم وضع ضماده طبية عليه وشرع في إلباسها ملابسه لم يستطع مقاومة تمشيط جسدها بعينه متفحصا جسدها بدقة حتى يستطيع أن يطمئن أنها لم تتعرض للإساءة الجسدية؟! سترها مرة أخرى ثم جلس بجوارها ممسكا رأسه بكلا كفيه وشعور قاتم مؤلم ينحر حلقه يعجز عن جعله يأخذ قرارا واحدا ضدها أو معها...

نظر إليها زائغ النظرات وهي تغرق في وسادته وكأنها لم تنم طول عمرها... كانت تبدو في قمة الهشاشة والضعف... تستفز كل رجولته لحمايتها ،كل عاطفته لتفهمها ،كل سعة في صدره لاحتوائها... همس بشعور مغلق "لماذا لم تمنحيني الفرصة للشرح أو لمواجهتي؟ كنت أنوي منحكِ العالم والقوة التي تبحثين عنها كما فعلت مع غيرك! ...لم أكن أنوي ظلمكِ فلما ظلمتني أنتِ بتمردكِ؟!"
مد يده يلامس شعرها الرطب يبعده عن وجهها وهو يقول بصوت أجش "رباه كيف اغفر لكِ الآن؟ أخبريني من أين آتي بالقوة لمسامحتكِ ونسيان الحالة التي وجدتكِ عليها؟!"

&&&&&&&&

شتان ما بين إيمانك بقضية أو مذهب وفكر يشكل شخصك ويملأ ذاتك يجعلك تثمر وتنهض ٍوتسمو ليصل بك لبر أمانك... وشتان ما بين أن تعش حرا طليقًا لا تلتزم بمبدأ ولا تنتمي لفكر محدد! أن تَخَلّق كونا واسعا بمساحة تكفيك وحدك بقوانينك الخاصة لتعيش بداخله تتقوقع فيه دون المساس بمساحة غيرك أو التطاول وفرض نفسك عليها... وفرق بين أن تتطرف وتجذب من حولك ٍلإعصارك وطريقك المتوحش الذي يقتل دون رحمة جارفا كل من في طريقه مثله!!

كان نور الصباح قد بدأ في التسلل بخجل من النافذة الزجاجية العريضة والتي أخذت مساحة واسعة خلف فراشهم في الفندق المطل على برج ايفل مباشرة! فصنع صورة مثالية مبهجة ومنعشة للروح... لكنه كان يشعر بأنه أبعد ما يكون عن الراحة رغم أنها عادت أخيرا بين

ذراعيه وفي كنفه لم تذق عينيه طعم النوم ولم يشعر حتى جسده بالإرهاق... التفت من خلف كتفه نحو نومتها الغوغائية مثل كل ما فيها... تنام على بطنها رغم جنينها الذي يتكور هناك فوضع هو تحتها وسادة حتى تخفف ضغط جسدها على الطفل... وجهها كان مقابله فتعلقت عينيه على الجرح الخفيف أسفل فمها متذكر كلماتها السامة الوقحة وصفعته القاسية... أغمض عيناه بقوة ووجهه يعود للتصلب وهو يعتدل بعيدا عن مراقبتها... لم يندم رغم أنه تألم... رغم أنه يفهم أسبابها ولكنه لن يغفر... تذكر الطبيب الذي طلبه ليلا لفحصها وقد أتى بالفعل وأخبره أنها ظاهريا تبدو بخير حال ولكنه سينتظرهما قريبا لفحص الجنين بالأشعة وحتى يمنحها التطعيمات والحماية المناسبة... مؤكدا عليه أن يهتم بذلك الجرح والذي لم يعلم آصف حتى اللحظة كيف حصلت عليه الغبية؟!

عاد ينظر في ساعة معصمه... فأطلق زفرة تعب وهو يهمس "يجب أن نتحرك الآن فموعد الطائرة لم يتبقى عليه الكثير"

توجه إلى طاولة صغيرة ورفع طبق صغير عليه ثمرة تفاح واحدة وتوجه نحو الفراش وجلس وهو يضعه على الطاولة الجانبية للفراش... مد يده بهدوء نحو شعرها الذي يغطي وجهها وينتشر بفوضوية على الوسادة أبعده بلطف عن جبينها كاشفا وجهها وهو يقول بصوت مشدود "دجينة حان وقت استيقاظكِ"

لم ترد وتوقع هذا من نومها العميق والذي عرف منه أنها لم تذق طعم الراحة منذ لجأت للشارع واختارته بديلا عنه.

كان يقاوم نفسه بأعصاب من حديد وهو يلوي معصمي قميصه كاشفا عن ساعديه ثم عاد يمسك بأنامله أطراف جيهتها ضاغط ما بين حاجبيها وهو يقول بصوت جاف آمر "أيا كان مبررك ليس من حقكِ أن تتهربي من المواجهة بالنوم"

صوته ورائحته.. ملمس يديه ودفئه المنعكس عليها كان قريب جدا... جدا لجعلها تطفو فوق سطح غيمة من المشاعر المتناقضة أمان... حنان... خوف غريزي وثورة متمردة... يتعالى معها شريان القلب المتمرد وصخب الدماء الذي تتسارع بتدفق نحو شريانها المضطرب... رمشت بعينيها مرة واثنان إلى أن فتحتهما متوسعتين جميلتين عكستا ذلك الخضار الذي عشقه يوما... لم تقل شيئا ولم يعلق هو بشيء فقط نظراتهما لم تنقطع ما بين العتاب... اللوم... خيبة الأمل المتبادلة والضياع!!

قطعت الصمت أخيرا وقالت وعيناه لم تتنازل عن حصار عينيها "أنا جائعة"

الصمت التام هو ما قابلها للحظات ثم ما لبث أن قال بصوت خلا من التعبير "أعرف"

اعتدلت ببطء لتجلس على الفراش تواجهه فاعتدل هو الأخر ليجلس باستقامة بجسده الرياضي المشدود... لم تصدمه عندما سمعها تقول بصوت مختنق كاشف عذابها وتنازعها "أنا لا أريد الحديث ولا شرح نفسي ولا أريدك يا آصف... كما أني لم أعد أحتمل مواجهة هذا العالم القاسي وحدي... الأمر أكثر ألما مما أطيق!"

ظل آصف للحظات جالسا مكانه ينظر إليها بصمت.. مدركا حالة الضياع والتخبط التي تعانيها... كاشفا أخيرا تشوهها الحقيقي والذي كانت تخفيه عن الأعين.. دجينة لم يكن علاجها في منزل مستقر ومأوى ولم يكن في زوج

محب يمحنها كل ما تريد أو تهوى...ولا حتى مساعدتها لتجد مساحتها الخاصة بحريتها وهويتها؟؟ ربما دجينة في الظاهر وجه أخر لجلاء العاشوري ولكنهٍ يعلم الآن أنها النسخة الأكثرٍ قتامة... الأكثر تهشما والأكثر تشوه روحا... قال أخيرا بصوت سوداوي مظلم "لماذا لم تتخلصي من الطفل؟"

شحب وجهها أكثر من شحوبه بالفعل حتى تحول لقطعة من الرخام... ارتعش فمها الرقيق بالترافق مع شهقة بكاء خرجت منها بينما كفيها تهتز وهي تحيط تُكوّر بطنها الصغير وقالت "لأني لست مثلها... لن أفرط في صغيري حتى وإن كان أبوهِ قام بخداعي"

زاغت عينيها بعيدا عنه بينما همست بصوت يقطر وجعاً "أنا لست مثلها ولن أمنحك إياه حتى لو منحتني الدنيا بين يدي؟!"

أخفى آصف الألم الذي شعر به مجبراً من أجلها "تقصدين والدتك؟!"

نظرت إليه بتضارب لرد فعل عرفه فيها... كانت هدأت فجأة وقد بدت عيناها خاليتان من التعبير وكأنها عادت تحجب نفسها وتضع بينهما المسافات "نعم... أنا لست مثلها ولكن أنت مثله... برجوازي لعين... عربي يعتقد أن النساء مجرد سلعة للمتاجرة"

رغما عنه شعر بالامتعاض لعودتها لتكرر تفكيرها الغبي مثلها بعقلها المحدود... دفعته ألا يتعاطف معها وألا يهتم بسماعها وهو يمد كفه يجذب الطبق المستدير ويضعه بينهما... دون أن يعلق بشيء راقبته وهو يقطع التفاحة ببرود لنصفين ثم إلى ربعين متساويين تماما ثم وضعهم ليرصهم في الطبق لشرائح مرتبة بجانب بعضها سخرت قائلة "هل أنت مهووس؟"

"اخرسي" نطقها بهدوء دون أن يكلف نفسه الالتفات نحوها مرة أخرى... أمسك بمحرمة صغيرة ينظف يديه قبل أن يعود يلتقطٍ شريحة التفاح يتخلص من قشرتها ثم يعتدل نحوها رافعا أنامله بها نحو فمها...

نقلت بصرها بينه وبين يده بعينين متوسعتين وما زالت أثار الدموع تتعلق بأهدابها... لم يعلم تحديدا ما الحالة التي تمر بها عندما أشاحت وجهها باعتراض وهي تقول بتزمت "لا أريد"

صك على أسنانه وهو يأمرها بخشونة مقتضبة "تناوليها"

همت بإزاحة الغطاء والقفز من السرير بعيد عن مرماه بينما تقول مكررة "لا أريد... أنت لن تفرض عليّ حياتك النمطية ولا تحكماتك... إن أردت التفاح سآكله كما جميع البشر بقشره كامل اقضم منه حتى أصل لبذوره"

أمسك بمعصمها يجذبها إلى الفراش لتعود مكانها السابق بتصلب دون أن يهتز أو حتى يكلف نفسه الوقوف مثلها وقال بنبرة خشنة باردة "أنتِ ورطتِ نفسكِ معي وإن ظننتِ أن شيئا مما كان قبل أشهر قد يعود بيننا ستكونين واهمة... منذ اللحظة حتى تسلميني طفلي أنتِ ستنفذين ما أقرره أنا فقط؟!"

هبطت ببطء مكانها مرة أخرى وغريزياً لفت يدها حول صغيرها وهي تقول بصوت باهت "ماذا تعني؟!"

حشر قطعة التفاح بين شفتيها بغلظة ثم مال نحو وجهها وقال بنبرة خشنة مغتاظة قاصدا استفزازها ولا مانع من الانتقام منها "ما سمعتيه... أنتِ لست مثل أمكِ ولكن أنا شبيه والدكِ تماما... لذا ابني سيكون لي"

ساد الصمت للحظات طويلة لم يتخلله سوى صوت أنفاسها اللاهثة... كان ينظر لها بعين قاتمة فسألته بتحشرج "وأنا؟!"

أحست وكأن قلبها يكاد ينفجر بين أضلعها وكأن روحها تصارع وتكاد تقتل على يديه عندما قال بنبرة خاوية متسلطة "أنتِ لا تعنيني... تريدين الهجر والطلاق ستحصلين عليهما مع المال اللازم لتأمينكِ... أنا لن أبقي امرأة تكرهني في عصمتي وعلى كل حال أنتِ لم تناسبيني يوما دجينة وأنا كنت من الغرور أن أتحدى نفسي بتغييرك"

هتفت بحرقة "أنا لن أسمح لك بأخذ ابني"

ألمه كان لا يُطاق ولكنه أجبر نفسه على الاستمرار وهو يقول "الأمر لم يعد لديكِ فيه اختيار هناك طبيب فحصكِ بالأمس ولدي أدلة تثبت أنكِ أم غير مؤهلة لرعاية طفل لم تهتمي به أثناء حملكِ إياه"

كان يستغل جهلها وعالمها الخاص الذي حشرت نفسها فيه... ربما ضميره يؤنبه ولكنها لم تمحنه حلا أخر ليستطيع أن يسيطر على تمردها وحتى يستطيع أن يخرجها مما تحاول وضع نفسها فيه... استغل صدمتها وذهولها مما يقول ويبدو أنها لم تستوعبه فأمرها "امضغي طعامِك"

كانت عينيها اللامعتين غارقتين في الدموع وهي تنظر له بتيه مستعطف وفمها تلقائيا أخذ الأمر الذي اصدر له العقل إشارته فمضغت أخيرا الشريحة العالقة بين شفتيها.. حتى انتهت منها مد أخرى نحوها بنفس الطريقة السابقة فهمست ضائعة "لا أريد. لا أريد"

أحس بسكين يشطر قلبه نصفين بينما حواسه ترغمه على التقاط رائحتها المميزة المخالطة للتفاح الذي تمضغه شفتيها.. تلك الرائحة التي نهل منها حتى اختلطت حواسه عندما عرف معنى حبها في ليلته الوحيدة معها... تلك العاطفة التي جرفته كأنه لم يعرف امرأة قط قبلها!!

"بعض الألم يكون مريحاً عندما يمر الزمن يا قطيطة!"

كان يقف عند باب الغرفة بانضباط وثقة معهودة... ينتظرها حتى خرجت من باب الحمام لترتدي الملابس التي قام بشرائها لها ليلا من شارع الشانزليزيه القريب... خرجت منتفخة العينين أنفاسها مفجوعة من اثر البكاء وكأنها قطة وليدة وجدت نفسها بين أنياب وحش لا يرحم بعد طول مطاردة "هل الملابس تناسبكِ؟!"
هزت رأسها موافقة دون أن تنطق... ماذا تخبره؟ إنه رغم رؤيته إياها مكشوفة مرتين لا أكثر ولكنه يعرف مقاسها تماما دون غلطة...
تحرك بخفه ملتقطاً حقيبة سفر صغيرة ثم أخبرها بجفاء وهو ينظر في ساعة معصمه "إذا تحركي أمامي"
تحركت خطوتين ولكن نحو الفراش جلست على طرفه وهي ترفع وجهها المحتقن نحوه... رفع حاجبيه باستفهام؟!
شعرها كان مرفوع بعشوائية ويبدو أنها تغاضت عن تمشيطه كالعادة... وجهها كان أكثر نحولاً وشحوبا وقد أحاطت هالات سوداء عينيها الخضراوين... كانت ترتدي بنطالاً من الجينز الواسع ..وقد راعى أن يحصل عليه مخصصا للحمل وقميص واسع اخضر اللون مماثل للون عينيها... لونها المفضل والذي يناقض روحها تماما...
"أنا أتعذب وحدي"
التفت لها هذه المرة بكليته دون قدرة له على الإجابة فأكملت "لقد ظننت أني وجدت فيك المرسى... الفكرة المستقلة والوطن الخاص الذي سأرسو عليه وحدي ولكنك غدرت بي!"
اسند حقيبته مرة أخرى أرضا... وما تقوله وحده كان كافيا لحرق أحشائه وتمزقيها تمزيقا "لقد سمعتك بعد أن

تزوجنا في السفارة وأنت تحدثه لتخبره أن المال تم تحويله بعد أن تزوجتني مباشرة!"
نظرة الكراهية الخالصة التي أطلت من عينيها المحملة بالمرارة جعلت موجة من السخط تقتله من الندم لما قاله منذ ساعات "سمعتِ؟" رددها مصعوقا وقد علم أنه مهما حاول أن يوضح نفسه الآن أبدا لن تفهمه.
"أنا لا أريدك... ولكني سآتي معك... لم أحبك ولكني لن أتركك على الأقل حتى يولد هذا الطفل"
لم يقل شيئا... استمر في الاستماع إليها ووجهه الوسيم يبدو أكثر ضراوةٍ... أكثر إصرارا وعزما.
همست أخيرا" لقد أملت فيك وكم كنت غبية لأني أعلم ألا أحد منكم قادر علي مساعدتي يوما... لا أحد قادر على منحي قلبه وحبه يوما... حتى جلاء كان أول من عطف عليّ ولكنه أول من باعني عند أول منعطف طريق ولم ينظر خلفه ليرى ما وصل إليه حالي"
قال بحرقة وغضب اشتعل محملا بالغيرة بينما يقترب منها يحاوط وجهها بكلا كفيه "لا تذكريه... إياكِ ومقارنته بي... هل تعيشين دور الضحية الآن؟ لا أحد هنا غدر إلاكِ... حتى وإن كنت اشتريتكِ كما تتبجحين أخبريني هل عاملتكِ بما يسيء لكِ؟"
انخفض ليجلس على ساقيه موازيًا لجلستها بينما يقول بتصلب "أنا كنت إلى جانبكِ أخبرتكِ أني مستعد لفعل أي شيء.. أي شيء لتحصلي على سلامكِ واستقراركِ"
اهتزت عينيها وعدم الثقة يخبره بوضوح أنها لم تثق فيه من الأساس يوما "أنت حققت أكثر مخاوفي"
صمت للحظات قبل أن يفاجئها بأنامله التي انغرست بين طيات شعرها المتشابك وقال دون أن تفارق عينيه عينيها "لم يكن لدي طريقة أخرى لأحصل عليك في الحلال"

همست بتعجب رافض وصوت متحشرج "بشرائي؟!"
"لم يكن الأمر بهذا الشكل"
"ماذا كان إذا؟" سألته
ماذا عليه أن يجيبها؟ لن تفهم... ولن تستوعب أي شرح قد يخبرها إياه... ببطء رفع يده وبسطها فوق دقات قلبها الغير منتظمة وأخبرها وكأن شيء ما يقيده ليتواصل معها
"أنتِ خفقة مؤلمة تصيب شرايين القلب فتخرجه عن دقاته الطبيعية... تضخين الدماء بصخب مجنون غير متوازن متمردة على الطبيعة على دوركِ الحقيقي فتنشري الألم لكل من حولكِ. أنتِ لغطٍ يا دجينة يصعب الشفاء منه... فتركته كما هو محاولا التعايش معه ولكني لم أدرك أنكِ تجاوزتِ كونه مجرد صوت صاخب بل أصبتِ القلب بعلة!!"
الاتصال الجسدي بينهما بعِد طول فراق كأنه مد جسر بين روحيهما... راقبها مبهورا بكل تفصيل منها وهي تغمض عينيها وتميل تضع رأسها على كتفه دافنة وجهها في عنقه... تأوهت وهي تخبره "جيد... هذا أكثر من مرضي لي إذ أني لا أتعذب وحدي"
ما زالت إحدى يديه مغروسة هناك في شعرها ويده الأخرى هبطت تمسد ظهرها ببطء وهدوء إلى أن التفت حولها ليضمها إليه بتشدد ورغم تعفف نفسه الذي اجزم به كبرياء رجولته التي وعدتها بعدم النيل منها أو الاقترابٍ أبدا لكنه لم يستطع أن يقاوم ضمها... يده تحاوطها شيئا فشيئا لتدفعها أكثر وأكثر نحو صدره... رفعت ذراعيها ببطء مماثل ورغم ترددها كانت تلفها حول كتفيه تتمسك فيه.. أحست باحتضانه هذا وكأن دمائهما امتزجت سويا وكأنها عادت جزء منه... كلاهما نسي

صراعهما... هروبها منه... توعده إياها ولم يتذكرا إلا شيئاً واحداً احتياج كل منهما للراحة أخيراً...
هذا جنون تعلم وتعرف كيف تكرهه وتهرب منه وكيف الآن تستجيب له عندما دفعها عنه ببطء يزيحها نحو الفراش شيئاً فشيئاً بتمهل.. فتريح ظهرها منتظرة إياه وهو يعلوها رويداً رويداً حتى بات يشرف عليها كاملاً... لقد كان وكأنه استحال لرجل أخر في تلك اللحظة التي مد فيها أصابعه ليرفع بلوزتها عن جسدها فرفعت هي ذراعيها تلقائياً دون اعتراض حتى باتت أمامه مكشوفه ضعيفة مستسلمة وضعت كفها الرقيق نحو قلبه وكأنها تدرس نبضاته عندما همست "هل يؤلمك؟!"
ابتلع ريقه عندما قال بصوت أجش يعكس حريقه الداخلي "كوتر كمان مشدود يصارع لإطلاق نغماته فيحكمه مايسترو أوبرا لم يُقدِر صرخاته... فارضاً عليه نغمات بوق حاد متمرد لم يعرف معنى الإيقاع المتزامن يوماً!!"
عيناها الواسعتان كانتا تنظران إليه بنفس الانبهار والبراءة التي فرضت نفسها على قلبه وجسده ليلة زفافهما فلم يستطع منع نفسه أو المقاومة... ملامحه الوسيمة كانت تتلوى بألم شوق رجل أن يمتزج مرة أخرى مع امرأته... بتردد كانت ترفع يديها فوق رأسها في علامة على الاستسلام لقبول دعوته... كانت تعلم جيداً رغم هذا أنها ستندم ولكنها أرادته... رباااه هي تكرهه... تكرهه لقد هربت منه... سخطت عليه... ولكنه يبقي آصف غانم الذي دخل حياتها فلم تعد تعرف هل قلبها رأسا على عقب أم انتشلها من مصير أسوأ كان على وشك أن يتحقق ويغتالها؟!
شعرت بيديه التي تشتد بقسوة حول ركبتيها وأنفاسه التي تعالت بهدير مجنون وكأنه يصارع نفسه ما بين رفضها أو

مواصلة ما يفعل... حاولت الاعتدال بضعف وبقايا تمرد تريد رفضه قبل أن يلفظها "ابتعد... آصف"
نظرة نارية محملة بإشتياق أهوج كانت ما منحها إياها عندما انخفض موازنا نفسه على كفيه وقبلها ملتهماٍ شفتيها ومفترسها بقسوة اجتاحتها دون رحمة... متذكرا استيقاظه خالي الذراعين وورقة جافة وقحة تخبره فيها امرأته أنه كانٍ مجرد أداة لتعرف معنى عاطفته والفكرة في حد ذاتها بدلا أن توقفه... كانت أكثر من كافية لتثير جنونه ورغبته وعواطفه التي توهجت فوق جسدها البض... رائحة التفاح المنبعثة من قدها وبين شفتيها لاذع حلو وقاسي جعلت كل جنونه ينطلق وحٍواسه تغزوها دون تمهل... مٍرر كفيه فوقها بشوق محرقا بشرتها حتى ذابت فيه أخيرا تبادله العاطفة الحارة بمثلها... كان يعلم أنها أضعف من أن تقاومه أو تجاريه.. أو تضاهيه غرام ولكنه لم يستطع منع نفسه من وضع شيء من روحه في قلبها علها تقحم في عقلها أنها عادت إليه وأنه لن يسمح أبدا بتركها...

حاول أن ينظم أنفاسه وهي ترقد على صدره لينفض مشاعره المحمومة التي تبادلها معها منذ وقت قصير... انتهى بها الحال نائمة لا يعرف كيف ومتى فقط عندما حاول أن يلتقط أنفاسه صُدم بأنها أغلقت عينيها وعادت للثبات العميق... نظر آصف نحو برج ايفل الظاهر من النافذة أمامه دون أن يجرؤ أن يعٍود لتحٍليل خيانة وعده لنفسه وما فعله معها... كان شاردا تماما وهو يزيح شعرها المتهدل من فوق جبينها مرجعه للخلف محاولا أن يشبك بعضه بشيء أشبه بضفيرةٍ... ابتلع ريقهٍ وهو يتأملها دون أن يصدر منه أي شيء... مانحا نفسه وقتا للتفكير حتى يستعيد شيء

من وقِاره واستقراره النفسي والذي يبدو أنه سيحتاجه كثيرا معها.

&&&&&&&&&&

قبل عدة أشهر:

يقف منذ وقت على إطار الباب... يراقب تخبطها المعتاد وعصبِيتها وهي تطبع بعض الأوراق بتعجل ثم تلتفت سريعا لتسجل بعض الاشياء على شاشة الحاسب الآلي قبل أن تِتوقف لثانية واحدة تعقد حاجبيها بتعجب لرؤيتها شيئا ما وهي تتمتم بسخط...

أجلى آصف صوته متنحنحٍ بخشونة وهو يقول بتلاعب "يبدو أن رئيسكِ سيء جدا حتى يدفعكِ لكل هذا التوتر يوميا"...

رفعت دجينة وجهها سريعاً نحوه ناظرةً له بحقد لدقائق ثم هتفت باستنكار "وكأنك تتحدث عن شخص غيرك... أنت غير عادل بالمرة سيد آصف تعامل الجميع برفقٍ وتفهم ما عاداي"

هز آصف كتفيه بأناقة وهو يتقدم خطوة نحو مكتبها الصغير ِفي الِحجرة المنعزلة بجانب مكتبه فقد جهزها لها خِصيصا قبلا حتى لا تختِلط بالموظفين أو العمال الرجالِ وتكون تحت أنظاره دائما وقال "ربما لأنكِ فاشلة تماما دجينة فطوال الوقت أحتاج لتعديلٍ عملكِ، لذا ربما بعض القسوة قد تفلح معكِ وتتعلمين شيئا ما"

ارتبكت وهي تقول بخفوت "كما تعلم مجال دراستي بعيداً عن تلك الوظيفة تماما... على كل حال هذا يعني أنك اخيرا نفضت يدك مني وقررت طردي؟"

ابتسم وهو يلتف حول مكتبها ويده تعمل سريعاً على بعض الأزرار يكمل العمل الذي طلب منها انجازه بسهولة، مستخدما خبرة اثنتا عشرة سنة أوصلته لما هو عليه الآن من استقلال مادي وسمعة طيبة لمنتجاته في أرجاء السويد بل وامتدت تجارته لتصل الى بعض البلدان الأوربية والعربية ...استغرق الأمر منه عشر دقائق كانت تتأملهِ فيها بخجلٍ وترقبٍ يرافقه الخوف... لقد وجدت مكانا مستقرا اخيرا بعيدا عن بطش والدها ...وحماية متمثلة في هذا القابع أمامها ...فهو أصبح كلِ ما تأمله من أمان وسند بعد أن كانت ترهبه وتمقته يوما... كما وعدها!! فلتكن صادقة مع نفسها هي ليست مستعدة أبدا لفقده.

"وها قد انتهينا" قالها آصف بنبرة معتدة متفاخرة ثم اعتدل وجذب معطفها من على المقعد ليضعه فوق كتفيها... توجه نحو الطابعة يلملم عملها الذي أكمله ليضعه في أحد الملفات ثم ما لبث أن قال وهو يغمز بعينه "المطلوب منكِ انتهي أوصليه لرئيسكِ المباشر وأرجو ألا تخبريه عن المساعدة الصغيرة التي تلقيتها لا نريد أحقادا هنا"

عضت على شفتيها بخجل وهي تتناوله منه ثم قالت "هل يعني هذا أنك لن تطردني؟"

تأملها للحظات وهي تبدو منكمشةٍ على نفسها صغيرة، ضعيفة وناعمة بشكل يتناقض تماما مع تلك الهاربة التي رفضت قيد متوحش صارم أهدر آدميتها... عن تلك الأنثى التي فرضت إرادتها على الجميع حتى وهي ما زالت تتخبط... تنهد آصف مفكرا أنه يعلم جيدا أن تحت كل هذا الذعر والخوف امرأة قوية شرسة مقاتلة تخرج متى أرادت هي إظهارها...

"إن طردتكِ من هنا كيف أستطيع طردكٍ من حياتي وقد بتِ جزء هام منها لا أستطيع استئصاله يوما؟"

اضطربت دجينة وهي تبتعد عنه خطوة أخرى ...تهربت من النظر إلى عينيه وقالت بخفوت "سيد آصف أرجوك تفهم أن هذا لن يجدي نفعا معي ...أعلم أن بدايتنا لم تكن جيدة وربما صورتي آنذاك ما زالت محفورة في عقلك ولكني..."

لم يعلم أن صوته خرج صارماً مدوياً وهو يقول من بين أسنانه "أصمتي ...لا أريد الإشارة أبدا لذلك اللقاء... بل يجب أن تمحيه من عقلكِ تماما"

تحرك فؤادها مستشعره الغيرة والندم من بينٍ حديثه ثم سألته بخفوت "وأنت هل ستستطيع النسيان يوما؟!"

زفر بقوة وهو يقول بخشونة "جواب هذا السؤال يتوقف عليك أنتِ... هل تريدين نسيان وضعكِ آنذاك دجينة؟"

رفعت عينيها تنظر له من بين رموشها الكثيفة وهي تقول بهدوء "لا آصف لا أريد؟!"

ارتفع حاجبي آصف باستنكار... فأكملت دجينة "إن أردتني في حياتك كما أدعيت فيجب أن تتقبلني كما أنا بتصرفاتي، بحياتي وبكل معتقداتي وإيماني... يجب أن تفهم أني مختلفة عن كل فتيات بلدك!"

قال آصف بجمود وقد انقلبت كل ملامحه فجأة لتعود لتلك الواجهة الصارمة المخيفة التي رأتها أول مرة "ما زلتِ تحملين نفسِ الصفات يا دجينة... عربية الهوية مصرية الدماء ورغما عن أنفكِ حرة؟!"

ارتبكت للحظات ولم يصلها تماماً معنى وصفه عندما قالت "أنا لم أرى عالمكم العربي هذا إلا لعامٍ واحِد ...وما عانيته هناك لا يجعلني أبدا أرغب بهذا الشرفً بل أصر إني بدماء فرنسية خالصة."

تغير صوته المكتوم تماماً وهو يقول بلغته العربية السليمة "أنت مجرد طفلة منبهرة بشعارات حريةٍ كاذبة... فتاة تتخبط بين هويتين إحداهما خادعة تماما... لذا لن ألومكِ الآن يا دجينة بل كل عتبي على والد ترككِ للأفكار الدخيلة لتفرض نفسها على عقلكِ"

بلغتها العربية الركيكة أجابته بتهكم "والد عربي! هل تقصد هذا الرجل الذي أتى من صحراء البدو ليتزوج من فرنسية لينجب طِفلة وعندما تكبر يحاول بيعها لينتفع من جنسيتها مبررا هذا تحت شعارات واهية؟! "

جحظت عينا آصف بصدمة بينما كله يرتبك للحظات... حدق فيها بوجه شاحب وانتفض عرق بجانب فمه قبل أن يمد يده يقبض على يدها ساحبها خارج المكان وهو يقول بصوتٍ مكتوم "أعتقد أنه حان وقت التحدث عن هذا الأمر بشكل أكثر جدية... المناورة من بعيد لن تجدي نفعا معكِ"

&&&&&&&&

عندما استيقظت دجينة مرة أخرى كانت ما زالت قابعة بين ذراعيه... يديها تستند على صدره مستشعره دفئه، ساقيها محشورة بين وركيه، رأسها مدفون في نحره... كأن كل أطرافها قد فقدت حِسها الوظيفي ولدقائق طويلة كانت تجاهد للتعاطي مع ألم الخذلان من نفسها... لقد سلمت له للمرة الثانية... لن تخدع نفسها بأنه أجبرها على شيء أو أنها لم تتفاعل مع تلك العاطفة المجنونة التي لفت كلاهما... لقد كانت مخدرة العقل ضائعة وهي تستعيد كل تفصيلة مما حدث... كلماته المقهورة التي كان يهمس بها ،صوته المختنق وهو يجاهد نفسه ليمتنع عن إخبارها بمدى خوفه في بُعدِها ،اشتياقه لها وحبه الذي ملأ به كيانها من قبل ...لقد كانت تضيع معه تسلم راية تتبعها همسة متحسرة بحبها له وبخيبة أملها فيه وبكره أصبح يتملك كل جزء منها نحوه ...لا لم يكن لقاء عاشقين بل كان أشبه بمكاشفة موجعة لكل منهما ولكن لم يستطع أحدهما أن يتوقف عن بث الأخر مشاعره ...انتهى الأمر به هامسا بأذنها بحبه وبها رامية في وجهه كرهها الشديد له... رباااه ماذا فعلت ؟!!

لا تتذكر إلا وجهه المصدوم وجسده المتصلب فوقها وملامحه التي انقلبت بشكل مؤلم لا تُقرأ ولا تُفسر وهو يخبرها "على الأقل يجب عليّ شكركِ لعدم خداعي أو إيهامي بحبٍ قد أعتقده بعد ما حدث"

لم ترد... لم تستطع ولا تعرف تحديداً ماذا داهمها وهي تقاوم دمعها الذي كان ينساب... ثم أغلقت عينيها وبدلا أن تدفعه عنها هاجمها النوم مطمئنة تماما ومستريحة لرجوعها أخيرا في محيطه.

أنفاسها المتوترة مع دموع حارة عادت تغرق صدره نبهته من غفوته... فتح آصف عينيه وتوقف جسده تماما عن إبداء أي فعل حيوي يدل على استيقاظه لدقائق طويلة ظل على وضعه في احتضانها ينظر لسقف الغرفة بجمود وكأنه يحاول أن يعيد نفسه لأرضٍ الواقع ليرتب خطواته معها سيأخذ هذه المرة مسارا أخيرا في محاولة إصلاحها قبل أن....

أجفل فجأة وهو يقطع أفكاره بنفسه... وكأن الفكرة التي مرت بعقله تقهره، تكسره ...وكأن الإقرار بفشله معها يقتله، يحطمه ...هو الذي لم يذق معنى الفشل يوما... دجينة هي معركته المصيرية الحقيقية والتي لن يقبل فيها أبدا بالانهزام.

أغمض عينيه بقوة وساعده يلتف حول خَصرها، أنامله تداعب طفله ...مذكرا نفسه بقسوة أنها هي من اختارها منذ البداية لتكمله، لتعرف خبايا روحه التي يُخبئها عن

الجميع ...أنها رغماً عن أنفها امرأة حياته وأم أطفاله والتي لن يقبل بسواها لتحمل جزء منه.

اعتدل قليلاً ليواجهها ولم يمهل نفسه ليرى انفعال وجهها عندما مالٍ يسند جبينه على جبينها وللحظات طويلة. طويلة جدا ظل ممسكا بها وكأنه يُشبع روحه من اقترابها بهذا الشكل الحميمي!

لملم آصف نفسه بحسم ثم فتح عينيه أخيراً وأبعدها عنه بجفاء معاكس للضعف الذي انتابه، ملاحظا كل خلجة تخرج مضطربة منها واعتدل أخيرا ليجلس على طرف الفراش مانحها ظهره وهو يقول بصوت جاف...
"تم تعديل الخطة لن نعد للسويد"

أجفلها فتمتمت "إلى أين إذاً؟!"

أزاح الغطاء اخيراً مبتعداً وهو يرد ببرود "إلى موطنكِ مصر؟!"

الثورة التي هبت بداخلها جعلتها تتغاضى عن رؤيتها جذعه العاري أمامها وهتفت بفرنسية غاضبة "أنا بلدي وموطني هنا فرنسا ...ذلك البلد لا أعترف به وأنت لن تجبرني!"

التقط آصف المئزر المرمي على أحد المقاعد... وقال بتصلب "اهتفي كما تريدين دجينة، اعترضي كما تهوى نفسكِ ولكن بالنهاية أنتِ ستنفذين ما أريده!"

المشاعر الانسانية المتفاوتة لشخص غير مستقر عاطفياً أو حتى نفسيا لم تكن أبدا عادلة للطرف الأخر وهذا ما كانت تعاني منه دجينة تحديدا عندما وجدت فرصتها لتلقي خطيئتها في التجاوب معه وفي اشتياقها له عليه وحده ...لذا هتفت من بين أسنانها بحرقة وكأن هذا التفسير المنطقي الوحيد لما حدث، مقنعة نفسها به ومخلصة روحها من تبعات ما كان "كما عُدت لإجباري على العلاقة معك وأنت تعلم بكرهي الشديد لك ونفوري من لمسك لي؟!"

تجمدت الدماء في عروق آصف وهو يستمع لما تتحفه به من تفسير لشيء كان سيتغاضى عنه متجنبا ذكره او إحراجها به ... استدار إليها متخليا عن ارتداء المئزر ولم يدرك أن صوته خرج متشنجا "الأمر ليس لعب أطفال لتجابهيني به أو تستخدميه ورقه غبية لن تحرق أحد غيركِ... انصحكِ لمصلحتكِ لا تتلاعبي به"

وكأن عدم دفع التهمة عن نفسه منحها الشجاعة لتستمر في اتهامها اللاذع "تلك حقيقتك سيد آصف المنمق أنت همجي بفكر أحمق متخلف تعتقد أن المرأة مجرد لعبة تدفع فيها المال لتلبي كل رغباتك... غير مهتم بكرهها الشديد لكل نفس من أنفاسك؟!"

انحنى آصف نحو الفراش وأمسك بذراعيها بقسوة غارزاً أنامله في لحمها العاري وهو يقول من بين أسنانه "تفسير ذكي أخيرا... تلك هي الحقيقة أنتِ مجرد امرأة تزوجتها بمال طائل ولم تجلب عليّ إلا الوبال فأنتِ مرض عضال أحاول باستماته الشفاء منه... وحتى يحدث هذا وتلدين طفلي ستنفذين كل رغباتي كزوج ...كل ما أريده منكِ

سأحصل عليه دون موافقة أو حتى استئذان وفي أي وقت يعود لي وحدي تقديره... وضيفي على هذا أينما آمر أنا ستتواجدين؟!"

امتقع وجهها وحدقت به مصدومة ...لا لم تتوقع منه أن يقر بسهولة أن الأمر كان رغم إرادتها!! ألا يجادلها ويدافع عن نفسه!! أن يتنازل عما يفعله ليثبتٍ لها حسن نيته أو... أو ماذا؟ ما الذي أرادته من آصف تحديدا؟!

ارتسم الغضب على وجهه مدركاً ما تحاول فعله حقيقةّ ... إن كانت تريد أن تثنيه بالتمرد والعصيان فلتحلم... وإن كانت تسعى لإقناع نفسها بدفاع تضارب أفعالها وتشوه روحها إليه... فهو سيمنحها المهرب المثالي بتحمل الذنب وحده "أريدكِ أن تفهمي أني مواطن سويدي كما أنتِ فرنسية... فلا تحاولي استخدام هذا الشيءٍ ضدي ...أنتِ أضعف من أن تواجهي جبروت قد ذُقتيه سابقا مني وعرفتِ وضعكِ الحقيقي كفتاة قليلة الحيلة ٍوضيعة الأخلاق وسليطة اللسان ...نهايتكِ تعلمينها جيدا ملقاة في شوارع باريس ،متسولة ،جائعة وربما المرة القادمة مغتصبة أو أسوأ...!"

طرقع بلسانه وهو ينظر لقدها العاري بنظرات ذات مغزى!

توقف قلبها عن الخفقان وهي تحدق به ذاهلة مصفوعة بكلماته دون أن تجد قدرة على الرد.

عم الصمتٍ الثقيل بينهما لدقائق حتى استطاعت دجينة أن تقول أخيرا برهبة "أنت تحاول إخافتي ...لن تستطع فعل هذا بي أنت... أنت تُحبُني؟! لقد أخبرتني بهذا!"

أفتر جانب فمه عن ابتسامة ساخرة قبل أن يقول بقسوة "أتعلمين دجينة ما يعجبني بكِ حقيقة؟ أنكِ بريئة بالفعل عزيزتي... بريئة وحمقاء صغيرة لتدركي ببساطة أن الرجل يخبر أية أنثى بكلمات غزل وعشق واشتياق كاذب أثناء العلاقة الجسدية."

شحب وجهها وهي تهمس "أنت تكذب!"

تركها أخيراً متوجهاً لحمام الغرفة لم ترى ملامحه التي سمح لها بأن تتحرر لتعبر عن إحساسه بالغدر والتعب والمرارة ...عجز عن منع نفسهٍ أن يكمل بصوت أجش "أنا لا أكذب أبدا... ولأكن عادلا معكِ ...لديكِ خيار واحد تستطيعين به أن تتحرري مني وأن أسمح لكِ بإثبات تفردكِ واستقلاليتكِ الخادعة تلك... أن تعودي لوالدكِ؟!"

"لا"
صرختها تقريباً بجَزع وكأن الفكرة بحد ذاتها حكم بالإعدام ...ألا يعرف ما عانته على يد ذاك الرجل هناك؟ لذا لم يتردد أن يضعه بديلا مهددا إياها به.

توقف مكانه للحظة واحدة قبل أن يقول بثبات "إذاً لا بديل لكِ غيري"

أحست دجينة بالضعف بالهوان يتسلل تحت جلدها ينخر عظامها دون رحمة وهي تقول باستسلام باهت "لا بأس... أنا سأعود معك لوطنك دون مقاومة!"

قراءة سعيدة

الفصل الثالث

غوتنبرغ
قبل أشهر
أكبر مدينة للملاهي غوتنبرغ.

كان آصف يمشي بجانبها يتأملها بتعجب وهو يقول بضحكة مستنكرة "أنتِ لا تغريكِ الملاهي، لا تحبين القفز مثل الفتيات، لا تأكلين الحلوى ولا تغريكِ الشكولاتة... ما الذي تفعلينه في حياتكِ تحديدا للاستمتاع؟"

هزت كتفيها بلا معنى وهي تخبره "أعيش فقط كما يحلو لي لا أنقاد لمعايير اجتماعية ولا أحبذ أن أتبع أي نمطية"

قال آصف بتسلية "اه نسيت أنكِ بوهيمية الفكر تتبعين نهجا واحدا لا تحيدين عنه"

قالت على الفور بذهنٍ يقظ "إن كنت مهتماً حقاً بمعرفة نهجنا لن تسخر منه وتحاول وضعه في إطار ليبدو كغيره من أي فكر أو مدرسة تتقيد بنمطٍ واحد"

توقف آصف مكانه مجبرها أن تستدير إليه... تأمل عينيها الواسعتين التي تحدق فيه منتظرة سؤاله ولم يتأخر عن المجادلة الحذرة وهو يقول "إن كانت بمعاييركِ أنتِ فهي قمة التناقض."

لم يعجبها إطلاقاً ما يشير اليه ولكنها سألته "ماذا تعني؟!"

أخذ آصف نفساً عميقاً وهو يعود ليمسك بيدها فلم تمانع وهو يشدها ورائه ليجلسا هناك على مقعد من الرخام أمام بحيرة صناعية صغيرة مطلة على كنيسة الأسماك... جلست بجانبه منتظرة إجابته التي لم تتأخر كثيرا وهو يخبرها "أنتِ لا ترتدين الفساتين"

أجابته مرتبكة "هذا صحيح"

أردف "ولا تعترفين بزينة النساء ...كما أنكِ تمقتين المجوهرات وتكتفين بالفضة!"

أزاحت شعرها للوراء بتوتر وهي تخبره "نعم... ما الذي تحاول قوله؟"

قال بصوت رخيم متزن "هذا بحد ذاته نمطية... أنتِ تنقادين لفكر معين لا تستطيعين الخروج عن إطاره وتضعين نفسكِ في دائرة مغلقة لا تستطيعين التحرر منها... من أخبركِ أن الفكر البوهيمي المستقل يعني هذا؟!"

جادلته وهي تقول بقوة "هذا غير صحيح البتة أنت أرستقراطي تأتي من عالم يتعالى على البشر ...فكر نرفضه نحن وإن كانت أمثلتك تلك دليل تأخذه ضدي سأجيبك ببساطة كل ما قولته يضع المرأة في إطار نمطي مهين... فهي تتجمل لتعجب الرجل، ترتدي باهظ الأشياء لتتنافس مع أخرى حتى تعجب هذا وذاك... وكله في صالح مجتمع أحمق لا يبغي إلا مرضاة عنصرٍ واحد وضع نفسه درجة أولى منذ بدء الخليقة ومتحكما فيها معتبرا أن الأنثى

درجة دنيوية يقتصر دورها للترفيه عنه... لم يحِبها آصف على الفور بل مد يده بهدوء يلتقط كفها فاردا معصمها على ساعده وكشفه ليظهر وردة فانديتا التي تضعها كوشم رمزي لها!

ثم قال "هل تعرفين معناها الحقيقي؟!"

تغضنت ملامحها بحزن وهي تقول "لا يعجبني ما تشير إليه ولكني بالطبع أعرف وإلا ما كنت رسمتها هناك لتعبر عني؟!"

مرر آصف أنامله متتبع خطوط الرسمةٍ وهو يشرح متجنباً رد فعلها "هل تعنين أنكِ تتخذينها شعارا حتى وأنتِ تعرفين أنها كانت رمز للموت يضعها فانديتا عبر كل عملية اغتيال يقوم بها لتعبر عن الحياة الأخرى التي تنتظرهم بعد الموت"

أجفلت وهي تجذب معصمها من بين أصابعه وقالت معترضة "بالطبع لا لم أعني هذا... بل أتخذها لتعبر للعالم أني شخص مستقل ومقاوم للسلطة لا يقبل بالتهديد والوعيد ولا بفرض حياتهم عِليّ"

"أو لأنكِ شخص غامض مثلا" عاد يقولها بتسلية مغيظة.

زمت فمها بتمرد وهي تقف من جانبه تخبره "ربما...وهذا يعني ابتعد عن طريقي ولا تحاول فرض أفكارك عليّ"

نظر لعينيها مباشرة وهو يقول "أنا أناقشكِ عزيزتي بحجج وقناعة شخصية يجب أن تحترميها كما تنص مبادئ مدرستكِ البوهيمية؟!"

نظرت إليه مشوشة الذهن وقالت بتردد "أنت لا تناقش... أنت تفرض نفسك ورأيك كما تريد... لديك طريقة غريبة لتجعلني أتبعك دون تفكير رغم أني...!"

قال بهدوء وأحرف ثابتة "أنكِ ماذا دجينة... أُحب أن أسمعكِ"

تورد وجهها وهي تقول بصدمة مما يفكر به عقلها ويترجمه لسانها "أنا أخافك يا آصف... ليس ذلك الخوف المنفر الذي أهرب منه منذ سبع سنوات منذ أن تخلت عني أمي وأنا في السادسة عشر... بل خوف لذيذ محفوف بالمخاطر وكأنكِ نار تجذبني بقوة... أعلم أنها ستؤذيني ولكني أعلم جيدا أني لن أجد الدفء والأمان إلا عندما ألقي نفسي بها"

للحظات طويلة كان ذاهلاً من كلماتها... متخوف من وصفها... وسرعان ما استحال الأمر لصدمة وهو يكتشف تلك الأحاسيس التي تنمو داخله بقوة وسرعة غريبة تجاه تلك الفتاة... ثم قال بصوت أجش "هل تستوعبين ما تحاولين قوله دجينة؟!"

لاحظ أنها تحبس أنفاسها وهي تومئ برأسها وشردت عنه ببصرها غير قادرة على النظر إليه وهي تقول "أعتقد أني أخبرك بطريقة غير مباشرة أني أحبك!"

&&&&&&&&

مُرهقةٌ أنتِ... وخائفةٌ

وطويلٌ جداً... مشواري

غوصي في البحرِ... أو ابتعدي

لا بحرٌ من غيرِ دوارِ...

الحبُّ مواجهةٌ كبرى

إبحارٌ ضدَّ التيارِ... صلب وعذابٌ ودموعٌ

ورحيلٌ بينَ الأقمارِ...

يقتُلني جبنُكِ يا امرأة

تتسلى من خلفِ ستارِ...

إني لا أؤمنُ في حبٍّ...

لا يحملُ نزقَ الثوارِ...

لا يكسرُ كلَّ الأسوارِ

لا يضربُ مثلَ الإعصارِ...

آهٍ لو حبُّكِ يبلعُني

يقلعُني... مثلَ الإعصارِ...

نزار قباني

كان يتقلب منذ ساعات على فراشه دون جدوى محاولاً أن يستجدي ساعة واحدة من الراحة فيفشل تماما وصوت

خطواتها القِلقة بالغرفة الأخرى لا يساعد ...أخذ آصف نفسا عميقا وهو يعتدل ويجلس على الفراش بتعب يحني كتفيه غير قادر على تجنب نظرة الحزن التي أصبحت لا تفارق عينيها والضياع الذي يملأها منذ أن وصلا إلى أرض الوطن منذ ثلاثة أيام مضت ...لم تتمرد كما المعتاد ولم تبادله الاتهامات ...بل استسلمت تماما لما يفعله وما آلمه حقا تلك الدمعة الهاربة من عينيها وهي تتلمس جنينها على شاشة البعد الثلاثي عند الطبيبة التي أخذها اليها بالأمس ...وجعه حقا عندما كانت ترجوه أن يفسر حديثه بالفرنسية لعدم قدرتها مجاراته هو والطبيبة في الحديث الدائر بالعربية!

إنها شابة عربية مسلمة بالثالثة والعشرين من عمرها ولا تستطيع الحديث بلغتها الأم! ما الذي كان يفعله والدها أثناء تنشئتها؟! كيف لم تثُر دمائه أو ينبض قلبه تجاهها ليغرز فيها قيمه ولغته والحب الفطري لوطن تنتمي إليه.

زفر بحرقة متذكراً حديثها الخجول السابق وهي تخبره أنها لا تعرف عن العرب إلا ما درسته في مدارس فرنسا أو بعض المعلومات العامة التي يتناقلها الناس هناك وبالطبع الصورة التي تأخذها دجينة عنهم غير مشرفة على الإطلاق!

لقد أدرك آصف الآن أن دجينة لم تُربى من الأساس! وعندما يفكر بهذا لا يأخذ الأمر بمحمل سيء بل بتفسير منطقي بسيط ...فالتنازع التي عاشته والضياع الذي عانته في سن حساس جدا يجعله يتقبل بكل أسف كل ردود أفعالها... وما هو على يقين منه الآن أن ما منعها الانجرار

مُضَيعة نفسها للنهاية هو شيءٌ واحد فقط "الفطرة!" فطرة تبعتها غريزيا لِتمنعها من الانغماس في الخطيئة... مثلما اعتقد فيها يوما عندما اتهمها بعلاقة مخجلة مع جلاء!

رغماً عنه شعر بالغيرة الحارقة وبالدماء الحارة تضرب في عروقه فتتوحش ملامحه لينازع فيما بين الإقرارِ بأن جلاء أنقذها بطريقة ما ومنعها في وقت حساس جدا أنٍ تلقي بنفسها في طريق التهلكة والذي لا عودة منه ابدا! وبين شعوره بالغيرة والحقد!

&&&&&&&&&

توقف عن أفكاره عندما فُتح باب غرفته بتردد ليُطل منه وجه دجينة المرهق تناديه بدون تركيز "آصف هل أنت نائم!"

التوى فمه بابتسامة صغيرة لم يستطع مقاومتها وهو يقول بالعربية "وهذا إثبات آخر أن الجينات المصرية تؤثر فيكِ بشكلٍ فعال!"

عينيها المتوسعتين حملقت فيه بشكل مضحك وهي تقول بعربيتها الركيكة "لا أفهم"

اجتاحه شعور مبهم لم تفهمه وهو يقول بقهر "بالطبع لن تفهمي ولن تستوعبي، وهذا ما يؤلمني أكثر يا قطيطة لذا لا أعلم لمن أوجه جل غضبي"

اضطربت وهي تتراجع مرة أخرى للخلف وقالت "حسناً لا عليك ...أنا الأخرى لا أريد رؤية وجهك"

دوى صوته حازماً دون أن يكلفِ نفسه الاعتدال من مكانه وهو يقول "تعالي إلى هنا حالاً وأخبريني بالشيء الذي دفعكِ لتتنازلي وتشرفيني بوجودكِ"

تسمرت مكانها وهي تقول بفظاظة "ليس قبل أن تشرح لي ما قصدته قبل قليل"

هز رأسه أن لا فائدة مرجوة أن تفهمه يوما وقال بهدوء...
"كنت أسخر منكِ إذ أن سؤالِك هو أحد تلك الأسئلة الغبية فأنتِ ترينني مستيقظ بالفعل!"

سمحت لنفسها أن تقف أمامه وهي تقول "ربما هو فقط مقدمة أو محاولة لبدء حديث لا أجد له افتتاح مناسب"

زفر بصبر "وما هو ذلك الحديث؟"
ترددت وهي تخبره "أنا أكره هذا المكان ...أشعر فيه بعدم الأمان والطمأنينة"

دوى صوته حازماً وهو يقول "يؤسفني إخبارك أن مشاعركِ بتلك اللحظة لا تهمني بقدر شعوري أنا أنكِ لن تجرؤي على الهرب من هنا وستفكرين ملايين المرات قبل أن تخطو قدمكِ خارج باب تلك الشقة"
لم تدرك أن جفنيها توسعا بقوة وهي تتنفس بعنف فقد ضربها الإدراك للمغزى الحقيقي لوجودها هنا "هل تعني أنك أتيت بي إلى هنا فقط لتسجنني، ألا تثق بي آصف؟!"

وقف أخيراً من مكانه ليتجه لطاولة صغيرة مرتب عليها بعض أشيائه الخاصة بعناية... ثم ما لبث أن قال بأناقة يعبر عنها بكل تصرف أرستقراطي "إن صدمتكِ من الأمر مبهرة حقا وكأنكِ لم تفعليها من قبل، وإجابة على سؤالكِ بالطبع أنا لا اثق بكِ دجينة! كما أخبرتكِ أنا اتحملكِ فقط من أجل طفلي إذ أني لا أستطيع التفريط بشيء ينتمي لي ...جزء مني بكل أسف أنتِ تحملينه الآن لذا أنا مُجبر على التعامل مع شخص لا ائتمنه متمثل فيكِ!"

اغرورقت عينيها بالدموع وهي تشعر بأنها تتلاشى شيئاً فشيئا من قلب آصف وأنها فقدت كل نقاطها لديه دون رجعة... حتى أنه لم يحاول أن ينفي عن نفسه تهمة شرائها من والدها... وأنها لم تعد تعني له أكثر من امرأة أقام معها علاقة وكبلته بطفل يسكن أحشائها... لم تدرك أن صوتها كان مرتجف وهي تنازع وتعافر لتستخدم لغة عربية سليمة وهي تقول "وماذا عني؟ ألم أعد جزءا منك كما تشدقت وأخبرتني يوما؟"

هز رأسه بأسف وإحباط وهو يقول ساخراً "العفو منكِ وكأنكِ سمحتِ لي! هل أنتِ مختلة؟! لقد عبرتِ عن كرهكِ لي وعن تمردكِ على الانتماء إليّ بأكثر الطرق المهينة"

قالت سريعاً مندفعة وكأنها تنفي عن نفسها أي شعور قد يصله أن هناك جزءا صغير منها ما زال يريده، يرغبه، كاره للانفصال عنه "نعم بالطبع وماذا قد يخيل لعقلك غير هذا؟! سأذهب لبلدي فور وضعي لهذا الطفل مطالبة بالإنفصال عنك... سأمحوك من حياتي كأنك لم تمر فيها أبدا"

أظلم وجهه وظهر غضب مكتوم وهو يقول بقسوة "سيكون هذا أذكى شيء تفعلينه لأني لا أنوي أبدا تعريف طفلي

على امرأة مثلك أنانية ومتهورة ستُعرض كل دقيقة من حياته للخطر!"
"هذا يعني أنك ستربيه وحدك ليصبح نسخة أخرى همجية منكم أعتقد أنه لا يشرفني أية علاقة به!"
أدار آصف ظهره لها غير قادر أن يتعاطى مع الألم من كلامها المسموم عن مجرد جنين سكن أحشائها كان يجب أن تتمسك به وتحبه بالفطرة بالغريزة... أخيرا تماسكٍ وقال بتمعن وهدوء "هل أخبركِ أحد أني قد أكون راهبا عزيزتي لأوقف حياتي بعدكِ؟ أو عاجزا عن إيجاد امرأة متزنة كاملة تليق بي تحبني أنا وطفلي وتمنحني ما نريده ماحية ذكراكِ تماما من حياتنا؟!"
لدقيقة كاملة ظلت تنظر لظهره المسترخي تماماً... وبغضب خالص وثورة أرادت أن تجلده بمزيد من الكلام المسموم ثم سرعان ما تحول الأمر لقهر ومزيج متداخل من الذعر والحرقة وهي تهتف به "لقد قلت سابقا ألا امرأة قبلي منحتها نفسك بالكامل ...فأنا الأولى لك كما أنت الأول والأوحد لي!"
مؤكد تقلباتها النفسية ستنتهي به فاقداً لعقله تماماً... فقط لو تعلم ما يكلفه ضبط نفسه معها فاللعب على الحبال لم تكن يوما طريقته... حاول تقدير ما تعانيه من عدم اتزان ثم تأتي هرمونات الحمل فتزيدها اختلالا نفسيّ...
اعتدل مرة أخرى مواجهاً لها متأملاً لكل تفصيله منها يحفظها عن ظهر قلب ثم قال بهدوء سلس "أنا لم أقل أبدا أنكِ الوحيدة يا دجينة... بل عرفت قبلكِ الكثير والكثير جدا في الحقيقة... من تفوقكِ جمال وحنكة وثقافة... نساء بحق قد يرغب أي رجل أن يربط نفسه بهن ...فالأمر وما فيه أنه كان لديّ دائما حواجز صارمة أقيمها لنفسي مانعها

ومجاهدها ألا أنغرس في الخطيئة وألا افعل أمراً ينافي مبادئ وعادات مجتمعي ...ألا أقدم على فعل يهز عرش الرحمن فأنا كنت أخاف الله لا مجتمعكِ الاحمق ...لذا عندما أخبرتكِ أنكِ الأولى لي فقط كنت أعني الجانب الجسدي فقط!! وبعد طلاقي منكِ أمر طبيعي أن أسمح لنفسي بالارتباط بأخرى تناسب معاييري الصحيحة هذه المرة!"

ظهر الضعف المعتاد على ملامحها أخيراً وهي تخبره بهشاشة "ولكنك ستظل الأوحد يا آصِف"

لوهلة... لوهلة فقط كان عاجزاً عن استيعاب رسائلها الخفية... ما تحاول قوله!

لقد لمح عينيها الخضراوين يبرقان بعنف من بين دموعها وهي تخبره بتصلب "ولكن هذا لا يعني أني قد أسلم لك مرة أخرى وقد كشفت خبث روحك فأنا عرفتك على حقيقتك مجرد مخادع، كاذب كان يتربص بي كأفعوانٍ سام التف حولي وخدرني بنعومته حتى استطاع أخيرا لدغي فنشر سمومه بي ومن أجل ماذا؟! فقط لتأمين المدللة ابنة أخته!"

ظللت عيناه غشاوة حمراء وهو يقترب منها ليجذبها إليه بعنف ويخبرها من بين أنفاسه الغاضبة "ما الذي تحاولين فعله؟ ما الذي تهدفين إليه باتهاماتكِ المستمرة؟ لقد أخبرتكِ أني تزوجتكِ لأنني أردتكِ... لأن جزءا غبيا مني قد صدق تلك الطفولة المجروحة والمراهقة المكسورة والشابة التي وجدت نفسها بين فكي الرحى كي تباع في سوق النخاسة لمن يدفع أكثر... أحببتكِ لأني رغبت بكِ فتزوجتكِ لأمنحكِ ذاك الأمان الذي كنتِ تبحثين عنه بتخبط ثم تأتي الآن لاتهامي بالخداع؟!"

أطلقت شهقة قصيرة وهي تهتف فيه بحقد "كاذب... بل اشتريتني من نفس سوق النخاسةٍ وهذا فقط لتبعدني عن جلاء... لتقطع الطرِيق عليه كليا... لأن مدللتك تخشى أن يتركها ويفِر هاربا ٍكما فعل قبل سنوات!"
كان غاضبا... غاضبا بشدة فلم يقاوم نفسه أن ينحرها وهو يقول بتوحش "أعيدي نفسكِ لأرض الواقع من أنتِ لتنافسي آيتان؟ لتضعي نفسكِ في مقارنة معها؟ يبدو أنكِ نسيت مقدارك الحقيقي فأنتِ مجرد سلعة غبية عديمة النفع حتى ذلك المتشرد جلاء لم يرضى بكِ... فتركك بدون تردد أو مقدمات وعاد لامرأة حقيقة ...فتاة محترمة لا تسلم نفسها لأول غريب يخبرها بعض كلمات الغزل!"

رباه أما آن للألم أن يتوقِف؟! أما هناك حل لجِعل ذلك الطعن الغادر يعرف طريقا أخر غير قلبها هي دونا عن باقي البشر؟! لم تستطع أن تواجهه أكثر وأن ترى ٍعينيه الداكنتين الذابحتين لأدميتها فنكست رأسها سريعا أمامه بانكسار وتهدلت كتفيها وبين يديه خارت روح قواها المجابهة... تراجعت خطوة للوراء مفلتة نفِسها منه وهي تقول بحرقه مصدومة "أنت لم تغازلني أبدا يا آصف بل ما كان بيننا شيء أسمى من أن يوصف وأرقى من أن يُذكر بكلمات، لقد ولجت إليّ ...إلى داخلي دون حواجز أو استئذان وأنا فقط سمحت لك بالمرور عبري علك تفهم صراع نفسي والذي قد عجزت أنا عن فهمه!"

أحنى رأسه نحوها يحدق في ملامحها المجروحة التي ٍتعذبه فتجعله لا يفكر في شيء واحد إلا مد أنامله ماسحا كل هذا الحزن الساكن في عينيها... شعر آصف بقلبه يخفق

بين أضلعه ندماً تبعه اليأس وهي تعود لتهمس بضياع "علاقتنا لم تكن إلا وهما لم تسبب لي إلا مزيدا من الإذلال" وكما أتت بعاصفتها كانت تبتعد لتدخل إلى غرفتها بمزيد من خيبات الامل...

&&&&&&&&

"لماذا سُميت بكنيسة الأسماك؟"
أخذ آصف بعض الروبيان في معلقة الطبخ الخشبية وقدمه لفمها وأجابها ببساطة "فيسكيرك ...هذا اسمها منذ أن بنيت في عام ١٨٧٤ وكان الغرض منها تجربة إذا كان هيكل واحد يمكن أن يقف دون ركائز ويبدو أنها نجحت... لذا ببساطة شديدة هذا اسمها الحرفي الذي أطلقه عليها مُنشِئيها"
مالت برأسها تلتقط منه ما قدمه بوجنتين محمرتين وقالت متهربة من الحرج الذي تستشعره من تصرفاته العفوية معها "حسنا ولكن بصراحة لم أتوقع أن أراك في مكان كهذا"
فتحت ذراعيها مشيرة لمجموعة الحرفين والباعة الذين يتراصون بالأسماك المتنوعة على الجانب الأخر المقابل لهما ثم تابعت وهي تعود لتراقبه وهو يطهو بنفسه ما اختاره من أسماك بحرية متنوعة قبل أن ينتقلا للقناة المجاورة والتي يتواجد عندها طاولات عريضة بها ما يساعد على الطهي...

"أنت تتصرف بعفوية كما الجميع هنا... متنازلاً عن المطاعم الراقية والتصرفات المصقولة والتي عرفتها عنك خلال تلك الفترة البسيطة"

ابتسم آصف بهدوء وهو يضع لمساته الأخيرة على أطباقهما... ثم رفعهما بعد أن نظف مكانه بنفسه وقال بسلاسة "المكان يعتمد على الخدمة الذاتية وبما أنكِ فاشلة تماما لم أجدٍ حلا إلا أن أخدمنا بنفسي"

قالت سريعا بامتعاض "هناك مطعم غابرييل العلوي وهو مطعم يليق بك على فكرة وقد رفضت أن نذهب إليه"

تقدمها خطوتين فتبعته وعندما وصلا لمائدة صغيرة خشبيه مكسوة بمفرش حريري أبيض ..و مطلة على المجرى المائي رص عليها ما بيده من أطباق ثم أجابها "هذا يدعى الصدمة... كيف لفتاة عفوية التصرفات مثلكِ لا تهتم بالمظاهر الاجتماعية الخادعة أن تتذمر من مجرد غداء بسيط أعددته لها بنفسي بل وتريد العشاء في مطعم فاخر؟!"

صاحت فيه وهي تشوح بذراعيها "هيييي أنت! لم أقُل أبداً أني أريد العشاء في مطعم فاخر ولكن أتعجب من تصرفك"

غمز آصف بعينه وهو يلتقط بأنامله بعفوية إحدى قطع السمك وحشرها في فمها مباشرة وهو يقول "لا تجعلي المظاهر تخدعكِ يا قطيطة ربما ما أريد إظهاره للناس من تصرفات أرستقراطية اكتسبتها بالفطرة ليست أبدا حقيقتي"

قالت بفضول وهي ما زالت تمضغ الطعام "وما هي حقيقتك!"

لم يقدر أن يمنع نفسه من أن يعلقٍ "أيا كانت حقيقتي أو وجهي الآخر مؤكد لا يعجبني أبدا حديثكِ وفمكِ ممتلئ"

لم تغضب وهي تقول بنبرة عادية "هكذا أفضل عُد لحقيقتك كدت ألا أعرفك"

التف ورائها ليسحب أحد المقاعد وهو يقول بنبرة متكلفة مقصودة "سيدتي أرجو أن تنال دعوتي استحسانكِ"

ضحكت من كل قلبها وهي تفهم مداعبته ثم قالت "سأخبرك بعد أن أتذوق طهوك بكل صراحة"
كان يجلس أمامها وهو يقول بنبرة رخيمة "لا تتعجبي من بعض ما قد ترينه مني ...يوما ما أعدكِ أنكِ ستفهمين وتستطيعين موازنة حياتكِ مثلي"
قالت دجينة على الفور "العيش كشخصين متناقضين ليست موازنة بل خداع للناس والنفس!"
لن ينكر أنه معجب بفهمها لحديثه دون شرح ربما هذا أحد ما يجذبه لتلك الفتاة فأجابها بحكمة "إن الخداع يتوقف تحديدا على الفعل ...هل تلك الواجهة التي أظهرها لأحدهم تؤذيه؟! فالموازنة إلتي أقصدها أن أعيش في دائرة حياتي دون أن أؤذي أحدا أو أفرض عليه تصرفاتي أو آرائي ...أن أمنحه مساحته الشخصية كما أطالب أنا بها."
"ولكن إرضاء الناس لا يعني أن تحبس نفسك فتهدرها وتجور عليها بما لا يشبه روحك"
أخذ آصف نفسا عميقا قبل أن يقول بهدوء "إن كنا نتحدث عني أنا كحالة بحد ذاتها دعيني أخبركِ ...أنا من أردت رسم طريقي والنجاح بما أنا عليه وما ولدت به... فأنا شخص لا يجيد التعامل مع البرية ولا أحبذها كمذهب في حياتي ...قد أحن من وقت لأخر لتصرف عفوي للخروج من ذلك الشخص المصقول كما أشرتي سابقا ولكن أبدا لن أستطع أن أتبعها كنهج أو فكر"

لا يعرف ما سر تبدل حالها وهي تقول بشحوب "هذا يوصلنا لشيء واحد فقط أنا وأنت شخصين متناقضين ...لن نلتقي في طريق واحد أبدا"

سمح ليده أن تلتقط كفها على الفور وضغط على أناملها بتشدد وتمسك غير قابل للتنازل قائلا بقوة وحزم "ما كنا التقينا إن لم يكن مقدر لنا منذ بدء الخليقة طريقا واحدا ورابطا مقدس لن ينفصل ما حييت"

أصابعها المفرودة التوت لتلتف بقوة حول أنامله وهي تقول برجاء، بضعف وخوف "هل تعدني بهذا؟"
سيطر آصف على ردة فعل جسده العنيفة وتوسلها الذي أتبع اعترافها بالحب يصفعه بقوة ...يجعله يهتز هزا وأمنية وحيدة بداخله تشتعل وتحرقه ليت كان من حقه في تلك اللحظة أن يسحبها اليه ليحتضنها بقوة ممتزجا فيها ومعها عله يسكن جزء من روحه داخل روحها فيمحي تلك الوحدة والضعف والمرارة التي تسكنها!
"أعدكِ طالما في صدري نفس يتردد أنا لن أتخلى عنكِ مهما طال جنونكِ وتخبطكِ"

موسيقى ناعمة انسابت في تلك اللحظة لفرقة موسيقية تسرح على طول القناة المائية وتدور بين الناس وهم يحضرون طعامهم بأنفسهم فتمنحهم بعض السكينة أثناء تناولهم الطعام ...تركت دجينة تشابك أيديهما وعينيها تتصارع بها مشاعر مختلطة بحنين لموسيقاها التي لم تمارسها منذ وقت.
حدق آصف في ملامحها التي أشرقت مشدوها فوجهها كان أكثر أملا وعينيها الخضراوين أكثر حياة ...ملامحها الطفولية الناعمة أكثر حيوية وصوتها الناعم انساب إلى مسامعه حالما كالموسيقى وهي تخبره "العفو منك... لن أستطع المقاومة؟!"

لم يعي تماماً عما تتحدث فراقبها دون رد رغبةً لمعرفة إلى أين تتجه فتوجهت لأحد أفراد الفرقة الموسيقية تهمس له بشيءٍ ما قابله الرجل بابتسامة مرحبة وهو يناولها "الكمان" الخاص به على الفور دون نقاش...

رجع آصف بظهره على المقعد يضحك بخفوت وهز رأسه علامة لليأس وهو يراقبها تمسح يدها في بنطالها من أثر الطعام دون اكتراث كعادتها ثم تناولتها على الفور ووضعت طرف الكمان تحت ذقنها وباقيه على كتفها ثم شرعت بأخذ العصا الخاصة به ومررتها بهدوء ناعم كأنها تربت عليه وتهادنه وتطمئنه وتعرفه عليها...تغازله كأنه حبيب تبغي مرضاته قبل أن تنثر عشقها على أوتاره ثم بدأت في الامتزاج والذوبان ..جفنيها مغمضتين وشعرها الأسود الكثيف يتطاير مع كل إيماءه منها بجنون خالقا هالة من الروحانية!!!

تحفر وتحفر بموسيقاها المميزة والتي لم تتماثل أبداً مع باقي الفرقة الموسيقية ولكن دون نشاز أجبر كل الأفراد الباقين على التوقف ومراقبتها تلحن حتى وصلت عنان السماء ...

لا لم يكن وحده الذي اعتدل ليقف بإجلال أمام متمردته التي خلقت حاله من الثورة والانبهار لكل من كان يتواجد في المكان... رغم عينيه التي تعلقت بها فقط كان يستشعر الجميع الذين تركوا ما بأيديهم لينظروا لتلك السلطانة التي غزت مشاعرهم عبر لحن موسيقي لم يستمع إليه من قبل ...تعزف وتعزف بلحن يحكي الكثير من الصراع بداخلها ...تارة يتدرج بلحن حزين يجلب الدمع لعين الجميع وتارة ينخفض ليخرج من بين أوتاره حكاية الألم وكأن تلك الآلة تموت وتنطفئ بين يديها غير قادرة على النجاة ثم تعلو وتعلو بجنون مرافق للحن متوحش جالبا

لشعاع من النار ببركان ثارٍ ليقذف حممه فتصهر كل من يحاول الاقتراب ثم وأخيرا لحن أخر خرج كأنه تعويذة سحر تَجُر كل من حولها لينحني لسلطانة تعرف كيف تغازل قلوب الجمع فيسلم لها دون حول له ولا قوة!!!
تعالى التصفيق من حوله فجعل قلبه يتراقص بين أضلعه رغم أنه حافظ على واجهته الرزينة وسيطر على جسده الذي يريد أن يهرع إليها يسحبها مِن وسط الجمٍع الذي حام حولها ويدفنها بعنف عميق جدا بداخله فارضا حمايته وقيوده عليها!
فتحت عيناها بارتباك وكأن ما كانت تفعله بتلاعبها بمشاعر الجميع غير مقصود... راقبها متعاطفا وهي تبتسم بارتباك تحاول الابتعاد... تتشبث بالكمان الذي حافظ على موضعه بين ذراعيها كأنها تحتمي فيه ...عندما اقترب آصف يشق الصفوف التي حامت حولها فاجأته بأن تشبثت بذراعه مما أجفله للحظات فمد يده الأخرى يجذبها نحوه مخلصها من الكمان ومنحه للعازف ثم شكره.
ففاجأته الفرقة بالعزف الفوري لنغمة شعبية شهيرة وأحدهم يغمز بعينيه ويصيح بالسويدية "احتضنها يا رجل ... آلهة آيديا تستحق رقصة؟!"

نظر إليها فلمح بعينيها الذعر وكأن الفكرةٍ بحد ذاتها لم تكن مريحة على الإطلاق ...مما جعل شيئا بداخله يريد المشاغبة ليكمل تلك الصورة البرية التي تخرج معها ومعها هي فقط ...جذبها معه خارج الدائرة فأصبحا على الرصيف المائي مباشرة ...مال اليها يخبرها بهمس خافت "امسحي ذلك التشوش عن عينيكِ وعيشي بعض السلام معي وتذكري أنكِ من بدأتِ آيديا!"
عبست دجينة وهي تقول "لا يعجبني وصف الرجل لي"

قال آصف علِى الفور بصوت حار لم يقاومه "لقد وصف ما رأيناه جميعا يا قطيطة!"
انزلق ساعده القوي يحتضن خَصرها ويده الأخرى امتزجت مع كفها لترِفعها فوق رأسها ثم رفعها للأعلى قليلا ليدور بها... معلنا بدء الرقصة فعادت دجينة لأغلاق جفنيها وهي تتبع أوامره دون مقاومة... فقط تعيش معه حالة من السكينة عبر رقصة على الفيلون المسيطر على باقي الآلات المِوسيقية... سلمت له دون قيد دون تفكير متناسية تماما كل ما كانت تأخذه ضده وكل صراعها وتخوفها أنه مثلهم لن يتفهم حقيقتها وبراءتِها التي حافظت عليها برغبة داخلية عميقة ألا تسلم أبدا نفسها لرجل إلا إن استطاع أن ينتزع منها فؤادها و آصف غانم رغم كل شيء فعل!؟
شعرت به يضعها لتلامس الأرض أخيراً... وقدميه التي تصدر دبكة متناغمة تجبرها لتفعل مثله... يلفها حول نفسها ...فتدور وتدور إلى أن يرتطم جسدها الصِغير بصدره... فيعود لاحتضانها بقوة كأنه أصبح عاجزا عن مقاومة ضمها إليه وكأن كل الأسوار المنيعة الِتي وضعها كليهما لعدم الاقتراب أو التلامس ذابت تماما... وكيف يمنع أحدهما نفسه من الاقتراب؟ من الشعور بالآخر بعد كل ما عاشاه؟ بحق الله لقد هربت معه من الجِميع رغم أنها كانت تخشاه وترهبه... وهو لم يقدم وعودا بالحمايةِ الكلامية ولكنها كانت تعرف أنه سيفديها بروحه وأنه أبدا لن يؤذيها"

والفكرة بحد ذاتها جعلتها ترفع رأسها لتنظر عينيها لعينيه مباشرة ويدها تلتف حول خَصره وقدميها تدبك أمام قدميه جذعها يميل للوراء ليطير شعرها حول ملامحها

وتلتف أطرافها ملامسه ذراعه التي تحتضنها فتضرم نيران التملك على طول جسده... مال بجذعه نحوها وهو يقول بالعربية بصوت خشن من العاطفة الملتهبة "أنتِ نغمة شاذة محببة تخرج عن السلم الموسيقي لِتفرض نفسها على أي مغرور ظن في نفسه الكمال يوما وبدلا من أن يطوعها هي من تعيد تشذيب روحه!"

وفاق آصف من ذكراه ليعيش واقعه الحالي مستشعراً المرارة في حلقه، العجز أن يحتويها دون جلدها بالمزيد وتعذيبها بما قاله وقد دفعته هي دفعا ليفقد أعصابه ويؤذيها... تأوه وهو يسند جبهته على باب غرفتها... يستمع لها منذ وقت وهي تبكي وتبكي بحرقة... فلم يقدر أن يحافظ على تلك الواجهة القاسية أكثر بل سرعان ما ذاب كل شيء وأصبح شيئا واحدا يسيطر على عقله وهو محو الحزن عنها حتى لو كان الأمر يدفعه ليذل رجولته معها...

لم يتردد مرة أخرى وهو يفتح الباب واندفع إلى الداخل فقد جلبه الحنان المخالط للوجع من أجلها وهو يراها تتمدد على الفراش وتدفن رأسها في الوسائد لتبكي دون توقف حتى شعر أنها ستفقد أنفاسها إن استمرت على تلك الحالة. أشرف عليها بطوله يدفع أحدى يديه تحت قدها ليعدلها كي تواجهه... فتحت عينيها الخضراوين فيه وبرد فعل غريزي وكأنها اعتادت منذ الأزل كانت تندفع إلى صدره لتدفن نفسها هناك... تشبثت يديها بقميصه تلويه بين كفيها فرفعها آصف يحملها بين ذراعيه ليضمها أكثر إليه حتى لم يعد هناك مكان للمزيد... هدهدها كطفله العاصي الذي مهما أخطأ لن يستطع أن يستمر في القسوة عليه... همس بقهر وذقنه يستند على قمة رأسها "فقط لو

تفهمين! لو تُقدرين معنى اعترافي المتكرر بحبكِ ما كنتِ أقدمتِ على كسري يا دجينة!"

لم ترد بل استمرت في إغراق صدره بدموعها المنسابة... فأغمض عينيه بقوة وهو يصدر أنينا متألما قبل أن يتراجع على الفراش فاردا نفسه عليه ومُوضعها فوق جذعه... لم يحرك تكورها فوقه بل كان مكافئا تماما بقبولها لمواساته... لدقائق طويلة ظلت على حرقتها بينما اكتفى هو بضمها إليه ويده تتحرك فوق رأسها لتنحدر مربتة على ظهرها يهمس بكلمات مهدئة... حتى هدأ بكاؤها الحار أخيرا وتحول لشهقات ناعمة متقطعة.
أبعدها قليلا عنه يمددها بجانبه دون أن يفلتها من حصاره... نظر لوجهها المحمر من أثر البكاء وجفنيها المتورمين دفعت فؤاده للتضخم والاختناق بمشاعر كانت أكبر من أن يفسرها عندما قال بصوت أجش "أنا آسف على ما أسمعتكِ إياه!"
هزت رأسها هامسة "لا بأس أنت لم تقل إلا الحقيقة كعادتك دائما"
لا لم تكن أبدا تلك الحقيقة التي يراها بها! بل إن طامته الكبرى أنه يفهم ويعرف أن علتها لم تكن أبدا بيدها... وأنها أطهر من عرفه من العربيات اللواتي يكبرن ببلاد الغرب دون رقابة قوية من الأهل فيأخذن مذهب الانحلال الغربي ومعيشتهم كحياة!
أجلى حنجرته مبتلعا تلك الغصة التي تكورت في حلقه وهو يقول بصوت أجش "لم تكن الحقيقة... بل فقدت أعصابي فأذيتكِ"
ابتلعت ريقها وهي تقاوم غثيان كانت تجاهد كي لا يتمكن منها وقالت وهي تشرد بوجهها بعيدا عنه "لا بأس

لقد أعتدت على تلك الاتهامات منك ومن غيرك... الغريبٍ بالأمر أن جميعكم يضعني في صورة واحدة لا يريد أبدا تصحيحها"
لم ينتبه لجمعها بل اعتدل سريعاً يجذبها لتجلس وهو يقول بقلق ملاحظ شحوبها "هل أنتِ بخير؟"
هزت رأسها بالرفض سريعا غير قادرة على منع نفسها أكثر وسرعان ما انفجر ما كانت تكتمه مغرقة نفسها وملابسه...

تصلب جسدها عقب انتهائها غير قادرة أن ترفع رأسها به... متوقعة مزيدا من اشمئزازه نحوها ولكنه انحنى سريعا يحتضن ظهرها من الخلف ويده تمسح على شعرها ليبعده عن وجهها... وهمس بحنان وتفهم "مشكلة صغيرة... سنحلها"
همست بخزي "رباه! وكأن محاولة إذلالي لنفسي أمامك لن تتوقف... ما الذي أفعله؟!"
ارتكز آصف على ظهر السرير وهو يسحبها لتبتعد عن مكان الغثيان ثم وقفٍ وهو يضعها على الأرض ليدفعها للتوجه للحمام قائلا بهدوء "هذا طبيعي أنتِ لست المرأة الأولى ولن تكوني الأخيرة فالطبيبة أخبرتنا بالأمس ألا تتذكرين؟"
"اذكر أن كل حديثكم كان بالعربية وأنت رفضت أن تفسر لي أي شيء"
تمتم "دعيني أعالج تلك المشكلة وبعدها سأخبركِ ما تريدين إن كان ما زال لديكِ أي اهتمام بهذا الطفل"
استندت دجينة على باب الحمام وهي تقول بتهكم متعب "لقد أردت الابتعاد عنك... هربت وكنت انتهيت منك وفقدت الأمل فيك... ورغم هذا حافظت على طفلي ولم

أحاول التخلص منه وأنت تعلم سهولة هذا الأمر بأي مشفى مجاني في باريس ...وإن كان لديك أي ذرة ذكاء فستفسر هذا بأني أحب وأهتم بابني "
ضاقت عيناه وهو يقول بسأم "ليس هذا ما صرحتِ به منذ قليل... على كل حال نظفي نفسكِ وبعدها سنناقش ما تريدين دون تبادل اتهامات هذه المرة" ... وأدار ظهره على الفور غير منتظر منها اجابة.
خلع ملابسه المتسخة أولاً ثم توجه لسريرها وأزاح جميع أغطيته ثم اختفى خارج الغرفة.

&&&&&&&

ظلت دجينة لدقائق طويلة تحت الماء الجاري تسند رأسها على الجدار البارد بتعب وفكرة واحدة تدور بعقلها ما الذي تفعله هنا معه؟! بل ما الذي تريده ولما استسلمت بسهولة لكل أوامره ولم تعد لديها أية رغبة في الهروب معللة لنفسها أنها أرادت فقط حمايته من أجل طفلها ولكنها تعرف جيدا أنها ترغب بشيء أكثر من الحماية... فروحها تهفو لأكثر من وعد بأمان لصغيرها... أغمضت عينيها ألما وحديثه يتردد في أذنيها بصدى موجع... سيأخذ طفلها، سيمنح كل ما وجدته معه لامرأة أخرى راقيةٍ وهادئة حصلت على أبوين منحاها كل ما افتقدته هي يوما... امرأة مستقرة عاطفيا غير ملوثه بتاريخ مخزي... لم تتشرد ولم تلجأ لكل يد امتدت إليها دون تفكير ممنية نفسها بأنها قد تجد عند تلك اليد ما لم تحصل عليه يوما.
"ألم يقدم لكِ آصف عهوده ووعوده؟!"
واجهت نفسها بما كان وأجابتها بجرح عميق لم يشفى يوما...

"بل فعل ولكن بنفس طريقة والدكِ بيع وشراء انتقال من مالك لآخر... بماله يتحكم بكِ يخنقكِ... لسبب واحد فقط تغاضيتِ عنه بغباء -تأمين زوجة جلاء! لم يفهمها آصف كما اخبرها ولم يثق بها كفاية ليعرف أنها لم تطارد جلاء... لم يصدقها كفاية عندما أصر ليلة الزفاف أن يتأكد بنفسه من طهرها... أليس كل ما حدث بينهما تلك الليلة كان يدفع تلك الفكرة برأسها لقد كان أشبه بمهوس وهو يضع قبلاته فوق كل إنش منها وهو يعرضها لاختبار وراء اختبار ليطمئن من براءتها... ما زال صوته العنيف يهدر في أذنيها وهو يأمرها أن تنظر لعينيه وهو يمتلكها ٍوهو يدمغها به... لتعرف من رجلها لتطبع في عقلها ألا أحدا ملك براءتها إلاه ...لم يرحمها حتى وهو يشعر بتخبطها في عذرية أفكارها وذهولها الذي لم تستطع التحكم فيه كرد فعل عما كان يفعله بها...

"دجينة"
شهقت وهي ترتد للوراء ٍمحاولةٍ ستر جسٍدها من ٍنظراته... ولكنها لم تجد به إلا وجها جامدا متحكما مسيطرا لا يفسر عنه أي شيء وهو يمد يده ليغلق الماء... ويضع على كتفيها مئزر الحمام وقال "لقد أطلتِ قليلا"
هاجمته وهي تدفن يدها وتلملم الروب حولها مغلقه إياه بأصابع مرتعشة وقالت "هناك شيء يدعى الباب تستطيع أن تدق عليه لا أن تستبيح حرمتي هكذا"
يده تحركت على شعره الرطب وقد علمت منه أنه اغتسل هو الآخر في مكان ما ثم قال بنزق ساخر "هذا على أساس أنى لم أرى كل جزء منكِ سابقا؟ بالله عليكِ أخبريني هل ما زال لديكِ أي نفس للشجار والمجادلة؟"

للغرابة راقبها تخفض وجهها تداري عنه ابتسامة شقت وجهها وبالتتابع جلبت لملامحه هو الآخر الاسترخاء ثم ابتسامة هادئة قال وهو يمد يده "هل تسمحين لي بالمساعدة؟!"

قالت بمشاكسة وقحة مما جلب له صدمة "إن لم تكن تنوي استغلال الأمر كعادتك وتحويله للقاء غرامي قد أفعل"

هل أصبح قاب قوسين من فقدانه لعقله؟! فهمس وهو يمد ساعديه يرفعها من خَصرها ليخبرها بحيرة "عن نفسي ليس لدي أيةِ رغبات الآن ...ولكن إن كنت سمعتكِ تصفين ما بيننا أخيرا بأنه غرام فأنا أكثر من مرحب لتلبية ندائكِ"

امتعضت وهي تقول "هذا ما توقعته تماماً مستغل فرص... أنا لم اقصد هذا ...ما زال ما تأخذه مني هو مقابل ما دفعته"

أحنى رأسه وهو يقول بهدوء "أنا بالفعل تعبت وأسلم لكِ الراية وأرفعها وأطالب بهدنة ألتقط بها أنفاسي لأستطيع اقتلاع عينيكِ المرة القادمة على وقاحتكِ"

قالت بخفوت "إن أطعمتني قد أتنازل وأمنحك إياها!"

قراءة سعيدة

الفصل الرابع

وبعد وقت قصير كانت تجلس على المائدة في المطبخ تراقبه وهو يحضر الطعام بسلاسة... كانت تفرك يديها محاولة استجلاب بعض الدفء لنفسها وقد بقيت بمئزر الحمام ولم تستبدله وهمست بخجل "لقد حاولت أن أحضر بعض الطعام لنفسي ولكني لم أتعرف على معظم محتويات المبرد ولم أعد أطيق تناول بعض أنواع الجبن منذ أن... أمم أنت تعلم"

لم يلتفت إليها وهو يقول "تعنين فترة الوحم؟ أتفهم هذا!"

قالت ببرود "آه بالطبع أنت سيد آصف العظيم تعرف كل شيء.. كيف نسيت؟!"

نفخ بنفاذ صبر ثم قال "كفي عن محاولة استفزازي... أنا أتفهم ما تمرين به لأني عانيت منذ فترة قصيرة مع فترة حمل آيتان والتي كانت تتصل بي لتخبرني عن تلك الأشياء حتى أصابني الملل من شكواها المتكررة"

قالت سريعاً "ولِما تخبرك أنت أليس لديها آخر تستطيع أن تنتقم منه بهذا النزق الأنثوي؟!"

ضحك آصف بخفوت... ثم قال موضحاً "ولماذا قد تنتقم منه من الأساس؟"

قالت بتلقائية "لأنه المسؤول بالطبع عن وضع ذلك الطفل في أحشائها فيجب أن ينال بعضاً مما تعاني منه!"

أطفأ آصف الموقد ثم جلب طبقين ليوزع الوجبة بينهما بالتساوي ...ثم وضع أحدهما أمامها وهو يقول بتعجب "لديكِ نظرة وتفسير عجيب للأمر ...ولكن أتدرين لم يعد لديكِ أي شيء تقولينه ويصدمني!"

فكرت في كلامه للحظات ثم قالت مغيرة الموضوع "جلاء لم يعني لي يوماً أكثر من أخ ...مجرد شبيه لي فهم معاناتي... لذلك أنا لم أسعى إليه وهو لم ينظر لي أكثر من مجرد نظرة شفقة"

تقبضت يدهِ مسيطراً علىٰ أعصابه من توضيح لم يكن يحتاجه أبدا... ولكن رغماً عنه ابتسم بحزن عند إقرارها بالجزء الخاص بالشفقة! والنظرة البعيدة في عينيها تخبره بالكثير مما لم يكتشفه عنها مما تداريه بإصرار... من الوحدة والتخبط الذي يفوح منها فقال بهدوء "أنا لم أتهمكِ بعكس هذا... لذا لا أريد منكِ توضيحاً عن مشاعركِ تجاهه"

هزت كتفها وهي تقول ببساطة "بل أتهمت... هل تذكر أول لقاء لنا لقد عرضت على أن أبقى كرفيقه لفراشكِ و..."

أجفلت عندما مد أصابعه الخشنة يمسك بذقنها ببعض القوة وهو يقول من بين أسنانه "وأنا لن أذكركِ بصورتكِ آن ذاك والتي لم تمنح للخيال اختيارات أخرى... نحن انتهينا من ذكر هذا الأمر تماماً يا دجينة... ارتباطكِ باسمي وولدي الذي يسكن أحشائكِ الآن يجب أن يمنح السلام لعقلكِ موضحاً معرفتي الحقيقية بكِ!"

ومض الارتباك في عينيها... ثم قالت سريعاً "حسناً ولكن أنا احتجت أن أضع في عقلك ما كانت عليه علاقتنا!"

نظر إليها متأملاً ثم قال "أنتِ لا تدركين ما تدفعيني للشعور به عندما تربطين نفسكِ بآخر!"

نظرت له بحذر قائلة "قد أكون لا أعرف بعض العادات هنا وما يجب أن أقوله كامرأة أو امتنع عنه ولكني أفهم أن هذا يدفع إليك غيرة حارقة قد تجعلك في تلك اللحظة تريد الانقضاض عليّ وقتلي"

قال باقتضاب "ما الذي من المفترض أن أفهمه... هل تلك محاولة لإثارة غيرتي فقط!؟"

قالت بثقةٍ "بالطبع لا. لا تطمح لهذا أبداً... أنا اكرهك هل تذكر؟ إذاً لا غيرتك ولا غضبك يعنيان لي شيئاً"

أبعد يده عنها واعتدل على مقعده ينفخ أنفاسه ليهدأ وهو يتمتم "لا حول ولا قوة إلا بالله... ربي لا أسألك رد القضاء ولكني أسألك اللطف فيه"

عنينها المتوسعتين نظرت إليه بفضول وهي تسأله بعربيتها الركيكة "لم أفهم بماذا تدعو الله؟!"

كبح غيظه بصعوبة وهو يقول من بين أسنانه "أدعوه ليجرني في مصيبتي بكِ!"

أدعت البراءة وهي تقول بلوم "وهل أنا مصيبة؟ لم أتخيل أن تلك مكانتي لديك"

رفع يديه نحوها يقاومِ أصابعه المُتشنجة التي تريد خنقها وقال "فقط تناولي طعَامكِ قبل أن أرفع ذلك الصحن وألصقه بوجهكِ!"

هزت كتفيها وهي تمسك الشوكة تنظر للطعام الذي أمامها وهي تخبره "فقط لأني جائعة... ولكن ما هذا؟"

أجابها ببطء مراقب رد فعلها "فول بالطحينة وبعض أنواع الخضراوات ...خمنت أنكِ قد تُحبينه"

قربت الطعام من فمها تتذوقه بحذر وهي تسأله "هل هو طعام خاص؟ بصراحة لم أجربه من قبل"

أجابها "لا إنه طعام شعبي... ولكنه أكثر من جيد"

صمتت لبرهة وهي تغمغم باستمتاع ... فهم منه أنه أعجبها بالفعل فقال بحرص "ما حدود معرفتكِ بهنا دجينة؟ لقد أخبرتني أنكِ عشتِ لفترة بالفعل في مصر إذ لا استوعب جهلكِ بالكثير... وإن عدلت سؤالي لصيغة صحيحة... إلى أين توقف تعليم والدكِ عن دينكِ وعادات هذه البلد؟"

راقب آصف رد فعلها المضطرب وهي تسقط الشوكة رغماً عنها وانكمشت حول نفسها وقد بدت ضائعة وهي تقول "لقد... لقد أخبرتك سابقاً عن كل شيء... فلما تريد فتح جروح قد أغلقت؟!"

كان متماسكاً كلياً وهو ينحني ليلتقط ما سقط منها ويضعه بعيداً ثم سحب كفيها راغباً في مد بعض الثقة والاطمئنان وقال بهدوء "لا... لم تخبريني بكل الحقائق أنا

لا أعرف عنكِ أكثر منٍ بعض معلومات جمعتها حتى قبل معرفتي بكِ... وأنتِ دائما تتهربين مني لأعرف الأمر كله... أعتقد من حقي على الأقل أن أعرف كل ما عانت منه والدة طفلي حتى أتجنبه؟"

لم يدرك سر ملامحها التي قست فجأة وهي تقول بنبرة كره لم تكن أبدا موجهة له "أتعني أنك لن تهتم بوجوده؟ أن تعامله على أنه شيء لا يحمل أية قيمة تركته لأمه الأجنبية... تتجنبه ثم تهتم بوجوده فجأة عندما تكتشف أنه جسد يحمل شيئا ذا نفع قد يجلب لك بعض المال فتتاجر به مشتريه منها أولا ثم تقوم ببيعه لآخر دفع سعر أعلى قيمة؟ لا... رغم كل ما فعلته بي لا أعتقد أنك بهذه القسوة أو بذلك التجبر وبتلك الخِسة"

هذه المرة شحب وجه آصف فما تقوله قد ربطه بما عرفه عنها فأصابته كلماتها في الصميم، دافعة المزيد من كرهه لنفسه لما فعله من قسوة في ردود أفعاله معها ثم قال بجمود "هذا الرجل إلى أي حد آذاكِ في طفولتكِ؟"

أجفلت وهي ترفع رأسها تنظر إليه بتوتر ثم ما لبثت أن ابتسمت بارتعاشة ساخرة وهي تقولِ "إن ما يزيد قهري حصولي على طفولة طبيعية تماما مثل أية طفلة في فرنسا... دمى، رحلات... كل شيء ودلال قد تتخيل أن طفل قد يحصل عليه... حتى أني بدأت في تعلم عزف الكمان وأنا في الرابعة!"

قال بصِلابة "كيف هذا وأنتِ تقولين أنكِ كنتِ بالنسبة له شيئا بلا قيمة؟!"

قالت بقهر وهي تنظر لعينيه عله يشعر بذعرها مما يحاول إن يصل إليه "لم أذكره في أي جزء مما حصلت عليه

بطفولتي... ما لا تعرفه عن السيد عوني الشهم العظيم أنه أتى من بلاده وتعرف على أمي وتزوجها على الفور من أجل الحصول على الجنسية ثم دون أن يدرك وجد نفسه قد ابتليّ بطفلة منها... لم يكن يخطط أبدا لوجودها وتمسكت والدتي بي لسبب الله وحده يعلمه ثم توالت بينهما الأعمال المشتركة لتربطهم ببعضهما سبعة عشر عاما.. ولكن الرجل العربي لم يكتفي من تلك الزيجة التي كانت مجرد صفقة فعاد لبلده و تزوج أخرى أصغر سنا ومن نفس بلده لينجب منها هذه المرة أطفالا حقيقيين يحملون اسمه!"

قرب آصف مقعده يلصقه في مقعدها ليمسك بكفيها بين كفيه يضغط عليهم مانحها مزيدا من الدعم ودافعها لتخبره أكثر مما تداريه في قلبها ثم قال بهدوء "وأنتِ كنتِ ماذا؟ ألستِ ابنته"

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقول باختناق "اعتقدت هذا أيضا... عندما دفع مالا طائلا لأمي حتى تتنازل عني تماما... يومها انكسر كل شيء بداخلي لمعرفتي الحقيقة فما أنا بالنسبة لها إلا مجرد ورقة تأمين حتى تخرج من صفقتها مع هذا العربي دون خسارة... لكن سرعان ما أخبرت نفسي بصبر أن أبي يريدني بعد أن بذل المستحيل وتحامل على نفسه لينتزعني منها... ولكن... لكن..."

غصت بدموعها وهي تميل لتضع جبهتها على صدره مفلتة يديها منه ثم تشبثت في صدره ...هدأ آصف تماما وهو يحتضنها مانحها الجدار الذي تحتاجه وهو يقول برفق "إهدئي يمكننا تأجيل الحديث عن الأمر في وقتٍ لاحق"

هزت رأسها وهي تقول بصوت مكتوم في صدره "لا... أحتاجك أن تفهم لتدرك حقيقة ما أنا عليه!"

رفع وجهها عن صدره وأمسكه بين كفيه ثم قال "وأنا سوف أستمع لكِ ...ولكن أيا كان ما فعلاه يا دجينة لا يعني أبدا أن العيب فيكِ أو أن الخطأ بكِ"

سالت دموعها وهي تقول "لا بل تلك هي الحقيقة ...يجب أن أقر أني كائن ناقص لا رجاء من وجوده ...أنا مجرد أنثى تحمل جسد يرغب الجميع في شرائه ثم يباع لمن يدفع أكثر وبالطبع هويتي الفرنسية حلم الكثير من الناس هنا تمنحني التميز الوحيد... إذا تجردت منها أصبح لا شيء"

رباه ...وصفها لنفسها نزل على رأسه كالصاعقة قاسي، مؤلم وموجع... لقد تساءل من قبل عن نظرتها لنفسها ولكنه لم يتخيل أبدا أن تكن بهذه الوحشية وبكل هذه الوضاعة! وهو من ظن أنها ترغب بكسره!

وكيف لشيء معطوب ممزق ألا يفعلها رغماً عنه؟ لقد كانت فتاته مجرد مزهرية غالية جدا مهشمة إلى شظايا منثورة تصيب رغما عنها دون أن تدرك كل من يقترب منها بالأذى ...أيا كان ما فعلته أو تفعله دجينة مؤكد هي لم تقصد به إيذائه"

ضمها هذه المرة وإنخفض ليجلس على أرض المطبخ ساحبها معه فوضعت دجينة رأسها بتعب على ركبتيه ممدة باقي جسدها بين ساقيه التي فردها أمامه... شعر بقلبه ينقبض بين أضلعه ورائحتها الشبيهة برائحة التفاح الأخضر القاسي الذي يوهم الجميع بمرراته ولكنه يكتشف مدى هشاشته وضعفه وربما عطبه من الداخل تتخلل أنفاسه... ذبذبات نبهت كل خلية في جسده أنه لم يعد للقسوة بينهما مكان.. فيجب أن يستغل ما تقوله ويواجهه بالليين إن أراد حقا استغلال هذا الأمر ليبقيها معه بجانبه أما لذلك الطفل والمزيد من الأطفال الذين رغب فيهم

يوماً... أسبل جفنيه... إلى أي حد يبدو مثيراً للشفقة الآن وهو يستغل تشتتها وأوجاعها فقط ليبقيها معه؟ إلى أي حد هو مثير للاشمئزاز ليستغل ضعف فتاة صغيرة مذعورة وخائفة رغم جنون تمردها الخاطئ؟!

كان صوته خافتاً جدا وهو يغمغم "هذا ما وضعه في عقلكِ ليدفعكِ لاتهامي بشرائكِ؟!"

تسارعت أنفاسها وهي تدفن أظافرها في ركبته تخدشها من تحت بنطاله القطني رغما عنها وهي تقول بحرقة "أو لم تفعل؟!

لقد أخبرتك من قبل يا آصف أني هربت منه لأنه قد باعني بالفعل لرجل آخر كصفقة عمل وأنت لم تبذل الكثير وأنت توهمني بحبك وتعدني بحنانك وبالنهاية أكتشف أنك أنت الآخر سيطرت عليّ باتفاق معه!"

شعر بالحزن يغمر روحه وهو يقول بخشونة "لم أفعل ولم أعرف هذا الرجل حين عرضتٍ عليكِ مساعدتي عندما أخذتكِ من نيس ...أنا كنت خائفا يا دجينة!!"

ضحكت بمرارة وهي تقول دون أن تحاول النظر إليه "خائف من ماذا؟ الفشل في صفقتك تلك مثلا وعدم الوصول إليّ؟!"

أطلِ الحزن من عينيه وهوِ يهز رأسه نفياً وقال "لو عرفتني حقا لكنتِ أدركتِ أنني أبدا لن أهين شخصا ما حد شرائه... أنا كنت خائفا على فتاة عرفت عنها الكثير ووضعت أحكامي المسبقة.. ثم اكتشفت أنكِ مجرد طفلة أخرى مذعورة، فتاة مشتتة ضحية لأهل لم يفهموها... ضحية لوضعٍ قاسي فرض على من مثلكِ في هذا التشتت؟!"

سمحت له بأن يعدلها لتواجه عينيه التي تطل عليها من علو... كانت ترتجف بقوة وهي تقول بقهر "أنا كنت ملك لك تماما يا آصف... سلمتك قلبي ونفسي منحية كل مخاوفي وائتمنت أحد الرجال العرب والذي اتهمني بأني ساقطة... فأخبرني لماذا دفعت له المال لشرائي؟ لماذا قتلتني في الصميم؟ ما فعلته كان مدمرا مدمرا... إذ أنني أعرف الآن أنك لم تملك ذلك الحب لتدافع عني، لتؤمن بي، لتصل إلي بعيدا عنه"

صمتت لبرهة مراقبة ملامحه الخشنة التي تصلبت وعينيه التي قست وبدأت بالارتجاف ثم تابعت "لقد سمعتك أنت قلت... قلت... رباه... لقد أخبرته أن المال تم تحويله والصفقة أجريت بنجاح وبأنه لم يعد يملك سلطة على تلك البضاعة حتى ترجعها إليه بعد أن تكتفي مني!"

تجمدت أصابعه تماماً متذكراً حديث الرجل الفج الذي جعله يفقد أعصابه وكرر ما تفضل وقاله عن زوجته كأنها إحدى فتيات الليل التي تباع للانتفاع منها ثم تعاد لصاحبها لتنتقل لشخصٍ أخر يدفع فيها المزيد"

قبضة يده تكورت أمام فمه ونظر لها بعينين سوداوين... كانت المرارة مرتسمة على وجهه بوضوح وهو يقول بقهر مختنق من تحت يده "لن أستطع محو ما قلته وقتها... وما يقتلني الآن بأني لا أستطيع محو ذكرى هذا الكلام المبتذل في لحظة فقدان سيطرة ولكني لم أعني أي جزءٍ منه"

شحب وجه دجينة في رد فعل عنيفة حتى استحال لقطعة قماش بيضاء أشبه بكفن! لقد فهمت... الفتاة المضطربة الهشة كانت من الذكاء لتفهم سر ما قاله وكأنها سمعت نفس المعنى من قبل!

أعادها آصف مرغمة لتجلس أمامه مربعة قدميها... تحتضن نفسها بذراعيها متعشمة في دفء وحِماية قد تمنحها لنفسها بنفسها ولكنه لم يسمح لها أبدا... عندما دفن يديه في شعرها الكثيف ومال بجبهته لتلامس جبهتها..

"كنت أريدكِ زوجة ...أن تحملي اسمي وتمتزجي بي علّي أمنحك أخيرا بيت ووطن؛ لقد أردت تأمينكِ، لذا سأقدم علي أي شيئا وأي فعلا يمنحني ما كنت أسعى إليه!!"

قالت بتعب "وما دخل رغبتك تلك ، بالتواصل معه"

أخذ نفس عميق قبل ان يستطرد بهدوء "ما حدود معرفتكِ عن شروط الزواج في الدين الإسلامي؟!"

ضحكت بقهر من بين دموعها وقالت باستهزاء "كمعرفتي بعدد قطرات الماء في نهر السين"

"تشبيه عجيب" أخبرها بابتسامة أرتعش لها جانب فمه

أجابته بنفس الارتعاشِ "ما طرأ على عقلي الآن، أنتَ عرفت بأني جاهلة تماما لذا طلبت منك زواج مدني عندما اقترحت الزواج الديني هل تذكر؟!"

صمتت ثم قالت بتصلب وكأنها تبصق الحروف من فمها تتحفه بالمزيد مما تخبئه "ولكني أعرف أن المرأة تباع وتشترى من مالك لأخر عبر ذلك النوع الأخير من الزواج!"

هل قال إنها لن تصدمه؟! لا بل هي جعلتهِ يفقد إدراكه تماما للحظات ويفقد الحكمة والنطق أيضا!!!

تمتم بذهول "من وضع ذلك الجنون برأسكِ؟!"

قالت على الفور بغموض "لا أحد فقط كَونت وجهة نظر!"

أبعدها عنه ورفع رأسه ليأخذ نفساً عميقاً ثم آخر... حسنا الاجابة الفورية ستبدو كدفاع لن يوصله معها لشيء... أصبح يعرف أن الأمر أكبر من مجرد جدال بينهما بل تلك الفتاة لديها الكثير من الأعطاب التي تحتاج للحل بحكمة لتعرف الحقيقة بأفعال لا مجرد شعاراتٍ رنانة... لرؤيتها نماذج حقيقية بعيد عن صورة والدها تماما.

زفر آصف بقوة ثم قال ويده تخونه ليضعها على الانتفاخ الطفيف الذي يعلن عن حملها لطفله بوضوح لأية عين مجردة... يده الدافئة على بشرتها العارية جلبت لها التوتر المصحوب بإحمرار الخجل ولكن شعورا آخر عاد يغلف قلبها مرغمة شعور بالأمان والثقة التي تخونها وتعود إليه... ثم قال آصف ببطء متجنبا مشاعر كليهما المتضخمة "أخطاء البعض واستغلال الدين لا تعني بالضرورة صحة ما يصوره الغرب... إن الإسلامٍ لم يستغل المرأة يوما بلٍ وضع بعض الشروط ليكرمها أولا ثم يحمي أطفالها لاحقا... لولا زواجي منكِ كيف كنتِ ستثبتين نسب طفلكِ لي إن رفضت أنا الاعتراف به؟!"

قالت بتفكير مشوش "لا أفهم ما تحاول قوله"

قال بهدوء "سأشرح على مهل كل ما يشوشكِ بالتدريج ... لكن ما أحاول قوله الآن من وضعنا أني أجبرت على الاتصال بوالدكِ كي أستطيع الزواج منكِ ...لأن أحد شروط الزواج موافقة ولي أمركِ!"

قالت بمزيد من التشوش "لا أفهم! هذا كثير على استيعابي... وإن كان ذلك أحد الشروط فلماذا دفعت له مالا يا آصف؟ هل هذا شرط أيضا؟ لأن هذا سوف يوصلني لنتيجة ما قلته بأن..."

قاطعها وهو يقول بتوتر نصف الحقيقة مخبئ الجزء الأهم حتى الوقت المناسب!! "لا... ذلك ليس أحد الشروط ولكن هناك شيء يدعى مهر... وأباكِ طلبه مني حتى يمنحني موافقته ليصبح عقد الزواج سليم وأنا لم أملك خيارا أخر"

أخفضت رأسها وأصابعها تنقبض بمزيد من المرارة بالشعور بالدونية والخيبة "لقد باعني كالعادة مستغلا الأمر ليس إلا... أهذا ما تحاول قوله؟!"

كلماتها كانت تطعن قلبه ممزقة إياه بتوحش من أجلها... لم يستطع منحها تأكيدا للأمر حتى وهي ترفع وجهها مرة أخرى وقالت بصوت مهزوز "خيبة أملي فيك تعادل وطنا كاملا... أنت لم تحبني بما يكفي ...إذ أن إقرارك الآن أنك لم تتوانى عن شرائي تحت أي شعار لا أقتنع به ولا يساعدني أبدا!"

على كل حال هو لم يتوقع أبداً تفهمها للأمر بشكل سريع وأن تمنحه العذر لما فعل... يعلم أن الأمر حقق أكثر مخاوفها وما كانت تهرب منه لثلاث سنوات كاملة متحملة حياة التشرد والفقر والوحدة في مواجهة العالم بمفردها... ولكنه أراد تأمينها.. أرد الحصول عليها زوجة بكل الطرق الصحيحة دون أن يخون مبادئه او الأعراف والأصول التي شب عليها ..حتى وإن كانت مع خسيس نفس مثل والداها.. قال أخيرا بهدوء شديد "دعيني أمنحكِ أخر سؤال لتفكري به ولن أطلب منكِ إجابة الآن لديك فرصة حتى ولادة هذا الطفل"

تهدل جانبي فمها علامة على الحزن الشديد واليأس بينما تسمعه يقول "أنتِ تعلمين جيدا أن الخيارات كانت أمامي طوال الوقت إذ أن النساء من جاليات عربية أو حتى أجنبية كن أمامي"

نعم ..ألم تعرف؟! لقد راقبتهن طوال ستة أشهر يطاردنه تقريبا في العمل أو حتى الأماكن العامة المعروف بها والتي كان يصطحبها إليها...

أكمل بهدوء "أنا أملك مالي الخاص دجينة والذي يفوق ثروةٍ والدِاك أضعاف!! ...أملك جنسية بلد أوروبي مثلكِ تماما... إذا اخبريني ما الذي قد يدفعني لعقد صفقة أو شرائكِ وقد كنتِ ملك يديّ بالفعل؟!"

كانت عينيها تتوسع بكل كلمة تصدر عنه وقد عجزت حقا أن تجد سببا واحدا مقنعا قد يدفعه لما فعل! ربت آصف على وجنتها بحنان ثم قال "لا ترهقي عقلكِ الآن بالتفكير ما زال لديكِ خمسة أشهر لتجدي إجابة"

لقد كانت ترتجف كورقة في مهب الريح وقد اعتلى وجهها خوف مبهم لم يستطيعٍ أن يصل لأسبابه... خوف ذكرها بحوار سابق لم يكن أبدا مشابه ..حديث قتل دون رحمة كل ما تبقى منها؟!"

قال آصف بقلق "أعتقد أنكِ تحتاجين للمزيد من الراحة فالليلة كانت طويلة عليكِ ومرورك بالكثير من التوتر ليس جيدا لحالتكِ!"

همست "أعتقد هذا أيضاً"

قال بصوت أجش "لم تتناولي شيئاً وقد كنت جائعة"

قالت "لم تعد لديّ رغبة في الطعام"

وقف آصف من مكانه وساعدها على الاعتدال وهو يقول بخفوت حذر "فراشك دُمِر الأن... فهل تستطيعين قضاء الليلة معي؟!"

ابتسمت بحزن وعينيها يطفو فيها شعور غريب ثم قالت بصوت متوسل "نعم أرجوك... هذا ما كنت أسعى إليه في الأساس عندما أتيت إلى غرفتك!"

هل يقتلها الأن أم يحتضنها بقوة؟ لقد سببت لكليهما المزيد من القهر والجرح وهي بالأساس كانت تلجأ إليه... عندما أخفض نظرته الحائرة التقط ملامحها الضعيفة الهشة والضائعة وهي تقول "ذكرياتي سيئة للغاية هنا آصف... وأنا... أنا... رباه أنا لا أحصل على الأمان إلا بين ذراعيك، لا أشعر بالدفء إلا عندما تحيطني أنفاسك!"

أغمض عينيه بقوة وهو يشعر بكل خلية في جسده تئن متألمة مطالبة بها... لم يستطع أن يسيطر على نفسه وهو يسحبها إليه مرة واحدة ويقبلها بلهفة... عندما مدت يدها تستطيل لتحتضن كتفيه تضم نفسها إليه كاد قلبه ينفجر داخل صدره متشربا وجودها بين ذراعيه... عندما رفع وجهه ينظر لعينيها الغائمة لم يقاوم أن يقول بنفسٍ عنيف "ستقتلينني يوما ما"

همست محمرة الوجنتين تنظر له نفس نظرة ليلة زفافهم بعجب وذهول وكأنها لا تدرك أو تستوعب مشاعر الرغبة والشوق التي تلتهم كلاهما "لماذا أنها مجرد قبلة؟!"

(ما تحصل عليه مني قد دفعت ثمنه بالفعل) كانت تلك الجملة التي ترددت بصدى مزعج بين حنايا عقله كفيلة تماما لتعيده لأرض الواقع ليسيطر على نفسه قبل أن ينجرف معها إلى المزيد... كبريائه منعه واستطاع السيطرة تماما وتهدئة جسده الثائر عندما دفعها بلطف يربط المئزر حول خَصرها مغطيا ما كُشِفَ منها أمام عينيها التي اعتلاها الخجل ثم قال "نعم مجرد قبلة!"

&&&&&&&&

دخلت بحرص إلى داخل الشقة تُغلق الباب خلفها بهدوء مستخدمة مفاتيحها الخاصة والتي منحها لها آصف منذ أن قام بشرائها ...تسحبت لتضع حقيبتها بحرص على أقرب مقعد ثم وضعت طفلها البالغ شهرين على أرض الغرفة بعد أن فرشت بطانيته الخاصة بحرص عندما بدأ في المناغاة مطالبا بها... ابتسمت بلطف وهي تخبره بجدية "احترس جلوان لا أريده أن يعلم بوجودك... يجب أن يحاسب قبلا على عدم إخباري بحضوره إلى هنا"

تركت الطفل وهي تقف بأناقة متوجهة إلى غرفة النوم مباشرة ...لم تطرق الباب وصوتها يهتف مثيرا الضجيج "ستحاسب... كيف تجرؤ على...."

توقفت الحروف على شفتيها بصدمة وتخشبت مكانها غير مستوعبة تماما للصورة التي أمامها... فتاة تمنحها ظهرها ترتدي منامة قطنية ولكن جزئها العلوي مرفوع الآن لأن خالها العزيز يدفن أحد كفيه على بشرتها العارية... تتسطح بجانبها على بطن آصف بينما ساقيه تلتف حولها بأحكام ...لم يتخلى عنها حتى عندما رفع رأسه هو الآخر بصدمة محاولا أن يستوعب وجودها... ثم سرعان ما تحول الأمر لسخرية عندما قال "لا اعتقد أنى خدشت حيائكِ أو دمرت براءتكِ بعدما فعلتماه أنتِ وذلك الأحمق ببيتي هناك"

عندما لم ترد فهي ما زالت في حالة الذهول قال بصوت ناعس "حسنا يبدو أني فعلت... هل هذه إحدى الصدمات النفسية عندما يعرف الأطفال ما يقوم به الوالدين للإنجاب فيدخلون في حالة إنكار شديد مدعين أن والديهما مهذبون ومحترمون ولن يقوموا بتلك الأفعال المشينة؟"

تقوس فم أيتان بتعبير مضحك وهي تقول "أعتقد هذا! أنت خالي بحق الله ...رباه لا أصدق ما آراه أنت... أنت يا آصف؟!"

"ولماذا لا أكونِ أنا هل أخبركِ أحد أني أحد أنواع الكائنات التي تتكاثر ذاتيا"

قبل أن يسمح لها بأي تفكير قال ضاغطاً على حروفه "أنها..."

ولكن الأوان كان قد فات بالفعل عندما تحركت دجينة بشيء أشبه بالهلع تقفز بعيدا عن صدره وهي تحاول سحب طرف منامتها لأسفل ثم تابعت أيتان ما يحدث بعينين متوسعتين وهي تشير مضطربة "هل هي حامل؟"

قال آصف بإحباط "ألا ترين أن الأمر مبتذل قليلاً؟! أليس من المفترض أن تنسحبي هاربة وتبكي صدمتكِ بعيدا عن هنا"

ولكنها لم تبتعد بل كانت تحدق في الفتاة الهلعة بجمودٍ تام ...وهذا الوجه الطفولي المميز بجمال غربي لن تنساه أبدا يُعَرِفها عن نفسه!

لم تدرك آيتان أن صوتها اخشن بتوحش وهي تقول باتهام "حتى أنت وقعت في الفخ ...لقد أغوتك كما...."

"آيتان ...إياكِ أن تتجرئي على نطقها... من أمامكِ زوجتي ووالدة طفلي" هديره الذي فاقها توحش جعلها تصمت تماما مرتدة للوراء ولكن عينيها القويتين الشرستين لم تتنازل عن تلك النظرة المحتقرة.

بينما يصل لمسامعها أنفاس الفتاة التي تلهث بخوف كصدى يعكس رعبها مما يحدث فعقدت آيتان حاجبيها بعجب للحظات وهي تراقب يد دجينة التي تتسلل بجانبها بتخبط حتى عثرت على يد آصف فإلتوت أصابعها على

الفور داخل كفه لتحتضنها أصابعه بتشدد كأنه يمنحها دعمه... يخبرها بأنه بجانبها سيحميها من هجوم آيتان الشرس دون أن ينطق بكلمة.

ثم عاد ينظر إلى آيتان وقال بصوت أجش مسيطر "إن كان الأمر لن يزعجكِ انتظريني بالخارج وسألحق بكِ لأجيبكِ عن كل ما تريدين"

خرجت آيتان دون كلمة إضافية وثقتها في صديقها الذي تعرفه لم تهتز رغم كل شيء... رغم النار الحارقة التي تكويها... أن يتزوج هذه من بين كل نساء العالمين كيف ومتى ولماذا؟!

بينما التفتت دجينة تنظر له نظرة مفرغة ولكنه رأى ما حاولت حجبه وراءها ...من مشاعر الألم والغضب والإحباط ونفاذ صبر لاتهام سيظل الجميع يصفها به دون أن يكلفوا أنفسهم معرفة الحقيقة!

قربها منه راغباً في احتضانها فصدته بكفها رافضة تماماً أن تحصل على هذا الدعم ...ثم فردت جسدها على الفراش مرة أخرى وهي تقول بصوت أجش "أنا بخير... اتركني وحدي من فضلك"

&&&&&&&&

لدقائق طويلة كان يسود الصمت بينهما... قبل أن يقطعه آصف وينظر لوجه آيتان المحتد بالغضب بينما يقول بجفاء "لا أفهم سر غضبكِ وإطلاق أحكامكِ؟ أعتقد أنكِ لا تختلفين عني فكلانا يسعى وراء ما يريده مهما كانت الأحكام والظروف!"

كانت دماؤها تغلي داخل عروقها... لقد ظنته أنجز وعيده في إبعاد تلك الفتاة عن طريقهم... التخلص منها بأية صورة كما وعد... لم تفكر وهي تهتف مترجمة ما يدور داخل عقلها "وهل هذا ما أردته تتزوجها وتأتي بطفل منها ؟! أذكر أن وعدك كان واضحا إعادتها لضواحي باريس أو شحنها لوالدها يفعل بها ما يريده!"

جملتها أجفلته إذ لم يريد لدجينة في تلك المرحلة الحساسة بالذات أن تسمع ما كان منه قديما... استغرق عدة لحظات قبل أن يقول بهدوء "أعرف ما وعدت به ولكن كلانا أخطأ في إطلاق الأحكام المسبقة عليها... أنا عرفت تلك المرأة حقيقة لذا لم أتردد بربط نفسي بها!!"

فقدت أعصابها تماماً وهي تصيح فيه بهمجية وحرقة "عن أية حقيقة تتحدث؟ الفتاة نشأت في الغرب ترعرعت على الانحلال... لقد كانت عشيقة زوجي يا آصف"

ثارت نيران الغضب في عينيه وهو يقول بصوت بدأ كزئير أسد غاضب "الزمي حدودكِ وأنتِ تتحدثين عن امرأة تحمل اسمي... لا أسمح لكِ آيتان بإيذائها وإطلاق أحكامكِ حتى لو اضطررت أن أقطع علاقتي بكِ!"

أجفلت آيتان وشحب وجهها بقوة وبصوت خشن قالت "تتركني من أجلها"

لم يستطع أن يمنع نفسه من السخرية عندما قال "هذا على أساس أنكِ زوجتي ولست ابنة اختي"

صمتا للحظات طويلة وكلاهما ينظر للآخر بغير تنازل... ثم ما لبث أن قال أخيرا بنفس مكتوم "إن لم تثقي أنتِ بزوجكِ والذي أنا على يقين أنه وضّح لكِ حدود علاقته بها... فأنا لستُ مجبرا بعد كل صداقتنا الطويلة أن أطلب منكِ أن تثقي بي... دجينة لم تكن طرفا بأية علاقة لا

بجلاء ولا غيره ...إنها مجرد فتاة نشأت بين فكيّ الرحى... لا الغرب استطاعوا أن يحتضنوها ولا رحم تخبطها أحدٌ هنا... مثلكِ تماما"

هزت رأسها رافضة تماماً الاستماع إليه... فظهر التصميم على ملامحه الوسيمة وهو يقول "ما لديّ أخبرتكِ إياه... لقد ظننت أنكِ تملكين الثقة في خالكِ لتعلمي أنه لا ينخدع في إحداهن بسهولة"

قالت بجفاء "تعلم أن لديّ كل الثقة بك... لكن ليس لديّ أبدا ثقة بتلك الفتاة الخبيثة؟!"

قال بصبر مردداً "لا تطلقي أحكام مسبقة لمجرد أن نشأتها تختلف"

قالت على الفور بتأني "أنا لست جاهلة يا خالي... ولا من طبقة معينة تفرض علي التفكير المعمم أن كل من تربى في البلاد الغربية منحل أخلاقيا... لكن ما كان من تلك الفتاة بالذات يجعلني أجزم بأنها ليست بتلك البراءة"

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول بحزم "إذاً أنا لست مجبراً على اقناعكِ أو غيركِ لأن الأمر برمته يخصني وحدي لا غيري ويؤسفني إخبارِكِ أنكِ لا تختلفين عن نظرة المجتمع المعاقة المتنمرة فكريا وأخلاقيا!"

"أنت تدافع عنها ضدي"

لم يتردد عندما قال "أنا أدافع عن امرأة باتت مني وعن أمر اتضح لي بعد أن كنت مثلكِ ومثل الجميع أفهم تلك الفئة الضائعة بنظرة خاطئة"

عم الصمت لدقائق أخرى بينما تستحيل ملامح فراشة الدراما للوحة من الرخام... لم ترد ولم تتنازل عن نظرتها ضد دجينة! تحركت من أمامه تنحني تلتقط طفلها

وتلملم حاجياته بهدوء... ثم انتصبت تلتف لآصف تخبره بنبرة جامدة لا حياة فيها "أنا لن أغير رأيي ...قل ما تريده عنها ودافع ولكن دعني أسألك إن كنت مؤمن بها لهذه الدرجة لماذا لم تخبر أحدا بزواجك منها وابقيتها مخفية طوال هذه المدة؟!"

عندها فقط تبدلت ملامحه لغضب مكتوم وهو يقول بصقيع "لأسباب عديدة احتفظت بالأمر لنفسي... أولها تلك الطريقة المحتقرة التي تتكلمين بها عنها"

قالت ساخرة "هل تريد إقناعي أن من مثلها يشعر أو يغضب من اتهام كهذا؟ إنها لا تعي حتى ما هو الانحلال الأخلاقي!"

تمالك جل غضبه وهو يقول بذات الصقيع "لن أحاسبكِ الآن يا آيتان... أعلم أنكِ مشحونة بالكثير من الحقد ضدها وهذه الطاقة السلبية تؤثر على تفكيركِ محملة إياها ذنب لم ترتكبه... عقلكِ فقط هو ما يخيل لكِ غضب وهمي توجهينه ضدها... دجينة فتاة أعجبتني وتزوجتها انتهى الأمر بالنسبة لكِ تماما ولن أقبل فيه جدال أو اتهام"

اشتدت أصابعها حول ابنها الذي تضمه الى صدرها... مستشعرة نبرة أخرى خلف كلماته تمتمت "أنا لا أحقد عليها ولكني لست مجبرة على تقبل زواجها منك"

لم يحاول أن يتقدم ليمنعها من المغادرة رافضاً لأول مرة تفهمها عندما قال "وأنا لست مجبرا على انتظار موافقتكِ!"

نظرت إليه طويلاً طويلاً جداً وبدون أن تتفوه بكلمة أخرى كانت تفتح الباب مغادرة المكان.

بينما نفخ آصف غاضباً قبل ان يستل هاتفه يرسل باختصار "لقد عرفت النمرة، ما كنت أخفيه لحمايتهن!"

&&&&&&&&&&

فتح جلاء باب الغرفة مبتسماً وتقدم سريعاً نحو الطاولة الصغيرة ملقيا عليها بعض من أوراق العمل... ثم توجه مباشرة نحو سرير صغيره الذي يشاركهم الغرفة منذ ميلاده بعد أن رفض بشكل جذري اقتراح والده أن يكون للطفل غرفة منفصلة ومربية!! لقد اتفق هو وآيتان أن صغيرهما لن ينال إلا رعاية كليهما... أصابه الإحباط قليلا عندما وجد صغيره مستغرقا في النوم كعادته... انحنى يطبع قبل خفيفة على وجنته وهو يهمس "ليس عدلا أن تحظى والدتك بكل المرح معك بينما أنا بعيد!"

اعتدل يتفحص الغرفة باحثاً عنها... عقد حاجبيه لحظات بتعجب قبل أن يتوجه للباب الجانبي الذي أقام فيه مرسمه أو كما يحب أن يطلق عليه هو وآيتان "معزلهما عن العالم أجمع، دنياهما الخاصة التي يجدان فيها بعضهما"

عندما وقعت عيناه عليها كانت تقف هناك أمام نافذة الغرفة بملابسها التي خرجت بها صباحا كاملة... لم يستغرق في تعجبه كثيرا عندما اقترب منها يلف يديه حول خَصرها دافنا وجهه في عنقها ليمنحها قبلات ناعمة بطيئة عكس وحشيته المعتادة معها... شعر بتجاوبها الطفيف معه والذي يعاكس عادتها الثورية! أخذ نفسا عميقا مستنشقا رائحتها المسكية قبل أن يقول بخفوت "ماذا هناك؟ لم أتوقع أن تعودي بهذا المزاج من عند خالكِ!"

إلتفت أخيراً بين ذراعيه تحدق فيه دون إجابة بينما يسافر عقلها إلى أظلم خبايا النفس كاشفا لأعظم مخاوفها!

ارتفعت أنامله يمررها على وجنتها بنعومة وقال بلطف "ماذا هناك يا بنفسجية أهذه أحد الأعراض المتأخرة لاكتئاب ما بعد الولادة؟"

"هل تحبني جلاء؟"

أجفله السؤال للحظاتٍ بينما يقول سريعاً "أنتِ تمزحين... مجرد سؤالكِ يعد عبثا آيتان لأني لا أحبكِ فقط بل أنتِ ألوان حياتي وتمردي يا بنفسجية"

أبعدت وجهها بعيداً عن أنامله... مشيحة به بعيداً وهي تهمس "ربما ما تقوله صحيح ولكن رفيقتك السابقة هي من حركت كل غرائز الحماية والحب والتضحية بداخلك؟!"

عقد ما بين حاجبيه شاعراً بالتخبط ... هناك حلقة مفقودة إن لم يعيدها سريعا إلى مجرى حياتهما ربما يفقدها ويفقد نفسه بعد أن وجد تباينه أخيرا... تمتم بحيرة "لم يكن لي رفيقة غيرك يوما... هلا توقفتِ عن التفافكِ وأخبرتني ما بكِ"

ضبطت أعصابها مانعة نفسها من الصراخ، من الانفجار فيه، من العبثية في المشاعر وإلقاء الاتهامات... ثم قالت "كان لك جلاء... هي من دفعتك لتعود إلى هنا للوقوع في فخ زواجك مني!"

أحس بطعنة من الألم تمزق صدره ويده ترتفع يمررها في شعره الأشقر عندما تذكر الأمانة التي تعهد لنفسه بحمايتها تلك الضائعة التي قطع لها كل الوعود بأن لا يتركها وببساطة خذلها متناسيها تماما منشغلا بزوجته وحياته التي عاد إليها... همس أخيرا بشحوب "فهمت الآن ما تقصدينه ولكني أخبرتك مررا الأمر معها مختلف، ما

حركته بداخلي هو تعاطف لضائعة أخرى تعاني بشكل أكثر قسوة يا آيتان"

لم تقل شيئاً إذ لم يكن هناك ما يقال بعد كل ما عانوه سويا بعد أن أثبت رغبته بها وبحبها بكل ما استطاع أن يقدمه... بعد أن تنازل لها عن كل ميراثه تاركا مصيره مرهون بين يديها... بعد كل تلك المشاعر والعلاقة الوثيقة التي تنامت بينهما تلك التي لم تتخيل يوما أنها ستكبر لتبدو بهذه القوة والصلابة.

اقترب جلاء يحيطها مرة أخرى بين ذراعيه... ثم قال برفق مخفيا الاضطراب والتخبط وتأنيب الضمير الذي اكتسحه دون رحمة عند تذكيره بها "ماذا هناك؟ لقد تخطينا كل هذا سابقا وأثبت لك مرارا أن دجينة لم تكن إلا فتاة بريئة ضائعة حاولت انتشالها من غيابات شوارع فرنسا المظلمة"

نطقه لاسمها هكذا ببساطة مع تذكر مشهد الفتاة بين ذراعي خالها صباحا جلب لها كل المشاعر السلبية التي عاشتها يوما... كل لحظة جرح وألم عانتها ونهشت أنوثتها دون رحمة... أزاحته بقوة لتبتعد عنه خطوات بينما ينظر إليها هو بتعجب يخالطه التخبط وصاحت بخشونة "هل نتحدث هنا عن نفس العلقة خضراء العينين ذاتها، تلك التي كانت تعيش معك تحت سقفٍ واحد لا يفصل بينكما فاصل؟!!! عن أية براءة ومعاناة تتحدث وهي بعد إفلاتها من بين ذراعيك انتقلت لتغوي آصف غانم؟!"

عندما اقترب منها منقضاً عليها يمسك بكلا عضديها بعنف لم تكن آيتان قد رأته بمثل تلك الحال منذ زمن طويل من الصدمة المخالطة للغضب عندما سألها من بين أسنانه "عن

أي إغواء تتحدثين؟ دجينة مختفية منذ أشهر طويلة، لا أحد يعلم عنها شيئا... ما دخل خالكِ بها؟ انطقي!"

عينيها السوداوين الحارقتين كانت تجيبه بشراسة مرافقة لصوتها الهائج "هذه غيرة عليها يا جلاء... هل ارتعبت من فكرة أنها انتقلت لغيرك؟"

للحظة واحدة أراد الصراخ فيها ومقارعتها ولكن شيء داخل عينيها ذلك الطيف المرير الذي عكس إلى أي حد ما زالت هشة من الداخل، ما زالت تعاني بعضا من أشباحها متذكرا كل طعنة وجهها إليها وكل وعد قطعه على نفسه ليصلح ما كان منه... كفيه ارتخت قليلا فقط من حولها بينما هدأت نبراته ثم ما لبث أن قال "لا امرأة في العالم تثير غيرتي وكل همجية الرجل الشرقي بداخلي إلا أنتِ... دجينة لقلبي لا شيء ولكنها مسئولية أهملت بها ولن أسامح نفسي إن أصابها مكروه"

صمت عندما لاحت دمعة حائرة في عينيها... فمد يده يحتوي وجهها بين كفيه ثم أردف ببطء "إن كنت كما تقولين أكن لها أية مشاعر مثل التي أسلمها بين يديكِ كاملة ما كنت تركتها ترحل لأجلكِ... ما كنت أبعدتها عن تفكيري وحياتي رغم ضميري الذي يقتلني عند تذكرها ...فقط حتى لا أجرحكِ... لقد أثبت لكِ حبي وإخلاصي بكل الطرق آيتان وسأفعل لآخر يوم بعمري... أنتِ وطفلنا كل ما أردته يوما"

لم تجد ما ترد به أو تفسر سبب ثورتها لقد كانت تحترق بالغيرة المرافقة للذنب... هي تعرف كل ما يقوله لقد شرح مرارا وأثبت بكل الطرق ولكن كيف لها أن تصدق أن تلك الفتاة بكل البراءة التي يتحدثا بها عنها؟ كيف بعد أن رأتها في وضعها السابق وما عرفته عنها.

"آيتان!"

همسته المترفقة بدلاً أن تثير فيها الهدوء كانت كأنها دعوة للجنون للشراسة... لفعل الشيء الوحيد الذي أصبحت تجيده في التواصل معه لتخبره كل ما يعتمل في فؤادها من مشاعر... دون الحاجة لاستخدام كلمات أحاطت يديها سريعا بعنقه دافعة إياه للانحناء نحوها مرتفعة على أطراف أصابع قدميها... ثم وبدون مقدمات كانت شفتيها تلتحم مع شفتيه! لم يُخب ظنها عندما حاوطت ذراعيه خَصرها بتشدد رافعها نحوه ساحبها إليه مُقبلها بعنف بعمق... مخبرها إلى أي حد مجتاح للروح يحبها... خالطت ألوان قلبه ألوان روحها مجتاح بأفكار مدرسته دهاليز عقلها... مثبتا لها أنه لم ولن يرد امرأة سواها... شفتيها تتحرك تحت شفتيه مانحة إياه بمثل ما يمنحها... يديها تتحرك على صدره متلمسة الدفء منه متحسسة قلبه الذي يدق صاخبا هادرا من أجلها، مطمئنة أن كل نغمة خارجة منه لم يتخللها نشاز واحد ولم تنفك ضربة واحدة معلنة اضطرابا.

انتفضت آيتان عندما لامس ظهرها برودة ألوانه التي أغرقت أرض الغرفة... أزاحته مانعة إياه من التقدم أكثر ولم تمنحه فرصة للاستفهام والتفكير عندما قالت دفعة واحدة دون مقدمات "دجينة حامل من خالي"

وكأن ناراً من سَقَر نهشت جسده... قلبه هوى متحطماً بين قدميه من هول الصدمة مرتجفا من رأسه حتى أخمص قدميه مما نطقت فهمس بخفوت شديد "ما الذي تقولينه... هل جنونكِ أوصلكِ لخيالات متطرفة آيتان؟!"

حاولت عبثاً أن تخبئ توترها وراء هندمة ملابسها التي شعثت وهي تقول قاذفة كلماتها في وجهه "تلك ليست

خيالات... أياً كانت أحاديثك عن طهارتها مؤكد هي محض خدعة أو براءة زائدة منك بالنهاية الفِتاة أوقعت آصف غانم رجل الاعمال الذي بنى نفسه بعيدا عن عائلة غانم كلها وصقر العائلتين كما يحب أن يطلق عليه عمي"

قاطعها وملامحه تتحول لجانب مظلم مخيف وهو يقول بنبرة حادة كالمشرط "تبا لذلك الآصف ولمعاييركم الاجتماعية غير الرحيمة، لنمطيتكم اللعينة... هل ما تقولينه صحيح دجينة حامل من خالكِ؟"

قالت سريعاً بخشونة "نعم ...لقد رأيتهما معاً واحزر ماذا؟ لقد سيطرت تماما على عقله"

سمعته يتنفس بعنف قبل أن تحس به يبتعد عنها ويقف على قدميه يدور ويدور حول نفسه فى حلقه مفرغة... ثم التف إليها وهو يقول بنبرة مظلمة "دجينة لا تستطيع أنٍ تكون مع خالكِ أو غيره لتسيطر عليه أو حتى تحمل طفلا كما تتدعين!"

احست آيتان بذبذبات الخطر بأن هناك شيء آتي إن عرفته ستكره نفسها ملايين المرات "أنا لا أدعي... لقد رأيتها بعيني وهو أكد لي"

نظر إليها بعنف قبل أن يقول مكتوم الانفاس "دجينة تعاني من فوبيا مرضية لا تثق بالرجال خاصة العرب منهم ولديها رهاب العلاقات الجسدية"

تصلبت آيتان ثم قالت ببرود "تعرف أن تلك الحجة سخيفة"

قال من بين أسنانه وهو يواجهها "أنا أعرفكِ آيتان أنتِ لست بتلك القسوة ٍالتي تدعيها لا تجعلي غيرتكِ تعميكِ... ستندمين لاحقا"

قالت بنفس البرود مستفزة إياه "لن أفعل"

لم يتمالك نفسه وهو يصرخ فيها بقهر "انزلِي من برجكِ العالي آيتان وانظري لمصاب غيركِ ...الفتاة ضحية اعتداء!! ... ضحية اعتداء بصفقة بعد أن باعها والدها وقبض الثمن"

&&&&&&&&

"فتاة سيئة يبدو أني لم أحسن تهذيب أخلاقها"

ضحكت من بين نزيف قلبها الصامت وهي ترفع له عينيها الخضروايين أخيرا وقالت مدعية عدم الاهتمام محدثة إياه بالفرنسية "لا عليك أنا لم أفهم معظم ما قالته ما عدا غضبها بالطبع وإتهامي بتعدد العلاقات"

كانت ما زالت مستلقية على فراشه دافنة رأسها في وسادته... شعرها الأسود الغزير متهدل على جبينها مغطيا ملامح وجهها بينما هو منحني على ركبتيه أمام الفراش متأملا ملامحها... أزاحت أنامله شعرها لخلف أذنها وقال "لا أحد قادر على نعتكِ بشيء... أنتِ بتٍّ مني وعرضي، تحملين بداخلكِ دمائي"

رمشت بعينيها وهي تنظر إليه قبل أن تقول "لا عليك؛ ما قالته هو نظرة اجتماعية لكل العرب عامة عنا؛ ما قالته لم تكن المرة الأولى التي أسمعه فيها؟"

لم يبدو عليه أي أثر للغضب أو الصرامة المعتادة المخيفة وهو يقول بهدوء متفهما إياها "لقد كررتِ هذا مئات المرات

وترفضين بإصرار عدم الإفصاح لي ...لذا أنا أذكركِ الآن بوعدكِ لي بالأمس"

نظرت إليه مشوشة الذهن وهي تردد "وعدي؟!"

قال بصوت أجش بينما يديه تتحرك بنعومة على ملامح وجهها مرسلا إليها نوبة من الدفء المعتاد عندما يحاوطها "ألا تذكرين؟ لقد وافقتِ على منحي هدنة بالأمس... نتوقف فيها عن إلقاء الاتهامات وكلانا يستمع للآخر يكتشفهِ بطريقة جديدة، ربما تستطيعين فتح قلبك كاملا؟!"

ملامسته، طريقته المحتوية التي عاد فيها للتعامل معها، يده التي ارتفعت الآن يضعها فوق صدرها وكأنه يختبرِ نبضه الصاخب هناك... أو يبث فيه حياة جديدة مغذيا إحساسها بالحاجة بالتوق للأمان وللتفهم جعلتها تضعف وتريد الصراخ بموافقتها بإلقاء الحذر جانبا وألا تهتم ما الذي قد يحدث غدا أو ما الذي يخبئه لها القدر على يديه ولكنها ببساطة لم تستطع عندما قالت "هذا الاكتشاف لمن أراد حياة وفرصة أخرى... لكن أنا لن أتنازل أبدا عن طلبي بالطلاق منك"

اختفت إبتسامته وانمحى كل دفئه بينما اظلمت ملامحه وهو يقول بدون تعبير "أنا لم أخبركِ أني لن أطلقكِ... انفصالي عنكِ أمر لا يقبل الجدل دجينة... لكن ما طلبت منكِ تلك الهدنة إلا لمصلحتكِ والطفل"

لماذا تشعر بطعنة نجلاء تخترق قلبها أليس هذا ما أرادته؟!

سيطرت على ملامحها جيداً وهي تقول مدعية القوة بإمتلاك أمرها وكأنها تتفضل عليه "إذا أنا موافقة وعند وعدي... ما بيننا هدنة سأستمع فيها لك وما تريد قوله وهذا لن يغير من قناعتي شيئا على كل حال"

تجنب نبراتها التي فضحت اهتزازها وادعاء قوتها الواهية... عندما قال بهدوء "ما رأيكِ بإفطار بالخارج وجولة سياحية أعدكِ أنكِ لم تري مثلها قط؟"

هزت رأسها على الفور موافقة إياه وقالت بصراحتها المعتادة "أي مكان غير هذا السجن سيكون أفضل"

&&&&&&&&

قبل أن يخرج من باب المنزل كانت تظهر هي أخيراً مرتدية بنطال واسع قماشي بورود قاتمة الألوان ..

يعلِوها قميص بني بحمالات رفيعة تدلى إحداها علي كتِفها، بينما شعرها الكثيف مفرود بغوغائية ملتفا حول وجهها مما أكسِبها المزيد من الملامح الطفولية ..

أغلق جفنيه لبرهة وملامح وجهه كاملة تتبدل ..قبلاً كان يمنع نفسه بصعوبة أن يحدثها بشأن ملابسها ولكنه وقتها لم يمكن يملكٍ أي سلطة عليها تمنحه حق التدخل! وعندما تزوجها أخيرا كان ينوي بالطبع الحديث معها في الأمر موضحا وجهةٍ نظره وما يمليه عليه معتقده ..لن يسمح لإمرأته أبدا بالتعري أمام أعين البشر، ولكنها بهروبها بالطبع لم تمنحه الفرصة ..كيف غفل عن تلك التفصيلة الصغيرةٍ؟! لماذا لم يأخذ القرار من نفسه ويلقي بتلك الملابس بعيدا مستبدلها مباشرة بملابس محتشمة ومريحة لكليهما؟! كيف يستطيع إقناعها بما يريده وهو لا يملك أي رصيد معها، وهي بالطبع لن تعترف بأحكام دينية او تقاليد اجتماعية !!

"هل هناك مشكلة!؟" صوتها الهادئ إنساب الى أذنيه أخيراً وكأنها كالعادة تلتقط بذكاء بعض من صراعاته..

جاعلة إياه يحزم أمره ويخيرها بين رغبته وما تريده تارك الأمر بين يديها.

اقترب منها يرفع الحمالة المهملة معيدها إلى مكانها مما دفع إليها إرتعاشة طفيفة مذكرة إياها بمعنى أن يتلامسا!

"هل تعجبك الملابس أم تريدين أن نذهب وننتقي ما تحبيه أنتِ؟!"

قالت بخفوت "لا إنها جيدة، أنتَ تقريباً أصبحت تفهم طريقة ملابسي"

مرت أنامله على ذراعيها هبوطاً وصعوداً وكأنه يحددها ويرسمها وهو يقول بخفوت شديد "هناك بعض الكنزات الصوفية ذات الأكمام الطويلة قد زودتك بالعديد منها بتلك الورود اللطيفة والألوان التي تفضيلها"

ارتجفت حتى الأعماق بينما تقول "رأيتها كلها جيدة... جيدة جدا لقد أحببتها"

لم تفهمه ببساطة شديدة لذا عاود الكرة وهو يقول بلطف ورفق "وهل لو طلبت منكِ طوال فترة وجودكِ هنا ارتداء إحداهن وتغطية جسدك تماما ستُطيعينني؟!"

ارتدت للوراء بعنف وهي تقول مجفلة "قطعا لا ...لا رجاءك يهمني ولا حتى معايير هذا الوطن!"

ذكر نفسه بقسوة أن الهدوء والتفهم والسلام هم من سيُهدِؤون روحها لا التهديد والوعيد ...ثم ماٍ لبث ان قال أخيرا "هذا ليس من أجلي، وأراء الناس قطعا لا تهمني .. طلبي فقط من أجلكِ، أنا اؤمن تماما أن الرداء هو حريتكٍ الشخصية والستر يجب أن ينبُع من داخلك؛ لا أحد أبدا يجب أن يفرض سيطرته عليكِ؟!"

عضت علي شفتيها بقوة لن تكذب هي لم تشعر بأي ندم لصده ولكنها سألته "إن كنت تؤمن بهذا لماذا وجهت امرك لي؟!"

"لقد كان طلباً"

عقدت حاجبيها بتعجب "وهل هناك فرق؟!"

قال بهدوء "نعم بالطبع هناك فرق كبير، انا اقترحت وطلبت منكِ، لم أصل لحد الأمر بعد!"

قالت بغيظ "أي أنك تنوي أن تفعل"

قال بنبرة حازمة على الفور "مؤكد في مرحلة ما سأفعل.. ولكن أنا على ثقة أنكِ ستفعلينها من تلقاء نفسكِ"

هزت كتفها ببرود وهي تقول "رهانك خاسر ..أنا لن أنقاد، أبدا للنمطية!"

أخذ نفساً عميقاً مقاوماً نفسه أن لا يخرج جلّ جنونه.. بينما حديث النفس يطرح عليه سؤال عبثي "كيف يرغب امرأة حد الجنون، وكيف يحترق شوقا و اشتهاءً لكسر رأسها أو خنقها أيهما أيسر واسرع؟!"

لقد أوصلته تلك المرأة لحالة من الجنون والعبث وفقدان السيطرة، كما لم يفعل أحد في حياته قط، هل هذا سبب كافٍ لجعلها متميزة ام أن العشق له طرق متطرفة أخرى بفرض نفسه!

"أين ذهبت؟" قاطعت تفكيره سائلة إياه بتوجس

ابتسم ثم قال بهدوء "معكِ، ولكني ما زلت لا أُحبذ ملابسكِ"

قالت بنزق "يا إلهي وما الأمر الجلل بأن يراني أحد هكذا"!

قال بسلاسة "وما الحكمة أو المغزى بأن يرى الناس منكِ ما هو حقكِ وحدكِ، ما الحكمة بأن تكوني مكشوفة للجميع،

كشيء باهظ وثمين تتركين فرصة لكل اللصوص أن تتلمسه وتسترق النظر له بحرية وهم شاكرين ما تعرضينه لهم بمنتهى السخاء والكرم"

عبست "أنا لن أفعل هذا"

ضحك "كان مجرد مثال"

نفخت بنفاذ صبر "لن أفعل"

كتم رد فعل تعسفي واتبع طريق اللين وهو يقول "حسناً لا تهتمي، هل أنتِ مستعدة؟!"

تقدمت أمامه خطوتين، وكادت أن تخرج من الباب قبل أن تتراجع فجأة تنظر له عدة لحظات بعينين خضراوين شفافتين ..وكأن شيء ما يصارع بداخلها حتى يكاد يفتك بها ..ثم قالت أخيرا بخفوت "هناك كنزة زهرية اللون قد أعجبتني وأريد أن أجرب ارتدائها"

كتم تنهيدة ارتياح قبل أن يبتسم بتشجيع.. إذا أرادت أن تشعر أن كل شيء بإراداتها هو لن يمانع أبداً طالما ستصل معه لبر آمن بنهاية الطريق ..ثم قال ممازحا "ستصيبينني بالعمى الذوقي بسبب ألوانكِ! البنطال باللون الأخضر والقميص بني والكنزة زهرية.."

"اسخر مني مرة أخرى، انتظر ما لم تتوقعه"

مازحها قائلا "لا لن أسمح بكسر اتفاقية السلام بيننا"

&&&&&&&

هل للشوارع نغمات ومشاعر مادية؟!

وجهت لنفسها هذا السؤال ملايين المرات بينما يصطحبها آصف سيرا على الأقدام بين ضواحي القاهرة... منذ نصف

ساعة أو أكثر كانت تكتفي بتشبث كفها بذراعه، مسبلة الجفنين دافئة القلب ومرهفة السمع لذلك النغم الخاص الذي يعزف كأرق وأرقى النغمات الموسيقية... كل نبرة من إحدى المارين بجانبها كانت نغمة... كل وتر يصدر من ضواحيها كان ترنيمة تشدو بأعذب الألحان مانحة لداخلها السكينة.

ترنيمة بإيقاع موسيقي عذبٍ يشدو بنغمات متناغمة بطابع لم تقابل مثله يوماً... خالقا حولها حالةٍ من الروحانية والانسجام، مطربا قلبها قبل أذنيها، خالقا من كل طبقة موسيقية لغة تحاور خاصة تخبرها أنها من هذا المكان خُلِقت ولهذا العالم انتمت منذ الازل.

"هذا سحر" تمتمت برهبة أخيراً قاطعة دائرة الصمت التي لفتها وهي تتابع بعينين متوسعتين الطراز الإسلامي لشارع "خان الخليلي"... البيوت المتراصة بجانب بعضها بطريقة هندسية متعانقة وكأنها تمد بعضها بالدفء والتواصل بالحماية والاحتواء... تنظر للمشربيات المطلة على الشوارع والسُبل الرائعة ذات الواجهات المشغولة بالنحاس.

ابتسم بطريقة جانبية بينما ذراعه تضمها إليه تلقائياً حتى يجنبها تزاحم البشر عندما انحرف مسارهم من أمام الجامع الأزهر ليدخلا إلى الشوارع الضيقة... همس بصوت أجش "انتظري القادم يخطف الألباب"

سلمت نفسها مُتّبَعة خطواته فتلامس قدميها الأرضيات المرصوفة بحجر بازلتي أسود لامع... بينما تستكشف عينيها السقف المغطى بالخشب... أشار بأنامله يلفت انتباهها للمحلات المتراصة بجانب بعضها تشمل سراديب ممتلئة بالتحف وروائع الأشغال اليدوية بينما رائحة البخور تختلط بعبق تاريخ تلك الأرض ناشرة داخل أنفاسها العنبر

والياسمين ورائحة أخرى لم تشم مثلها قط حتى في مدينة العطور باريس...

لم تدرك أنها ترجمت أفكارها بصوتٍ عالي إلا عندما قال آصف بهدوء "رائحة زهرة اللوتس والتي رغم عدم استخدامها في مصر الحديثة لكن عبقها ما زال يتخلل كل ذرة من تراب الوطن وكأنها رغم كل السنون التي مرت والأجيال التي تعاقبت تصر أن تذكر أن (كمت القديمة) ستبقى وتحيا"

وقفت دجينة مكانها فأجبرته أن يتبعها ثم قالت باضطراب "هل تؤمن بتلك الأساطير؟!"

رمش بعينه عندما قال بعدم فهم "أية أساطير؟!"

ارتجفت وهي تقول "تلك التي تتحدث عن عظمة هذا البلد... عن ماضيه الذي لم يُسبق في التاريخ، عن روحه التي عاشت قبل آلاف السنين وما زالت تحرسه وتفرض نفسها على كل من يحاول أن يزيل معالمه؟"

ابتسم وأطل شيء من بين عينيه السوداوين وهو يقول "ولكن هذه حقائق أؤمن بها أنشرها وأتحدث عنها مقنعا بها كل من تاه عن تاريخه... ذلك يسمى عشق دجينة... عشق لكل تفصيلة من تلك الحضارة!"

أحست بالضياع بين أفكارها المسبقة متذكرة العام المرير الذي عاشته هنا في بيت والداها... تلك الوجوه التي جعلتها تكره كل ما هو متعلق بهذا البلد وبين اكتشافاتها الجديدة التي تعيشها معه... تتلمسها بنفسها من بين شوارعها والوجوه المارة حولها بألفة وكأنها قابلتهم وعرفتهم في عوالم أخرى أو زمن غابر ولدت فيه بأحدى مدن مصر... هذا هو التفسير المنطقي الوحيد!

"أشعر أن نفسي تاهت مني... أن روحي عاجزة محبوسة في سجن لا أستطيع التحرر منه"

أسبل جفنيه بهدوء وهو يستمع لإعترافاتها التي تتوالى ثم ما لبث أن قال بهدوء "أعرف"

ارتعشت ابتسامة على شفتيها وهي تهمس "أنت تعرف كل شيء على ما يبدو... رغم جهلي إياه عن نفسي"

نظر إليها مصححاً "ليس كل شيء... أنا اجتهد في طريقي معكِ... معترفاً بأني غفلت عن الكثير مما يدور بداخلكِ رغم صيحات النجدة التي كنتِ تطلقينها إليّ"

إغرورقت عينيها بالدموع وهي تستشعر أمان لم يسبق أن عرفته في حياتها وهمست باضطراب "أنا ما عدت أفهمني! كيف أحاربك وأرفضك وأراك سجاني، الرجل الذي خذلني... وكيف أرى فيك خلاصي من تخبطي؟!"

نظر إليها متأملها للحظات قبل أن يقول بدفء "سجنكِ ما هو إلا قضبان وهمية نسجتيها من أفكار سلبية أثر على كل منحنى في حياتكِ"

صمت وهو يرفع أنامله فيلامس وجنتها الناعمة المبللة بالدموع ثم تابع برقة

"ربما توعدت قبل أن أجدكِ بأن أنزل عليكِ أشد عقاب وأن أذيقكِ من المرارة التي تركتيها بداخلي، ولكن هذا كان قبل أن أصدم بحقيقتكِ وأشباحكِ التي تهربين منها... لأدرك إلى أي حد لا أستطيع التعايش مع أذيتكِ... أنا لست سجّانكِ دجينة"

أطرقت برأسها دون أن تقل شيئاً... فعاد لجذبها برفق وابتسامة جانبية عابثة تزين فمه عندما قال بخفوت...

"أعتقد أننا قدمنا عرضاً جيداً للعيون الفضولية التي توقفت تتابعنا."

أطلقت ضحكة رائقة لم يسمعها تخرج منها منذ زمن بينما تقول "تلك إحدى عيوبكم الأخرى كعرب.. الفضول"

"أنتِ أيضاً عربية لذا هذه الجينات مؤكد فيكِ"

"بل مصرية!" قالت مصححة بتلاعب

نظر لها نظرة جانبية رافعاً حاجبيه بتعجب وهو يقول "مصرية! هذا تقدم رهيب قبل أيام لم تعترفي بأصولكِ"

ترددت للحظة ثم قالت ببساطة متوارية خلف حجتها "ربما ابني من يتحدث بلسان حالي بالنهاية ثلاث أرباع دمائه مصرية"

توقف أمام بوابة ممغنطة خلفها يقبع مكان ما يبدو كمنزل عتيق أو ربما حديث بني على الطراز القديم ليصبح جزءا لا يتجزأ من هذا المكان... التفت مرة أخرى إليها ثم قال "ما رأيكِ برحلة داخل عبق التاريخ والموسيقى وبعدها نجزم إقراركِ هذا لمن ينتمي؟"

هزت كتفيها بلا معنى وهي تقول "لا مانع أبداً إذ أن تلك هدنتك افعل بها ما تشاء"

&&&&&&&

لن يستطع إنكار أنه مستمتع جداً بنظرات الانبهار التي تغالب ملامحها الطفولية وهي تتلمس كل جزء من حضارة هذا البلد... كل أثر تراه... كل مفكر تتعرف عليه من خلال الصور المعلقة علي الجدران فتسأله عنه ويخبرها بأختصار بعض من عظمة تاريخه! وكل نغمة موسيقية يطلقها ذلك "الرّق والقانون" الذي تعزفه فرقة مقهى

نجيب محفوظ، والتي حرص أن تكون مقاعدهم أمامهم مباشرة "هذا رائع... رائع..." نطقتها بذات الانبهار

ثم تابعت مشيرة لعازف القانون "كيف يستطيع التحكم في كل النغمات والدرجات الموسيقية من خلال آلة واحدة وكأنه فرقة متكاملة الأركان وهو المايسترو المحترف الذي يقودها؟"

أجابها هامساً "ولما لا يفعل وهو يملك دستور لكافة آلات الموسيقى العربية"

عقدت حاجبيها وهي تستفهم منه "ما معنى هذا؟"

بسط يديه شارحاً "آلة القانون هي الآلة الأم والأساسية عند الشرقين... يقال إن عازفها يستطيع بمهارة الانتقال والعزف على جميع الآلات الوترية حتى البيانو؟!"

سألت ببطء متذكرة المعمار الإسلامي بالخارج حيث المساجد المقامة هناك شامخة عتيقة يدلف إليها أطياف مختلفة من البشر"كيف يستطيع هذا المكان احتواء كل شيء وضده وكأنه يجيبك دون أحاديث منمّقة أو أدلة قاطعة عن كل ما يدور برأسك؟"

اعتدل بمقعده مواجهها وهو يسأل باهتمام "وما الذي أجابكِ عنه؟"

اشارت للخارج وكأنها تجسد أمامه ما يدور بأفكارها في تلك اللحظة "هناك آذان يرفع وموسيقى راقية تضرب وأناس دافئة تُرحب بك دون أن تعرفك و.و."

صمتت قبل أن تعيد يديها لحجرها تفركهم ببعضهم بتوتر وهي تضيف "هناك أشياء كثيرة تحدث لا أستطيع وصفها"

هز رأسه قبل أن يقول بسلاسة "هذا المكان يحوي جميع أنواع البشر باختلاف ألوانهم وطباعهم صاهرا بداخله جميع توجهاتهم"

صمت العازفون أخيراً معلنين أخذ استراحة... فعم هدوء جزئي حولهما فأكمل آصف بنبرة ذات مغزى "تلك البقعة ما هي إلا منطقة صغيرة تمثل شعبا كاملا بجميع أطيافه وأفكاره... ميوله متفاوتة بين الطيبة والشر، بين المبادئ وانعدامها!"

مدت دجينة يديها تأخذ قدح الشاي بين أناملها تتشبث فيه وكأنها تحتمي من فكرةٍ ما قد مرت بخاطرها قبل أن تقول "لماذا اشعر أنك تريد أخذ منحنى أخرغير ما نتحدث عنه؟"

تنهد قبل أن ينحني بجذعه يتكئ بكلا مرفقيه على ركبتيه ثم ما لبث أن قال بهدوء "أنا أحاول هذا بالفعل؟!"

قالت واجمة "وهل تعتقد أن كل هذا الحديث عن عبق التاريخ أو تعمدك أن تريني الأوبرا في طريقنا إلى هنا أو الاستماع لتلك الموسيقى سيمحو حقيقة واحدة أن الأهل هنا تتاجر بالنساء مضطهدة إياهن سالبتهن حرياتهن ثم أخيرا بيعهن لحقير عديم الضمير نجس لا يريد إلا شيئا أو شيئان منها؟!"

قال بجفاء "نحن لا نتاجر بالنساء... بالنهاية أخبرتكِ كل مجتمع يحوي الصالح والطالح... مشكِلتكِ التي عانيتِ منها ونوع والدكِ لا يعد إلا قلة قليلة جدا في مجتمع... ظاهرة نحاول عبثا علاجها ومحوها"

أخذت نفساً عميقاً محترقاً قبل أن تقول بجمود "بالأمس أخبرتني أن ذلك المال يدعى مهرا وطالبتني بالانتظار والتفكير في كل الاسباب والظروف"

أومأ موافق إياها... قالت بجمود "أنا لا أريد الانتظار يا آصف لابد أن أفهم لماذا هذا الشرط بالذات لإتمام الزواج؟ هذا إن كان حديثك صحيحا"

للحظات طويلة كان ينظر لوجهها العنيد، لعينيها المصرة، لتحديها إياه وكأنها تخاف أن تسلم إليه وأن تُقر بسلطته عليها!!

بصوت منخفض قال "هل أنتِ جادة تريدين النقاش هنا؟"

قالت بعناد "وما الذي يمنعك؟! يبدو المكان كملتقى ثقافي من نوع ما! وما نحن بصدد مناقشته أمر يشغل كل من مثلي!"

كان هادئاً بملامح مسترخية تماماً وهو يجيبها "إن ابتعدنا عن مشكلتنا الاساسية دعيني أخبركِ أن مهر المرأة في الإسلام لم يعني يوما شرائها كما شوهوا فكركِ وغيركِ!"

وضعت قدح الشاى على الطاولة قبل أن تقول بهدوء "أسمعك!"

"وضِع المهر لتكريم المرأة بأن تكون هي المطلوبة المرغوبة لا الطالبة! فتشعر أن الرجل يبذل كل ما هو غالي وثمين في سبيل الحصول عليها شريكة لحياته لا خاضعة... كما أن بذله لماله دليل على جديته ويمنحها وعده ألا يفر منها أو يتلاعب بها... فهو مجرد هدية وعطية منه إليها، كما أنه تقدير لهذا الميثاق الغليظ والرابط المقدس"

قالت بجفاء "أو ليكن مجرد مالك أخر يتحكم فيها يحجب حريتها، يحولها لمجرد تابعة مغيبة لا تملك حتى أمر نفسها!"

لم تتغير ملامحه وهو يقول "بل لأنه يملك القوامة الفطرية ولقدرته على التحكم في انفعالاته أكثر من

المرأة...ولأنه أقدر الجنسين على إدارة هذه الشركة التي تقوم بالزواج!"

"ها أنت تعترف أن القوامة لكم"

فتح كفيه علامة على تأكيد قوله "أنا لم أنكر هذا في أية مرحلة... سواء اعترفتِ أم لا فالرجل هو العنصر الأقوى المتحكم بالغريزة... المنقذ عند الحاجة ليرسو بالعلاقة لبر الأمان، وليكن في معلوماتكِ تلك القوامة عبء ثقيل لا ينجح في حمله واجتياز اختباره الا كل من استحق لقب رجل ..لا مجرد ذكر؟!"

بعد ما عاشته وتعيشه معه لن تستطع أن ترمي رفضها لتلك النقطة بوجهه... أدارت دفة الحوار وهي تقول "وعودة لنقطتنا... هذا يعد بيعا وشراء"

أخذ آصف نفساً عميقاً قبل أن يقول "في حالتكِ ومع والدكِ.. نعم!"

عاد الألم ليحل فوق ملامحها الرقيقة... الذعر مع شحوب وجهها وطيف الفكرة العنيف يحتل الذاكرة محطما إياها من الداخل لأشلاء تفتك بأحشائها.. ارتعشت يديها بعنف فهبط كفيه سريعا محتويها مانعا ذلك الارتجاف الذي جعل ألما غير محتمل يمزق قلبه فأحنى رأسه وهو يقول "مشكلتكِ لم تنبع من الإسلام يا دجينة إذ أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) نفسه كان مهر بناته رمزي يسير... فالأمر كله مجرد تقدير... تماما كما في فرنسا عندما يخطب أحدهم امرأة فيقدم لها خاتما من الألماس"

عندما لم ترد وبدا أنها تصارع أفكارها تابع ببطء "المشكلة كلها كانت بوالدكِ الذي قصد بكِ تجارة... أخبرتكِ أني كنت أريدكِ بطريقة شرعية لا تشوبها شائبة فسعيت لموافقته ونفذت مطالبه ولكن ما كنت أريده أمرا آخر؟ أن

أحميكِ من مجهول ترفضين إخباري به... لهذا كان يجب أن يعلم والدكِ أنكِ تنتمين إليّ"

رفعت وجهها إليه وقالت باختناق "وهل هذا يشكل فارقاً لديه؟!"

قال بحزم "في عالم التجارة سيصنع أكثر من مجرد فارق... والدك رجل اعمال ذكيّ ...يعرف تماما مع أية عائلة يتعامل!"

تجمدت وهي تحدق به ذاهلة بينما تابع "اسم عائلتي ومكانتي هنا وبالخارج قادرة أن تمحي اسمه الحديث في دنيا الأعمال وبسهولة إن هدد أي شيء يخصني"

ارتعشت وهي تقول برجاء "وهل أنا أخصك؟!"

رد بخشونة متجنب تقلبها "لقد أخبرتكِ ملايين المرات أنتِ بتّ مني... وأنا أحمي كل ما يهمني حتى وإن كانت روحي الثمن"

مصفوعة بحقيقة كل ما يقوله مأخوذة بمهادنته إياها قالت بصوت أجش "إن كان أنا لديّ أنت فبالنهاية هناك الكثيرات مثلي يقعن ضحايا المادة... ضحايا آباء عديمي الرحمة يتاجرون بهن لأي طامع وإن اختلفت الأسباب!"

قال ببساطة وحزم "أعرف هذا أيضاً فلدي فكرة عن هؤلاء الذين جردهم المال والغرب من نخوتهم فيُحوّلون بناتهم لمجرد سلع تعرض أمام الدولارات قد تصل لمئةَ الف دولار ...لأي جاهل طامع في الجنسية متغاضين عن إختلاف الطباع والتنشئة أو حتى المعتقد!"

تمتمت مكملة "ربما هناك من تضل عن قَصد مبهورة بتحرر المرأة هناك متخذة أفكارهم وعقائدهم ولكن هذا خطأ الأهل يا آصف"

توسعت عينيه بصدمة للحظات وبدا مرتبكاً من إقرارها بأمرٍ كان يجزم به وكانت تنكره!

صمت لدقيقة كاملة وهو يحدق فيها قبل أن يتمتم "هذا صحيح ...لهذا دائما ما كنت أنصح بعضا من أصدقائي أن يصادقوا أولادهم ويقربوهم منهم دون أن يشدوا الخناق حولهم ...أن يحاوروهم بدلا من التعنت الفكري وإرهابهم بأفكارهم ...أن يحببوهم في بلادهم وعقائدهم بالحسنى وليس بطريق العقاب فقط"

يده اشتدت حول كفيها الساكنتين في دفئه بينما يتابع ببطء "هل كل ما فعلتيه وتشبثكِ برأيكِ كان هروبا من والديكِ أم انتقاما توجهيه إليهما؟"

قالت بدون تعبير عند ذكره سبب تعاستها... ممن هما مفترض أن يكونا درعها الآمن "في بداية الأمر كان تمردا... يثور بداخلي وحش كاسر يصرخ مطالبا بتحطيم كل شيء غضبا... نزعة قوية بداخلي لتدمير الذات"

تدمير الذات! لماذا يشعر أن ما حدث من والديها يتعدى حجتها التي يعرف وهناك شيء أسود قاتم ما زالت تخبئه عنه؟ مؤكد رد فعل جسدها العنيف والألم الذي يفتك بها واضحا على ملامحها عند ذكره يتعدى مجرد رجل أراد تزويجها من أحدهم مقابل حفنة من المال.

&&&&&&&&

"أنا جائعة!"

التفت إليها من أمام الباب الذي دلفا منه للتو وهو يقول بضحكة متعجبة "نحن عدنا من الخارج للتو بعد تناولنا طعام الغداء متأخرا"

هزت كتفيها بلا مبالة وهي تقول "الطعام الذي أتيت به كان دسما على غير المعتاد لي... لذا لم آكل منه الكثير"

"حسناً أمامك المطبخ افعلِي ما تشائين لا تحتاجين لأخذ إذن مني بمنزلكِ"

"أنا لا أستأذنك... أنا فقط أعلمك" نبرتها العنيدة المعتادة جعلته يخطو نحوها ضاحكاً قاطعا المسافة بينهما بسهولة ملامسا جسدها بجسده دافعا إياها نحو الجدار الذي خلفها محاصرها بينه وبين جذعه... انحنى وجهه ملامسا وجهها وهو يقول بتلاعب "هل تلك محاولة لأطعمكِ بنفسي مثل الأمس؟!"

لم تقاومه أو ترفض إلتحامه بل ارتفع كفيها ليلامسا صدره الواسع ...ووجهها الذي يرتفع مقابل وجهه كان مسترخيا مبتسما وكأن الساعات الماضية التي قضتها بالتحاور واكتشاف دنيا جديدة لا تعرفها جعلتها تنفصل عن كل شيء ملقية بهمومها بعيدا سامحة لذلك الرجل الذي تسلل إلى داخلها مكتشفا أعماقها أن يسحبها لعالمه أكثر... همست بنعومة "لقد اعتنيت بنفسي طوال حياتي لذا أستطيع أن أطعم نفسي دون مساعدتك"

"إذاً ربما عليكِ أنتِ أن تطعميني هذه المرة" همس بعبث وقبل أن تستوعب جملته كانت يديه تهبط لتحاوط خَصرها المتلئ بينما شفتيه تحتضن شفتيها يقبلها بشوق، بشغف جاعلها تذوب كما كل مرة يلمسها فيها... عندما رفع رأسه كانت وجنتيها متوردتين وعينيها بخضرة الربيع غائمة بالمشاعر ...غمغم امام شفتيها "أريد أن أسمعكِ تُلحني من جديد على الكمان الذي لم تستخدميه منذ أهديتكِ إياه"

تمتت "أنت لا تمانع في عزفي مرة أخرى؟!"

ابتسم والتسلية ترتسم في عينيه ثم قال "ابنة اختي كانت لما يقارب عقدين من الزمن راقصة بالية وتزوجتكِ أنتِ وأنا أعلم أنها لغة روحكِ... مهركِ مني كان هذا الكمان عزيزتي ما الذي قد يجعلني أغير رأيي؟"

قالت بصوت أجش بينما يديها ما زالت تستريح هناك على قلبه "أنا ما عدت أفهمك"

"ما الذي تريدين استيعابه وأنا سأفك لكِ شفراته"

قالت دون تردد "كيف عشت عمرك كله في السويد دون أن تتأثر؟ كيف تنظر للفنون بتلك الطريقة وأنت تبدو... تبدو..."

عجزت أن تجد وصفاً لتخبره به بينما امتدت يده تربت على وجنتها وهو يقول بسلاسة "ملتزم!"

عقدت حاجبيها بتفكير تحاول استيعاب الوصف الذي لم تسعفها مفرداتها الفرنسية على فهمه... فشرح هو سؤالها غير المنطوق بسلاسة "أنا أحاول وضع حدود لنفسي ليس إلا فأنا أعرف ديني وألتزم بمعايري الاجتماعية ولا بأس من بعض المتعة طالما لن تجعلني أتعدى الحدود التي فرضها ديني عليّ"

عيناها الفضوليتان كانتا تنظران إليه باهتمام وكأنها أمام كتاب من الطلاسم تحاول استيعابه!

تمتمت بهمس "أنتَ معي مختلف تماماً... جامح، حيوي، ضاحك، متفهم"

تأملها للحظة قبل أن يقول بهدوء "لقد جاوبتِ على سؤالك بالفعل، ما يحدث معكِ، لم أجربه مع غيركِ!"

قالت بخفوت "تمنيت لو أستطيع، إخبارك نفس حديثك، ولكن أنا أصبحت حتى لا أعرف ما أريده؟!"

لم تتغير نبرته الهادِئة وهو يقول ببساطة "أنتِ تحتاجين تحديد طريقكِ أولا، فإن لم تعرفي وجهتكِ، فكل محاولاتكِ ستؤدي بكِ إلى لا شيء!"

كالعادة كانت تحاول التهرب من الخوض في مزيد من النقاشات التي تربكها تزعزع أفكارها الثابتة .. فقالت "وهل من ضمن طرقكِ تلك أن تكون راقص بارع؟!"

ادعى الرعب وهو يقول "راقص! اسحبيها من فضلكِ"

"وإن لم أفعل؟" قالتها بتلاعب.

رفع حاجباً واحداً يتأمل وقفتها الثابتة وعينيها التي تطل منها نظرة سعيدة جامحة... نظرة متمردة يسعد عندما يجدها فيها "لا أعتقد أنك ستعجبين بعقابي إذ أني أكاد أجن وأكرر معكِ ما سبق وأعلنتِ بإصرار كرهكِ إياه"

شحبت ملامحها وهي تقول بوجهٍ محتقن "ظننت أن هدنتنا تلك لن تعيق أراء أحدنا الآخر في علاقتنا الجسدية؟!"

حررها أخيراً مبتعداً عنها وقال بثبات وعيناه تقابل عينيها "أنا لا أقيم علاقة جسدية معكِ... إن ما بيننا هو علاقة زوجية دعائمها معنوية لا حسية ...أساسها سكن روحينا لبعضها والمودة والرحمة... أما ذلك الجانب فيقوده الشغف وانصهار كلينا لا مجرد رغبة وشهوة تختفي لذتها عقب انتهائنا منها"

فتحت فمها لتتحفه بأحد ردودها ولكن الخبط العنيف على الباب جعلها تنتفض مندفعة إليه محتمية بين ذراعيه التي فتحت لا إراديا لتلقيها فقال ليطمئنها "اهدئي ...لماذا كل هذا الخوف؟!"

كانت تحبس أنفاسها وهي تقول "أخبرتك أن لديّ ذكريات سيئة للغاية هنا آصف... أنا... أنا أكره الهمجية حتى وإن كانت مجرد طرق على الباب"

ضمها إليه للحظات متجنباً الطرق العنيف بصعوبة... متوعداً بداخله أياً كان هذا الأحمق بأن ينال جزائه... شفتيه هبطت باحثةً عن جبهتها ووضع قبلة هناك بينما يقول بهدوء متمالكا اعصابه "اذهبي لغرفتي وانتظريني حتى أعرف من هذا الأحمق" أقرن قوله بدفعها برفق.

لم ينتظر اختفائها... بل اندفع نحو باب شقته يفتحه وقلبه يهدر بقلق... من هذا الذي يسمح لنفسه بطرق بابه هكذا؟ إذ لا أحد من عائلته يعرف عنوان هذا المنزل إلا آيتان... أترى تطرفت وأخبرت أحدهم؟ ولكن من يملك الجرأة لمراجعته في أمر شخصي قد قرره؟!

"جلاء!" همسها بخفوت شديد وتعجب أشد بينما يراقب الشاب الذي يصغره بأعوام قليلة يندفع إلى الداخل دون دعوة وعينيه العسليتين ثائرتان غاضبتان ومتوحشتان بينما يهدر متهما إياه مباشرة "كيف وصلت إليها؟ بأية وضاعة سيطرت عليها؟ هل تطرفك وغرورك أوصلك أن تدمر فتاة فقط لتبعدها عني؟!"

لم يتحرك آصف من أمام الباب بل ظل ممسكاً بإطاره بينما عيناه تراقب ثورته ببرود فصاح جلاء مرة أخرى مطلقا جل غضبه وجنونه "أين هي؟ ما الذي تبتزها به لتجعلها تسلم لك؟"

نطق آصف أخيراً بصقيع "عندما تتحدث في بيتي أخفض صوتك تماما... وعندما تغتر في نفسك للتحدث عن زوجتي يجب أن تتوقع مني الرد الأسوأ!"

عاد جلاء ليندفع بتهور ويرفع يده كأنه يستعد للعراك وهو يقول "ماذا هل آصف غانم العظيم سيضربني؟"

أمسك آصف يدِه قبل أن تصل إليه مستمراً في تمالك أعصابه... متلبساً وجهه الأرستقراطي المستفز وقال "أنا لا أضرب يا فتى"

أحس جلاء بالغضب يزحف بين عروقه وهو يكبح رغبة عارمة أن يرفع ركبته لتستقر في معدته مباشرة... سيد الحيل !!الرجل البارد نصير آيتان في مخططها ضده... الرجل الذي يتغنى عزيز العاشوري بإعجابه به وحبه!! ليأتي الآن يلقبه بالفتى ويضيع الأمانة التي وعد نفسه بحمايتها... أفلت جلاء يده منه بعنف بينما يرجع خطوة للورِاء وهو يقول بنبرة حادة أشبه بحد السيف "أريد أن أراها حالا... أنا أعرف بأنها لا يمكن أن تأتي إلى هنا برغبتها... كما أني أعرف جيدا عجزها عن الز..."

"جلاء؟!" الصرخة المذعورة جعلته يقطع جملته ويلتفت ورائه يتطلع إليها أخيرا بعد طول هجر!

قراءة سعيدة

الفصل الخامس

"جلاء؟!" الصرخة المتوترة المذعورة جعلته يقطع جملته ويلتفت ورائه يتطلع إليها أخيرا... كانت تقف هناك في ممر ضيق مطل على غرفة الاستقبال وشعرها الأسود تضمه في ضفيرة طويلة غوغائية... ملابس من قطعتين بسيطة الألوان كعادتها ولكن هذه المرة لم تكن تُظهر منها إنشا واحدا...عيناه انحدرت لا أراديا نحو بطنها ليلاحظ الانتفاخ الطفيف الظاهر من ملابسها الواسعة؟!

اقترب جلاء منها سريعاً محاولاً أن يتواصل معها كالماضي بأن يلمس وجهها بأخوية بعلاقة فريدة لن يتفهما أبدا أحد أفراد هذه العائلة... ولكن لصدمته كانت تقطع الخطوات سريعا مبتعدة عنه متوجهة لذراع آصف غانم الذي استقبلها لتصبح تحت جناحه حرفيا لا مجرد وصف بلاغي !!

الحنان الذي غطى ملامح آصف بينما يضم جسدها المنتفض جعل الألم يتوهج داخل صدر جلاء... ما الذي غفل عنه خلال ما يقارب العام؟ ما الذي واجهته ليجعلها تتقبل هذا الرجل الذي يُمَثِل كل ما كرهته يوما؟ كانت نبرتها مرتجفة متوترة وهي تخبره بالفرنسية "ليس من حقك أن تكشف أمرا أخبرتك إياه دون علمي؟!"

تجمدت ملامح آصف للحظات متذكراً جملة جلاء التي قطعتها وربطها بما تفوهت به للتو ولكنه حافظ على هدوء أعصابه بمعجزة بينما يسمعها تكمل "بأي حق تُمنح نفسك الوصاية عليّ؟ من الأحمق الذي أخبرك أنني أُجبرت على الزواج منه؟"

نظرة غريبة احتلت عينا جلاء وهو يقول "بحق أني أعرفكِ... بحق صداقتنا ووعدي إياكِ"

ضحكت ضحكة قصيرة مشوبة بالمرارة وهي تجيبه "وعدكِ لي! نحن لم يكن بيننا أية وعود يا جلاء... لقد كان ميثاقا غليظا بالصداقة، بالوفاء، بحمايتي من الوغد الذي يطاردني مضافا إلى مصيبتي مع والدي ...ولكنك بكل برود عدت لحياتك، لنفسك، لطبقتك الإجتماعية وللمرأة التي تحب متناسيني وسط المجهول تماما!؟"

توتر فم جلاء وهو يقول بنبرة محترقة "لقد ترجيتكِ عدم الرحيل ولكنكِ لم تستمعي لى هل تذكرين؟"

"لم أكن لأبقى وأفسد علاقتك بزوجتك إذ أني أعلم كيف تعمل عقولنا نحن النساء" همست ببساطة.

صمتت قبل أن تأخذ نفساً عميقاً مكملة بهدوء صدمه "أنا لا أحقد عليك يا جلاء إذ أني من اخترت الرحيل مع آصف... لدنيا حياة جديدة وعالم جديد... ربما أجد ما أبحث عنه"

نظر إليها ملياً غير مصدق ما يراه ويسمعه ثم قال "وهل وجدتيه؟!"

أحست بالدموع تحرق عينيها وهي تنظر لعمق عينيه ثم قالت بصراحة "لقد ظننت أني وجدته... ثم ضللت طريقي وها أنا أحاول من جديد"

"لا افهم ...منذ متى تتحدثين بالألغاز؟" قال جلاء بصوت أجش بينما هناك شيء بداخله يهدأ ليدرك أن ما يراه بعينيه حقيقة

إلتفت دجينة بعينيها الخضراوين الكبيرتين تنظر لوجه آصف طويلا قبل أن تهمس "ولكن هو يفهم ؟!"

عم الصمت المهيب بين ثلاثتهم متخللاً دق قلوبهم العنيف كلا بأسبابه...

قبل أن ينسحب جلاء فجأة وهو يقول "لقد حسم كل شيء إذا... ولكن ما أتيت إلا لأخبرك بأني ما زلت موجود هنا لأجلكِ!"

قبل أن يغادر جلاء من الباب كانت يد آصف تقبض على ذراعه سريعا وهو يقول بخفوت بالعربية "أنت مدين لي بحديث طويل وتوضيح"

إلتفت إليه جلاء من فوق كتفه وقال بجفاءٍ "أيا كان ما جعلها تتشبث بك هكذا يبقى هناك تحفظا منها وخوف غريزي نحوك... وإذا لم تخبرك هي بنفسها أنا لن افعل أبدا"

رباه هل ما زال هناك من الصدمات ما سيكتشفها مع خضراء العينين؟!!!

&&&&&&&&&&

كانت تمنحه ظهرها منذ أن أتى وألقى بجسده المنهك بجانبها على فراشهم! لم تسأل ولم تعاتب ولم تحاول حتى فهم سر غضبه! تنهد جلاء بعمق قبل أن يسحبها إليه لتواجهه... لم تصدر أي صوت يعبر عن استنكارها ولم تحاول حتى أن تخفي عنه أفكارها التي تقض مضجعها! بل كانت كعادتها قوية ثابتة مجابهة وواضحة في مشاعرها.

همس بصوت أجش معاتب "اللون الأسود يغلب على روحكِ اليوم يا آيتان!"

همست ببساطة "كنت قد تناسيتها وظهورها معه جعل كل المرارة تحتلني ...عدم الثقة في حبك لي في الانتماء لروحي وحدي يضربني من جديد"

أحست بأصابعه تحيط برأسها من الوراء تجذبها تحت عنقه بينما ذراعه تلتف حول ظهرها تدفعها أقرب إليه وهو يقول "كما توقعتِ... التمرد والاصرار على النظرة التشاؤمية مخالطا لعدم تقبل الرأي الآخر عاد يصبغ روحكِ بالأسود وهذا دليل أنكِ لا تثقين في حبي ووعدي لكِ... وهذا يجرحني حتى الأعماق"

للحظات طويلة لم ترد وتسللت يدها ببطء لتلتف حول خصره وأنفاسها الرتيبة تخرج حارة بلفحة من نار تعبر عن صراعها.

أزاح يدها برفق مفلتها منه ثم دفعها لتعود إلى الوسائد وأشرف عليها محاوطها مرة أخرى قبل أن يقول بنبرة رخيمة "أنا لا أنتمي إلا إليكِ يا فراشتي البنفسجية... ولن أقبل بعد كل ما وصلنا إليه أن تكسري سلامنا واستقرارنا النفسي"

استندت يديها على كتفيه بينما تهمس مسالمة "هل نستطيع تخطي جنوني هذا ونعزيه لمجرد مشكلة زوجية وغيرة حمقاء قد تحدث بين أي زوجين طبيعيين؟"

قال بخشونة "علاقتنا ليست طبيعية أنتِ تكمليني مرشدة إياي لتوازني!"

همست مبتسمة "نعم لسنا كذلك لذا سنتخطى الأمر"

إبتسم بمكر بينما شفتيه تهبط لتندس في عنقها متسللة ببطء نحو جيدها وهو يتمتم "نعم يا بنفسجية سنفعل غير سامحين لتباين غيرنا بالعبث في اندماجنا"

لم ترد ولم يعقب كلامه بشيء مفسراً لها هذة المرة بطريقته الخاصة مدى عشقه إياها، إخلاصه وولائه، بأن لا امرأة في العالم قد تجبره للتضحية بنفسه ومبادئه غيرها ...ماحيا كل اضطرابها وحزنها معيدها للتناغم بين العقل والعاطفة!

&&&&&&&&&

"لم تخبريني كيف حصلتِ على هذا الجرح؟"

شعر بارتباكها من خلال ردة جسدها الذي ارتعش مرة واحدة ثم هدأ تماما عندما إلتفت يديه حول ساقها ورأسها يرتفع لتحملق فيه بعينيها الواسعتين كأنها تتأكد أنه هو لا غيره من يلمسها.

تنهد بصبر منتظر إجابتها بينما عادت هي تدفن وجهها في الوسادة تاركة جسدها الممدد على بطنها بين يديه ليعقم جرحها ويغير ضمداته!

"لم أحصل على إجابة؟!"

ببطء استندت على يديها تعود للاعتدال مستندة على ظهر السرير عندما رفع يديه عنها معلنا انتهاء عمله ثم اخفضت رأسها قائلة "لا أظنك ستحبذ ما سأخبرك إياه ...لذا هل نستطيع تخطي الأمر؟"

التوى فمه بإبتسامة باهتة بينما يرتفع سريعاً على قدميه يرفع الأدوات الطبية أولا ثم عاد ليجلس على طرف الفراش وهو يقول "أحتاج لأن أعلم ...لقد رأيت بالفعل منكِ ما هو أسوأ ليلة أن وجدتكِ"

امتقع وجهها بينما تتذكر ما كان منه ومنها ليلتها... متذكرة عفونتها واشمئزازه! أغمضت عينيها بينما تجيبه

بصوت مكتوم "حسنا طالما أنت مُصِر... لقد كنت أحاول أن أفتش في صناديق القمامة عن قطع ملابس تدفئني ويبدو أن أحدهم ترك زجاجة مكسورة بجانبها... وعندما هبطت مرة واحدة انغرزت على طول ساقي"

إغلاق جفنيه كان من نصيبه بينما مال يسحبها سريعاً إليه دون حذرأو خوف أن يثير ذعرها منه ...كان يزأر بحرقة "لماذا تملكين من العناد ما يعينكِ على قتل نفسكِ وتعجيز رجولتي؟!"

كانت تشعر بنار الغيظ تحرقه فحمايته وتملكه المعتاد هو ما يدفعه لذلك الغضب الخارج من كل جزء فيه... لكنها لم تستطع أن تمنع ارتجاف شفتيها من الخوف الذي غطى على ملامحها بينما تدفن رأسها في كتفه وذراعيها يتمسكان بصدره وهي تهمس بضعف مس شغاف قلبهِ وجعله يهدأ على الفور تاركا احتراقه يُصهره داخليا "أرجوك لا تُخيفني منك... كنت أفعل هذا لأستطيع العيش... لم تكن لي القدرة وقتها على العودة إليك أو تسليم نفسي لهم"

غطى يديها التي تستريح على قلبه وقال بصوتٍ مكتوم "من هم يا دجينة؟ منِ هذا الذي تجميعه مع والدكِ أنا أعرف الآن أن هناك سرا آخر تخبئينه عني"

هزت رأسها ترفض بأصرار بينما شعر بدموعها تلسعه وشهقات بكائها تفلت منها عاجزة عن منعها... تمتمت فجأة بصوت مختنق "لا أستطيع إخبارك... هذا سري وحدي ولن أبوح به لك أنت بالذات من بين البشر أبدا"

للحظة لم يقل شيئاً بينما يزيحها لتوجهه بعينيها الباكيتين ...إلا أن توتر فكه وذلك القهر في عينيه قالا

الكثير "استطعت إخبار جلاء ولكن أنا لا... بعد كل ما نمر به!"

نظرت إليه بعجز وقالت بصوت غير مستوي المشاعر "جلاء ليس الرجل الذي عش..."

قطعت جملتها مجفلة من نفسها مصدومة باعتراف تجاوز أسوار القلب العاصي وكاد أن يقر بضعفها الذي ترتعِب أن يعرفه... كادت أن تبتعد عنه فأمسك بوجهها سريعا بين كفيه "لماذا تصرين على العناد؟"

قالت بعينين متهربتين "أنا لا أعاند ولكن لن أسلمك قلبي مرة أخرى لقد اخبرتها لك مرة وندمت ولن أكررها أبدا... إذ اكتشفت أنك كنت مجرد وهم وسراب!"

أحس بقبضة تعتصر قلبه وهي تردد خيبتها فيه... رغم دفاعها منذ ساعات عنه وعن ارتباطها به أمام ابن العاشوري.

رفعت نفسها من بين ذراعيه بحِذر وكأنها أدركت للتو مدى جرحها إياه بقصد أو دون قصد بما يتصارع به فكرها "أنا أؤذيك مدخلة إياك في دوامة ليس لك بها شأن... من مصلحتك أن ترمي بي بعيدا عنك يا آصف... أنا ما عدت أصلح لشيء... وعلى كل حال أنت تكرهني"

بصبر رجل لم يعرف الهزيمة يوماً... بروح عازمة على عدم التخلي عن مسؤولية قد حملها لنفسه حتى لو أهدر فيها روحه كانت يديه تمتدِ لتتخلل شعرها الناعم ويده الأخرى تتشبث فيها مانعا إياها من الابتعاد... قال بصوت أجش "أكرهكِ؟! هل تعرفين عِظم هذا الاتهام؟ أنا لا أكرهكِ يا دجينة وإلا ما كنت بحثت عنكِ لأضمكِ تحت جناحي!"

قالت بقهر "الطفل يجبرك... أنت لا تملك خياراً أخر"

دفعته بيديها مجاهدة للابتعاد عنه فعادٍ يوئد محاولتها بسهولة ضامها إلى صدره بقوة... مكتفيا فيها... متألما من انفجارها العنيف بالبكاء فوق صدره ...لدقائق طويلة أخرى كان يحتويها مهدئا وجعها وانعزالها الإرادي من الجميع حتى هدأت بين حنايا صدره متهربة بالنوم بينما يديها تتشبث فيه وكأنها تطلب إلعون الصامت مرمية دروعها ملقية بقوتها الواهية بعيدا لتظهر أمامه على حقيقتها القاتلة... مجرد انسانة عاجزة وحيدة ومذعورة.

&&&&&&&&

لقد مر شهر منذ عودتها معه إلى هنا... شهر من الاستقرار النفسي والعاطفي رغم اضطراب مشاعرها ضده... شهر أراها فيه ما لم تكن تتوقع أبدا... شهر من النقاشات الحرة وتقبل تخبط أفكارها وجهل ثقافتها!!!

والآن حان وقت أن يعلنها لعائلته زوجة كما أخبرها وقد بات هذا الأمر مجبر عليه بالفعل إذ أنه أخبرها بسبق نشره للخبر منذ زمن!، ورغم رفضها الشديد، لم تستطع أن تعترض أو ترفض تلك الدعوة العائلية الضخمة المقامة على شرفها هي وزوجها في بيت عزيز العاشوري!

وبينما هي تجلس في أحد المقاعد المنتشرة في صالة الاستقبال الضخمة لمنزل عزيز.. منزوية منكمشة وترتجف رهبة، رهبة لم تكن تعرف أنها تمتلكها بعد كل الجموح الذي عاشته.. بعد كل التشرد الذي ذاقته وبعد لياليها الباردة والخطرة التي قضتها في أزقة فرنسا!

خوف كان يتملكها وهي تراقب ذلك الحفل العائلي الفخم وهؤلاء الأفراد المتكلفين جدا في الملبس والحديث وحتى طريقة التعبير عن مشاعرهم، مشاعر باردة! هكذا أخبرت

نفسها بكل صدق واقتناع، باردة متعالية يخالطها الاستخفاف والعجب وهم يعقدون مقارنة بسيطة بين مظهرها الأقل من عادي، وبين آصف الذى يقف هناك يؤدي دوره بإتقان وفاعلية، دور متحكم في أفعاله وعواطفه وحتى طريقة حديثة!

ارتبكت أكثر عندما التقت عينيها بعينيه أخيراً، وهو يتمتم باعتذار واهي ويتحرك إليها علي الفور انحنى دون حرج يوازن جسده على ساقيه فتنساب طرفي جاكت بدلته على الطرفين بينما يقول بصوت ثقيل واضح الكلمات للأعين الفضولية التي تحولت تنظر لهم باهتمام "تبدين بخير الآن، لأني أفتقد مكانكِ الطبيعي بجانبي"

أناملها التي ارتفعت تعيد خصلاتها وراء أذنها أخبرته عن توترها الشديد الذي رافق قولها هامسة "أنا بخير هنا، لقد عرفتني عليهم وأنتهى الأمر"

استوى في وقفته وهو يشد مرفقيها بلطف لتقف أخيراً بجانبه بينما يحتوي كتفيها بذراعه واستدار يتقدم بها نحو المجموعة الصغيرة التي كان يقف معها وهو يقول بخفوت "منذ متى تخافين الناس يا متمردة، مكانكِ بجانبي دائما دجينة!"

مكانها بجانبه هل يمزح أم يتقن دوره؟! ومن أين سيأتي بتلك الأبدية وهو ينوي تركها؟! ومن أين تأتي هي بالشجاعة أو القدرة على التعايش مع كل تلك الأوجه الخادعة، مع كل ذلك الزيف والضمائر الخسيسة تحت البدل والفساتين الباهظة وإن اختلفت الأوجه وإن اختلف رد فعل تلك العائلة عن معارف وعائلة أبيها ما زالوا يشتركون في شيء واحد نظرة الازدراء الموجه ضدها نظرة

تقييمية جارحة! وهو بعض النظرات الفضولية مختلطة بنظرة غيرة وحسد وربما حقد من بعض النساء!

يديها تشبثت به.. تتمسك فيه فيمنحها هو المزيد من الحماية من التملك ومن تشبثه بها.. وكأنه يعلن للعالم أجمع أن قراره أصدر ولا رجعة فيه أبدا!

"دجينة"

صوت رخيم أجش كان يأتي من ورائهم فالتفت سريعاً بفضول مستكشف لتلك النغمة الصوتية التي يخالطها الحفوة والتعجب وربما بعض الاستكشاف توسعت عينيها للحظات محاولة تذكر أين رأت هذا الوجه الذي قارب الستون عام ربما! فلم تسعفها ذاكرتها "لم أدرك أنها جميلة وتناسبك لهذا الحد لقد أحسنت الاختيار!"

عاد صوت الرجل يضرب مسامعها بتحكم وسيطرة وكأنه يقر أحد شروط ومواصفات منتج ما لا يصف شخص من لحم ودم، وما جعلها تصدم ولا تقوى على الرد هو تقبل آصف للتقييم دون تملكه وخشونته المعتادة وهو يقول بهدوء! "هي كذلك بالفعل"

مد الرجل يده أخيراً نحوها فبادلته سلامه وهو يقول "عزيز العاشوري أعتقد بأنك سمعتِ عني من قبل!"

دارت ارتباكها وهي تقول مندفعة "بالطبع كيف أنسى تلك العينين، أو حتى أجهل اسمك وقد حولت حياتي لجحيم قبل أن..."

قطعت جملتها وهي تعض على شفتها السفلى بندم قط صغير قلب إحدى أكواب اللبن من رأسه حتى أخمس قدميه ..بينما تصلب جسد آصف كليا ويده تشد أكثر على خصرها، عم هدوء نسبي بين ثلاثتهم لثواني معدودة

قبل أن ينفجر عزيز في ضحكة نادرة وهو يقول "تعجبني فتاتك يا آصف، تبدو كقطة صغيرة لطيفة تحاول استكشاف مخالبها عبثا!"

اكتف آصف بابتسامة دون رد بينما عيناه الصارمة كانت تلتفت لشيء أهم، فراشته التي كانت تخطو نحوهم بأناقة وملامح مغلقة تماما لا تعكس أبدا ما الذي تفكر فيه وقد تعمدت أن تتجاهل وجود زوجته منذ بدأ الحفل حتى كاد أن يأخذ قراره الصارم وينصرف من هنا احتراما لزوجته، ولكن ما منعه ذرة عقل واحدة بقيت لديه بأن دجينة يجب أن تتعرف عليها عائلته وآيتان مجبرة كانت أو مخيرة يجب أن تتقبلها!

"في الواقع أنا من حولت حياتك لذلك الجحيم وليس عمي؟!" قالت آيتان ببرود رغم بعض نيرانها التي ما زالت مشتعلة داخليا، ولم تكتفي عندما ارتفعت على كعبي حذائها العالي برشاقة وطبعت قبلة عنيفي على وجنة خالها ثم استطردت أمام ارتباك حدقتي دجينة "حمدا لله على سلامتك خالي لقد اشتقت إليك؟!"

نظرة خاطفة كان يمنحها آصف لدجينة كأنه يطمئنها أن الوضع بالكامل ما زال تحت سيطرته ..ثم ما لبث أن التفت لآيتان يخبرها باسما "هل تلك محاولة طفولية لمحو مقابلتنا قبل شهر!"

هزت كتفيها بينما تراقب الفتاة بنظرة غامضة ثم قالت بتكلف "وهذا على أساس أني لم أقابلك في الشركة عشرات المرات!"

رفع آصف حاجبيه دون تعبير رغم أنه لأول مرة لم يفهم مقصد آيتان الحقيقي مما تفعل ولكنه لم يعلق في محاولة لدراسة الموقف كله قبل أن يتسرع في منح الحماية للتي

تتعلق بذراعه أو لابنةٍ أختهِ المتحفظة كنمرة شرسة تحتفظ بها مقيدة جيدا عميقا بداخلها.

هنا تدخل عزيز مقترب من آيتان يلف كتفيها ليزرعها تحت جناحه وهناك غريزة أبوية لم تلمسها دجينة قط في أحدهم تطل من عينيه وهو يطبع قبلة عميقة أعلى رأسها ثم قال بصوت رخيم دافئ ترك داخل دجينة وحدها أثر لجرح أبدا لن يمحى "ربما صغيرتي تريد أن تمحو المقابلة الأخيرة وهذا الترحيب قصدت به زوجتك!؟"

راقبتٍ دجينة مبهورة الأنفاس ارتخاء أعصاب آيتان الكامل وشيئا عميق يذوب بداخل عينيها ليطفو فقط لمعة التشبع والأمان، تشبع امرأة تعرف جيدا أنها مهما أخطأت.. تطرفت أو حتى وقعت من جرف جبل عالٍ هناك يد حازمة قوية تغلفها بعاطفة داعمة قوية متينةً لن تتركها قط، ذلك النوع من العاطفة التي لن تجربها هي أبدا ما حيت "بالطبع عمي، هذا ما عنيته"

ثم وبدون أي مقدمات كانت تتقدم نحوها تلف كتفيها بخفة ثم تقبلها منٍ الجانبين وهي تقول بخفوت "زوجة آصف مرحب بها دائما بيننا؟!"

&&&&&&&

عندما سحبتها آيتان منذ ساعتين أو أكثر كانت داخلياً تقاوم وبشدة الاستسلام ولكن دافع الفضول الذي يحرقها اتجاه تلك المرأة على الأخص كان هو المنتصر!

للغرابة هي تقبلت اعتذار آيتان البارد وإن كانت لم تعبر عنه بكلمات واضحة صريحة، رغم تأملها من قبلها برقة وكأنها هي الأخرى تحاول اكتشاف ما وراء صمتها وهدوئها الذي لا يعكس أي شيء مما بداخلها... لقد كانت ببساطة تحلل ما الهدف من اصرار عزيز العاشوري

لمقابلتها بل ومباركة زواجهما... ذلك الرجل الذي طالما سمعت عنه من جلاء أحاديث جعلتها تنفر منه وتكرهه دون أن تراه لتصدم بواقع أن الرجل رغم برودته وعمليته إلا أنه أب لم تكن تحلم أن تجده يوما! وهذا ما لمسته من خلال ترحيبه بها وعطفه عليها بل واصراره ليوصل لها كم أنه يتقبلها بينهم ويبارك زواج آصف منها... ما جعلها تذهل حقا حفاوته بآصف وتفاخره به كأنه ولده هو! ولما لا وكما فهمت أن آصف بشخصيته المصقولة الناجحة والعملية المسيطرة هي كل ما كان يحلم به عزيز لجلاء يوما وما أوقفها حقا دلاله الزائد وعلاقته بآيتان شبيهته بنسخة نسائية شديدة الاناقة والترفع و الجمال!

آيتان العاشوري رغم ما تثيره بداخلها من رهبة ولكنها لا تملك إلا الإعجاب بها... هي لا ترفضها أبدا رغم ما يعتقده آصف وجلاء... عادت بتفكيرها الكامل لآيتان... هل حقا هو مجرد تقبُل منها لأجل آصف؟ أم أن هناك شيئا أخبرها جلاء به جعل الفتاة تنظر لها بطريقة متعاطفة رغم رفضها؟!

توترت ومجرد الفكرة تهز الأرض من تحت قدميها لا... لا تريد أن يعرف أحد ما تعرضت له هنا، لا تريد المزيد من تهشم صورتها المشوهة بالفعل، هي ليست غبية لتلاحظ النظرات التقييمية من النساء ما بين متعجبة وناقدة وربما حاقدة حاسدة، وقد سمعت همس إحداهن الوقح أن ما كان متوقع لآصف هو عودته الى هنا واختيار أحد بنات العائلة والتي عرفت الآن أنهن على عكس المتوقع ليس مدللات فارغات العقل، بل بعضهن مهندسات أو طبيبات وسيدات أعمال كما التي تجاورها وتحاورها محاولة أن تجعلها تتحرر من صمتها وتشاركهن الحديث!!

ووسط هرج النساء والمزاح وربما الدفء الذي استشعرته وسط أحاديثهن كان صوت أمال الدافئ يعود يمازحها غامرها بالمزيد من شعور بأنه على عكس كل أفكارها هي مرحب بها وبشدة بينهن "لم تخبريني أن زوجة خالك أكل القط لسانها.. لقد أضاعت كل مخططي لأقوم بدور الحماة واختبارها أو ربما التشاجر معها بما أنك لم تمنحيني تلك الفرصة آيتان هذا محبط ، كما أني لن أستطيع على كل حال إعلان حرب على امرأة حامل!"

احمر وجه دجينة حرجاً مرتبكة ومزيد من الضياع و التشتت يلفها.. لا هي لم تتوقع كل هذا التقبل لم ترسم أبدا في مخيلتها أن مظاهرهم البراقة لا تخفي تحتها نفوس متعالية ورافضة وربما شرسة مهاجمة كما اختبرت مع أهل ومعارف أبيها!

"دجينة تحب رصد الأشياء وتحليلها قبل أن تهاجم يا أمي، لذا لا تحبطي، قريبا ستمنحكِ كل ما يلزم لتقومي بدور الحماة!"

"جلاء!" قالتها أخيراً وهي تراقب صديقها الذي عرفته ووثقت فيه لزمن ثم غدر ونسي ببساطة، منحها ابتسامة حانية ممزوجة بالمزيد من الاعتذار بالتوسل الصامت لأن تفهم معاناته هو الآخر بينما ذراعيه تلتف حول خصر زوجته دون تردد ورأسه ينحني لوجهها الذي التفت إليه بنظرة غامضة ثم دون مقدمات ودون أي خجل كان ينحني ليقبلها!

تعالت ضحكات النساء وغمزاتهن بينما هي اكتفت بابتسامة هادئة وعينيها تعود للمرة المائة تبحث عنه لتجده كما عرفت يقف هناك ورغم تظاهره بخوضه نقاش هام مع إحداهم، عيناه لم تترك أبدا حصاره إياها

بدفئه ..ولا أراديا وشيئاً فشيء وجدت نفسها تعود أخيراً لدفئه والأمان الذي يمنحها إياه بين حنايا صدره.. همس "هل تعبتِ يمكننا المغادرة الآن"

هزت رأسها رافضة تماماً للفكرة مصدومة بما تخبره إياه متمتمة "لا أريد، أرغب في المزيد من الاكتشاف !"؟

&&&&&&&&

"جلوان" ما الذي يعنيه هذا!

رد آصف بابتسامة هادئة بينما يضم الصبي إلى صدره أكثر "ليس لدي أي فكرة"

"أنه امتزاج تباييني لاسمي وجلاء ومعناه الذي يحمل بين طياته التناغم والهدوء والتعقل رغم نارية صاحبة تشرح علاقتنا باختصار!" قالتها آيتان بينما نظراتها لم تترك دجينة بعد من حصارها!

قال آصف ممازحاً "عقل وهدوء ..هل تمزحان معي لا أنتِ ولا ذلك الفتى الأحمق تعرفان معنى للتعقل!"

"خالي" نطقتها آيتان مؤنبة..

تأفف وهو يمنحها نظرة عرفت فحواها جيداً لقد كانت آمرة أكثر منها مطالبة لقد أراد منها آصف ما سبق وتشاجرت بسببه مرة أخرى في الشركة رغم الاعتذار الذى منحته له.. رغم مطالبتها له كصديق ووالد وحامي بعيدٍ تماما عن علاقته بزوجته.. ولكنه يبدو أنه لن يتنازل أبدا عن ما يريده رغم أنفها وقبل حتى أن تلتقط أنفاسها وتوازن أمرها هي مجبرة على أن تتقبل تلك الدجينة؟! ولكنها ستفعل يوما ما مؤكد باختيارها وليس لإجبار إحداهم على الأمر...

ليلاً

"أين ذهبتِ؟"

التفتت إليه حيث كان يتكئ على الوسادة يقرأ أحد الكتب بتركيز كعادته التي عرفتها عنه طوال الأشهر الماضية.

قالت "هنا معك ولكن أنت من كنت مستغرقاً" صمتت ثم أضافت بفضول "عن ماذا يحكي هذا الكتاب؟!"

أنزل الكتاب من على وجهه وأسنده على الطاولة الصغيرة بجانبه قبل أن يفحص ما ترتديه لبرهة... لم يتعجب عندما وجدها بدلت ملابسها بمنامة بنية الألوان طويلة الأكمام وبنطال ثم قال بهدوء "لا شيء معين مجرد أفكار أحدهم!"

تجهمت ملامحها وهي تقول "ما عدت أفهمك... إذا انفتحت أنا معك تعود لتنغلق على نفسك... وإن رفضت أنا السلام تهرع أنت لطلب ودي"

ابتسم بعاطفة عميقة وهو يقول بعبث "مرحباً بكِ إذاً في تضارب أفعال الرجل الشرقي"

زمت شفتيها وهي تقول بإصرار "ما زلت أريد المعرفة"

ارتفع قليلاً يمد يديه ليرفعها قليلاً لتجلس على ركبتيه وهو يقول بتلاعب "مجردٍ أمر ليس بجديد عن وضع المرأة في الثقافات الغربية قديما!"

يديها استراحت على صدره وهي تقول بشك "لماذا أشعر أنك تنوي شيئا"

هز كتفيه وهو يقول بهدوء "وماذا سأنوي عزيزتي من رصد تاريخي يحكي عن معاناة المرأة قديما في اوروبا؟ عن

معاملتها على أنها "موجود من الدرجة الثانية" وعن سلبها أقل حقوقها لتصبح فقط ملكا لزوجها هي وجميع أموالها... حتى حق الحياة وروحها كانت ملكه... فأقل خلاف بينهما كان ليقتلها ببساطة؟!"

صاحت وهي تشير باتهام "ها أنت كُشِفت... أنا لديّ حق أنت تحاول تشويه صورة المرأة الغربية الحرة في عقلي لتشير بإصبع الاتهام واقتنع بوجهة نظرك عن المرأة هنا؟!"

تمالك نفسه بصبر وهو يزيح يدها من أمامٍ وجهه ثم قال "تلك هي الحقيقة التي لن يستطيع أحد أبدا إنكارها ولا هم أنفسهم والآداب الغربية والقصص والأشعار منذ القرون الوسطى تدعم وجهة نظري!"

كانت تجز على أسنانها غيظاً مدركة أنها لا تملك حجة قوية تواجهه بها من تلك الناحية... أمسك آصف ذقنها بأصابعه قبل أن يقول ببساطة "أما عن حرية المرأة دعينا فقط نتفق أن تلك القضية من قديم الازل ما هي إلا شعارات واهية يتاجرون بها... إذ أن من أطلق ذلك الشعار لم يقصد به الحرية بمعناها المفهوم بل الحرية من كل شيءٍ حتى حوّلوها لمعنى غير اخلاقي مستغلين المرأة معنويا وجسديا بدعوة التحرر!"

قالت بتجهم "لا هذا فكر مخلوط آصف يطلقه بعض ممن يخافون أن ننال حريتنا... أن نبتعد عن أيديهم ولا نصبح مجرد أجساد للمتجارة... بحجة والد يبيع وزوج يشتري"

قال بهدوء متفهماً مقصدها "المرأة المسلمة لا تباع ولا تشترى دجينة"

أشاحت بوجهها بعيداً عنه وداخلها يبدأ شيئا فشيئا الإيمان بأفكاره! ثم قالت بتهرب "ربما هذا صحيح ولكن هناك قلة

تفعل والأكثرية ترفض حريتنا... بل تقرن حرية المرأة بالانحلال الاخلاقي ؟!"

فكر للحظات قبل أن يقول بصوت رخيم "دعينا من ذلك الاقتران الأن ولنتفق على نقطة واحدة بما أني وأنتِ حالتان عاشا في الدول الغربية متلمسين حقيقة وضع المرأة هناك"

عادت تنظر الى وجهه باهتمام وهي تقول بهدوء "أسمعك"

بسط راحتيه أمامها وهو يقول "حركة الحرية للمرأة في الغرب قامت في الأساس على الاعتماد على ما تراءى لهم من تنظيم الحياة... متخبطين بين عدم الالتزام بدينهم وبين شرائع متضاربة ظالمة وضعتها عقولهم التي استقت من المادة التي يلهثون ورائها فاصطبغت حياتهم بالجفاء والقسوة... وذلك أدى إلى الفرط في استخدام المرأة لإشباع غرائزهم رابطين الحرية بالتحرر اللااخلاقي ...منادين بها إلى استعباد الجسد... طرف ينتفع بها لتلذذ الرجال في المقام الاول ...نازعين منها حيائها وكرامتها جاعلين أهم وظائفها إبراز مفاتنها."

قاطعته "وما دخل كل هذا بما لمسناه إن كان ما تؤمن به صحيح"

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يرد بسلاسة "كل ما أقوله في صلب التحرر الخادع دجينة... إذ أن من المؤسف إخبارك أن الحرية المغلوطة بأفكارهم هناك ما هي إلا معنى مجحف للتحرر من القيود العائلية والدينية... التحرر حتى من التزامات الزواج وتشكيل الأسرة حتى أصبحت العلاقات هناك مباحة لا تستند على وعود ورابط مقدس فأصبح معدل الأطفال غير الشرعيين أكثر من الأطفال الشرعيين... وبطبيعية الحال لن تستطيع الأم ربط نسبه

بوالده إن رفض الاعتراف به... غير إجبارها من سن مبكّر على إطعام نفسها البحث عن وظيفة والتكفل بكل أمور حياتها... وهذا ما أدى إلى ظاهرة التشرد للنساء أكثر من غيرها أو اضطررها للأسوأ... امتهان العهر"

صمت لبرهة قبل أن يضيف "حركة التحرير للنساء لم تتم في سياقها الصحيح... إذ أنها مجرد خدعة من الرجل أوهمها بها ليشغل عقلها ويضرب أفكارها وبالنهاية مهما وصلت المرأة لأرفع المناصب تجد هناك رجل يرأسها أو مجموعة منهم إن أرادوا إنهاء حربها وجهادها سيأدونهم بطرقعة إصبع"

بدا عدم الاقتناع على ملامحها وهي تقول باستنكار "هذا على أساس أن العرب منحوها المساواة والعدل هنا"

"أنا لم اقل هذا... بل العكس هنا وهناك ظلت قضية المرأة خديعة للمتاجرين... حرب انسانية لن تنتهي أبدا... إذ من قديم الأزل حسمت الأفضلية لصالح الرجل ...ورغم أن الدين الإسلامي هو الدين الوحيد الذي اهتم بالمرأة وشرع كل ما يحميها لكن لم ينفذ أحدهم تعاليمه بالشكل الحرفي"

قالت بحيرة "إن كانت القضية سيان ما الذي يجعلني أتقبل هذا أو ذاك؟"

اقترب منها ممسكاً وجهها بين كفيه وهو يقول بحزم "هنا في عقيدتنا أنتِ لست مجبرة لتواجهي العالم وحدكِ ...بأن يولد طفلكِ دون اسم أبٍ يحميه من عار عدم الشرعية... هنا أنتِ ملزمة مني لأحميكِ وامنحكِ حقوقكِ وأمانكِ حتى وإن انفصلت عنكِ يوما!"

وضعت كفيها على كفيه وهي تقول بمرارة "أنت تتناسى أن أبي مثلهم ودفعني للعيش كل هذا لأعوام ...وأن البديل

الأسوأ بيعي عن طريق عقد وجد من يُقر بشرعيته... هل زواج المصالح المحدد لِعامين ونصف يعد أمان لي يا آصف... هل استغلالي جسديا من خلاله يملك أية شرعية؟!"

توجست ملامحه وهو يقول "ما الذي تعنيه بعامين؟"

كفأر حين يجد نفسه عالقاً في المصيدة تراجعت عنه لتزحف للطرف الأخر للفراش شاعرة بقلبها يقفز بين أضلعها تأثرا بالذكريات البشعة لخطبتها... لتلك العينين الوقحتين المتوعدتين التي أرعبتها ولتلك اليد القذرة التي استباحت حرمتها بدعوة أنها مجرد فتاة غربية مستباحة من الكثيرين وهو مجرد رقم في دفترها فما الذي سيعنيها أو يضرها إن سلمته نفسها حتى وإن كان رغم إرادتها؟!

قال آصف بتوتر "ما وصلت إليه أنه كان مجرد زواج مصلحة... زواج شرعي من النوع الدائم ووجه اعتراضكِ ... أنكِ لم تحبي ذلك الشخص"

هزت رأسها رفضاً وملامحها تحمل آلاماً لا حدود لها وهي تقول "لا.. هذا غير صحيح.. ذلك الرجل كان واضح النوايا... زواج حتى يحصل على الجنسية الفرنسية ثم يمنحني بعض المال مع طلاقي كهدية فوق بيعته لأبي... بالطبع إن وافقته على ما يريد"

قسا وجهه بالغضب، بالقهر، بالحاجة لتدمير كل شيء وقال من بين أسنانه بغضب لم يكن موجه إليها "وما يريده بالطبع أنتِ"

انكمشت على نفسها وهي تقول بذعر يتصاعد داخلها.. "لقد قال... قال... أخبرني"

مدفوعا بالغضب بالقسوة بشيء أسود غاشم يحل على روحه كان يمسك بذراعيها بخشونة هادرا فيها "ما الذي

طلبه منكِ؟ انطقي هل أغواكِ؟ هل سمحتِ له بالبدء معكِ فيما يطالب به؟"

لم ينمحي رعبها وهي تهتف به "وهل لو سمحت له كنت الآن بين ذراعيك يا غبي"

أجفل من ملامحها وهو يراها تقاومهِ وتحاول التحررِ منه ...أفلتها وهو يراقب ما تفعله فبدلا أن تندفع بعيدا عنه جلست أمامه تضم ركبتيها إلى بطنها البارز... تحتضن نفسها بذراعيها وتدفن رأسها هناك وهي تهمس مرتعشه "لقد أراد مني ما يبحث عنه كل عربي هنا... واضعين في عقولهم أننا مجرد عربيّات منحلات تربينا على تقديم أجسادنا لكل من يطالب بها لنطفئ فورة الجسد والشهوة متناسين أننا بالأصل منكم... أن كل ما نختلف فيه هو عدم الالتفاف... عدم تقديم النوايا الخبيثة... أنا لا أخادع يا آصف لا أخادع أحدا... وأصدق بغباء كل من يعدني بالأمان وعدم الايذاء!"

صمت للحظات طويلة وقلبه ينبض بسرعة مجنونة وهو يجزم الأن بأن الأمر أبعد مما تخيله يوما "ما الذي جعلكِ تهربين إن كنتِ وافقتِ على تلك الخِطبة من البداية؟"

قالت بصوت متهدج دون أن ترفع رأسها المنكس إليه "إن أخبرتك لن تفهم"

قال بصوت مكتوم "سأحاول!"

"لا أستطيع"

عم الصمت المهيب بين أرجاء الغرفة من جديد لدقائق طويلة لم يتحركٍ أحدهم من مكانه قبل أن يتركها هو على تكورها مسلما أنها لن تفتح له قلبها يوما مصارحة إياه بذلك الجزء المظلم الذي ترفض الإفصاح عنه.

جلس على طرف السرير يدفن يديه في شعره يكاد يقتلعه من جذورهِ محنيّ الرأس محبط بشكل رهيب لم يتخيله في نفسه يوما... اهتز جسده برد فعل تلقائي ويديها الناعمتين الدفئتين تتسلل تحت قميصه ملامسه ظهره ثم ببطء تلتف حول خَصره.

ووجنتها تستريح على كتفه ثم همست وكأنها تصر على المزيد من الإنكار "أنا لم أقدم لك ما يدفعك للتمسك بي... لربط نفسك واسمك بي... لقد رأيت الرفض في أعين البعض والاستنكار بهيئتي وكياني."

أطلقت شهقة عنيفة وهي تتشبث بذراعه التي إلتفت لتجذبها أمامه مجبرها لتهبط من على الفراش لتصبح راكعة على ركبتيها بين ساقيه وجهها الذاهل مرفوع يقابل وجهه الغاضب المتجهم وقال بقهر "أنا لن أتركِكِ... لن أطلقكِ أتفهمين؟"

هزت رأسها بعنف هاتفة فيه "لقد اتفقنا"

كز على أسنانه وهو يقول بقهر "أنا أُحبكِ... أُحبكِ... هل تسمعين؟ أنا أحبكِ يا دجينة وملعون أنا إن سمحت لكِ بالعودة لكل ذلك الظلام!"

ذبذبات الخوف التي كانت تفيض منها تحولت إلى سكون تام... رأسه المنخفض كان يبحث عن عينيها التي حدقت في عينيه مباشرة متسعتين بذهول... ارتعاشة عنيفة اجتاحتها بين يديه جاعلة ألم لا يحتمل يمزق قلبه وهي تتمتم بارتجاف منكسر "أخاف أن أعيش الوهم وأن أصدقك... أن أؤمن بذلك العشق الوهمي لأعود لأنكسر على صخرة الواقع... أن استقر فيك على وطنٍ فيعود لينفيني بقسوة من رحمة"

"آمني بي ...أعشقي وطنكِ دون شرط ...اجعليه ينصهر بكيانكِ ...تشبعي مِن هوائه... امتزجي بين دروبه... ولن يجرؤ ويلفظكِ أبدا"

"أخاف أن يرميني في بئرٍ مظلم عميق لا قدرة لي على النجاة منه"

"كل مرة يرميكِ فيها تذكري أنا معكِ وسأظل معكِ!"

استقامت دون أن تتحرك من موضعها تكتم انفاسها المضطربة في عنقه... بينما رأسها يدفن في تجويف كتفه... همست بضعف يمزق نياط القلب "ضمني... ضمني بشدة ولا تفلتني"

ذراعيه إلتفت تحت كتفيها دافعها أكثر وأكثر إليه "أبداً ... أبدا لن افعل"

أطلقت نفساً عميقاً بينما يديها تبحث عن عمق نبض قلبه لتضعها هناك وكأنها ستختبر صدقه!

كانت مشاعره تخنقه وهو يتركها تتلاعب ببراءة غير مدركة ما تحركه فيه من جنون وجموح... هو يرغبها... يريدها! كان يمنعها عن نفسه احتراما لرجولته وعدم كسر وعده القاطع بعدم الاقتراب منها إلا بعد أن تمحي من عقلها ما زرعه والدها فيها... كان يريدها أن تمنح بعشق وتذوب باقتناع... كان يريدها راغبة للمشاعر إذ لم يبحث يوما فيها عن شهوة يطفئها...

ووسط صخب ما يحدث لم يدرك نفسه وهو يتصرف بغريزية عندما رفعها مرة أخرى ليس لشيء إلا أن يمددها على الفراش ثم يشرف عليها بجذعه ...شفتيه تبحث عن شفتيها مكررا ولهه بها من وسط قبلاته... يديها ارتفعت تلتف حول عنقه ورأسها يندفع لتبادله شغفه وكأنها

تتعرف عليه من جديد بعد طول بعاد... تتلمسه بعد طول جفاء... تعرف مذاقه بدون شوائب تخبطها ربما يطمئن قلبها الثائر معيدا نبضه النافر بضرباته الطبيعية.

"آصف" تهتفها بهمس خافت شديد فتضخ الرغبة العمياء سائلة نارية في عروقه... فتنتزع عنه كل حكمته ووعوده وأية لحظة تردد كان يستشعرها بداخله... تلاحقت أنفاسه وعنفه قسوته، جموحه وبريته التي عرفت أنها لم تظهر إلا معها تدفعها للمطالبة بالمزيد منه... للرغبة الحارقة فيه... لنسيان من هي ...تاركة إياه يترك بصمته في كل إنش منها متذوقها... ممتلكها بكل طريقة تجعلها لا تصلح لغيره أبدا ماحيا أي لمساتٍ ليد قذرة قد نالت بعض منها يوما، هكذا كان هو دائما منذ اول ليلة سلمته فيها رغم رعبها من تماسه الجسدي، علاج حارق لكل ذاكرتها ممحيا كل مخاوفها وكأن محايلته عذريتها.. وطفولية أفعالها تصهر كل مشاعرها السلبية لتسلمه من جديد لترغبة بقسوة من جديد لتتحفز كل ذرة من مشاعرها الحسية مطالبة للمزيد منه للنهل من عاطفته حتى التخمة ...تاركة أياه يفعل بها كل ما أراده... يجتاحها بأكثر الطرق البرية لرجل عاطفي وأفعاله حسيي تصل حد سلبها عقلها!

عينيها الخضراويين كانت تتوسع بذهول مصدومة من تطرف أفكارها... من إقرراها الصادم أنها هي من تريد منه امتلاكها

"آصف" رددتها مرة أخرى باستنجاد بتوسل لشيءٍ مجهول لا يعلمه

"أنا أريدكِ... أريدكِ الأن يا دجينة" كان يقولها بحرقة بينما عقلها الضبابي كان يتخبط بين الحاجة الضارية

لأن تشعر به، بلمساته، بقوة جسده، بالنار المنصهرة الخارجة من قبلاته وبين الهروب مرة أخرى ذعرا... ولكن حاجتها اليه عشقها إياه كان الغالب على كل تمرد قد يبديه العقل او الجسد فتوأده في مهده ...عضلاته القاسية عادت تغطيها يحجزها فيه أكثر يديه تجردها من كل ما يمنعها ان تشعر ببراكين جسده ثم اخيرا كانت تلتحم فيه دون فاصل لتسري تلك الطاقة العنيفة المشابهة لماس كهربائي يمزجها فيه دون تنازل التفت ساقيها حول خصره وارتفعت كفيها تلفها حول عضلات ظهره القاسية ودفنت شفتيها الناعمتين على شرايين عنقه مباشرة وكأنها تحثه للمزيد من ذلك الجموح البرئ الذى اندفع نحوها منه جاعلها تطلق صرخه قصيرة مصدومة باسمه؛ وكل إنش منها يتشكل مع جسده مستسلمة ومسلمة لسلبه كل دفاعاتها، خيراتها... ماحيا تماما كل تمردها، مبعدا عن عقلها أي تشككٍ في دفاعاته نحوها... هو ببساطة يذوبها وينصهر فيها عشقا.

&&&&&&&&&

فتحت دجينة عينيها بكسل ويديها تبحث عن دفء جسده لا إراديا عندما استشعرت برودة الفراش من جانبها... سرعان ما انتفضت تجذب الغطاء فوقها متشبثة به عندما أدركت وجودها عارية فوق فراشه... للحظات كانت تعجز عن تذكر كيف انتهت ليلتها معه! توقف قلبها عن الخفقان بينما حدقتيها تقع على آصف الذي يقف أمامها يسند ظهره على الحائط خلفه أحد قدميه تستوي هناك بينما يكتف ذراعيه على صدره... رافعا حاجبا واحدا بتحفز

وكأنه... وكأنه ينتظر جنوناً آخر يصدر منها وإلقاء اتهامات... ولكن لخيبة ظنه لم تفعل!

وجهها كان يحمر خجلاً وحرجاً بينما عينيه الحازمتين العابثتين تبث لها كل ما فاتها وسط لجة مشاعرها متذكرة بقسوة ما كان منها ومنه! "مرحبا" نطقتها بتوتر بإرتباك وكأنها تحاول عبثا كسر سحر اللحظة التي جعلت كليهما يتذكر ليلتهما العشقية ...ذلك الجانب البري الضاري الغير قابل للكبح أو الضبط الذي كان يصدر منه رغم محاولته اليائسة لئلا يفعل... ولكنها كانت تدرك أنه كلما زادت براءتها في المطالبة به كانت تفقده كل اتزانه وسيطرته مثيرة جنونه جاعلة جسده ينتفض بعنف... مطلقا كل وحشيته الحقيقة بعيدا عن تلك الواجهة المتحكمة الباردة ...هي تدرك وتوقن الآن أن آصف معها رجلا آخر غير هذا الذي يتغنى بانضباطه الجميع.

"مرحبا" كست عينيه غشاوة من العاطفة وهو يرد بصوت أجش عميق وكأنه يدرك تطرف افكارها

"تبدو متحفزاً للانقضاض عليّ"

ارتسمت إبتسامة حنان على شفتيه وهو يقول "وأنتِ تبدين وكأنكِ لن تمنحيني الفرصة"

اعتدلت تجلس بانحناء رأسها ينخفض بعيداً فيغمر شعرها الكثيف المشعث وجهها محجبها عنه ثم قالت بخفوت "سيبدو تطرفا مني إن فعلت خاصة أني أردت هذا"

تلاحقت أنفاسها عندما شعرت به يقترب ويسحبها بين ذراعيه ليعيدها لتستكين على صدره ثم قال باستمتاع عابث "ولكنكِ متطرفة وكاذبة على نفسكِ بالفعل عزيزتي"

عينيها الكبيرتين كانت تنظرِ له بذهول عاكسة حالة التخبط والحيرة... عاجزة تماما عن إيجاد ما ترد به عليه!

التوى فمه العابث ثم قال "لا بأس... يكفي إقرارك بأنكِ أردتِ هذا"

هزت رأسها بشكل طفولي مضحك مصدقة على كلامه عاجزة عن إيجاد دفاع عن نفسها أو الرد... انخفض بصره نحو فمها المرتعش وظل هناك للحظات بينما تظلم عيناه بالرغبة الحارقة ثم قال بصوت غير مستقر العاطفة "ليتكِ تظلين هكذا دجينة معترفة بأحقية كل منا في الآخر!"

راقبتهِ لاهثة وهو ينخفض مرة أخرى متذوقاً شفتيها معيدا جسدها الرقيق لدفء جسده... لم تكد تدركِ الغرام الذي يحركه فيها حتى ابتعد مرة أخرى مغمضا جفنيه بقوة وقال من بين أسنانه محاوِل كبح نفسه "لديّ موعد هام وأنت يجب أن ترتاحي قليلا من أجل الطفل"

"أنا بخير" قالتها مبهورة الأنفاس مشوشة الفكر

كتم إبتسامة أخرى وهو يأخذ نفساً عميقاً وقال ويده تمتد لتمسد على وجنتها الناعمة "أعرف ولكن يجب عليّ توخي الحذر معكِ... أريدكِ أن تعيدي اتزانكِ العاطفي قبل أن أعود لمهاجمتكِ من جديد!"

عبست "ماذا تعني؟"

جعد أنفه مداعباً وهو يقول بتسلية "أعني أنك ستعودين لتضربي بطول لسانكِ وجنونكِ"

قالت وهي تمرر لسانها فوق شفتيها "هل تتهمني بخلل نفسي؟"

ادعى الصدمة وهو يقول "لا سمح الله... أنتِ كتلة من الأمراض النفسية ممتزجة ومختلطة مع بعضها حبيبتي"

رمشت بعينيها وهي تردد بتلقائية "حبيبتك!"

أطل الدفء من عينيه وهو يلامس جبهتها بشفتيه "لقد أخبرتكِ أني أحبكِ بالأمس يا دجينة... وصدقتني أم لا لم تعد لديّ مشكلة مع ترديدها لكِ... حتى وإن عدتِ للفظي بكلماتكِ السامة"

قالت بتلقائية "لن أفعل... ولكن لا تجبرني على إقرار بالعشق نحوكِ... أنا لست مستعدة!"

قال آصف بيأس "حسناً... ها أنتِ تعودين لتضربي من جديد."

قالت بضيق "لا أنا أعني..."

صمتت لبرهة قبل أن تأخذ نفساً عميقاً وهي تقول "أتعرف لا تهتم"

لم يقل آصف شيئا أخر حتى وقد نطقت عيناه المظلمتين بالكثير... تخلى عنها أخيرا ليقف أمامها يتأكد من أناقة ملابسه وهو يقول بنوع من العملية "لدي موعد مع عزيز العاشوري يخص العمل المعلق هنا وفي جوتنبرغ... أحد المدراء الذي أوكلت إليه إدارة الشركة في عدم وجودي سأقابله عنده"

صمت وهو يشير نحو الطاولة المجاورة للفراش ثم تابع "هناك بعض شرائح التفاح بجانبكِ تناوليها قبل أن يصيبكِ غثيان صباحي ...لن أتأخر"

تحرك مغادراً بالفعل قبل أن يسمع صوتها من خلفه يتحول للجمود وهي تقول "لا تغلق الباب آصف... هذا الأمر يصيبني بالهوس"

راقبت كفيه التي تقبضت بجانبه ثم إلتفت إليها وهو يقول بجفاء وقد تبدد كل مزاجه الرائق معيدة إليه غضب يحترق في عروقه كعادتها "الباب لن يُغلق... أنتِ لست سجينتي دجينة... بل زوجة اقحميها في عقلكِ!"

صاحت باستنكار "عجيب أمرك... الأن تذكرت أني زوجة حرة أملك أمر نفسي... ألم تفعلها من قبل؟"

كانت نبرته مدروسة وهو يقول بحزم "لم أكن أثق بكِ ولكن الآن الأمر تغير... حتى وإن أردتِ المغادرة أنا لن أمنعكِ"

امتقع وجهها وقد فهمت ما يعنيهِ... الآنِ يخبرها بهذا بعد إقراره بعشقها!! صوتها خرج خافتا مترددا وهي تقول "أنا لن أفعل... الأن على الأقل"

تجنب كلماتها الأخيرة عندما رد بهدوء "حسناً وأنا أمنحكِ ثقتي الكاملة"

&&&&&&&&

"ولكن السيدة آيتان هي من تتولى أمر هذه الشركة بالذات أشهب، لذا يجب انتظارها قبل مناقشة الأمر"

رفع أشهب رأسه بحدة، فتجاهلت الغضب المكتوم الذي تألق على ملامح وجهه وهي تقول باستفزاز "أعلم أنك كمدير تنفيذي للشركة قد يخول لك مناقشة ما تريد مع السيد آصف، ولكن رغم هذا منصبك لا يسمح لك أن تتخطى أمر السيدة آيتان؟!"

قسوة لم يسبق لآصف أن رأها ترتسم على وجه المدير الشاب ذلكٍ المتهور المندفع بتصرفات غير متوقعة مجنونة ولكنها دائما في محلها تماما، أشهب الذي رغم ما يظهره من

اتزان وعملية ونجاح كاسح استحقه بجهده دون مساعدة أحد، ولكن آصف يعلم تماما أنه يحمل عميقا بداخله ثوري متهور يندفع نحو ما يريد يطلق أحكام وينفذها دون التؤدة أو التفكير في العواقب!

"سديم.. اسمك سديم على ما أذكر صحيح"!

ضربة قوية باردة رغم نارية ملامحه كانت توجه إليها لم تتمالك نفسها وهي تقول من بين أسنانها "بالطبع تعرف اسمي أنا أعمل هنا منذ خمس سنوات وقد عرّفتُ نفسي للتو كبديل عن آيتان!"

اعتدل على مقعده دون إبداء اهتمام بانفعالها ثم وجه لها ضربته القذرة التالية "هل تعرفين كم بلغ عددكن هنا كي أتذكركن ..بالواقع أنا لا يطبع في ذاكرتي إلا أسامي النساء المميزات وأنتِ بصراحة مطلقة لستِ إحداهن!؟"

لم تكن لتتركه يوجه لها ضربة وراء أخرى دون أن تعيد إليه فيض كرمه فقالت بخفوت حتى لا يسمعها آصف الذي ادّعى انشغاله مع السيد عزيز في نقاش ملف ما "ولكن أنتَ مميز أشهب فما زال صراخك وحرقتك وتطرف أفعالك المجنونة ..ردا على رفض ايتان وصدها إياك، تطوف أنحاء الشركة ويأخذ الموظفين منها مزحة مقلدينك هاتفين باسمك!"

وقفت دون انتظار إجابة أخرى منه مدركة تماماً أن ما يمنعه عن القفز على الطاولة وجذبها من شعرها وتمزيق وجهها ليس إلا للحفاظ على واجهته المدعية بارستقراطية كاذبة ..بعد أن فشلت كل ادعاءاته عن فضح أي إنسان همجي قاسي غبي هو!

راقبها وهو يحترق غيظاً متأمل ساقيها الطويلتين اللتان تظهران من تحت تنورتها الضيقة التي تغطي بالكاد حتى منتصف ركبتيها.. فلا تزيده إلا نفوراً من وقاحة ملابسها ..من أفعالها المغرية ليست بفطرة تحملها فقط ولكنها مفتعلة مقصودة تجذب بإصرار أعين الجميع لالتهام تفاصيلها محركة فيهم غرائزهم وشهواتهم!! ليمنحها مزيد من الانتشاء مزيد من الثقة بالنفس لسلطتها على كل من تتحول عيناه عليها غير قادر على تركها ..تُرى كم رجل استطاع إقناعها لتقفز معه في فراشه!!؟

أجفل من تفكيره للحظات وقسوة وحقد غير مبرر يجتاحه ربما يُعزى هذا لأنه يعرف ويقر بحقيقته كرجل شرقي بدائي متعصب لم تمحو طبيعته السفرات للخارج ولا حتى عمله، ولا شغفه وسره الذي يخفيه عن الجميع استطاع تشذيب أو تهذيب تلك الشرقية وفوران الدماء منه...

"لا تجعل المظاهر تخدعك، لو فتحت عيناك قليلاً سترى ما خلف الصورة" التفت أشهب لآصف ولم يدّعي عدم الفهم وهو يقول بجفاء

" لا تعنيني في شيء ولا أهتم لأفهم، مجرد فتاة لا تليق بالمكان وتصر آيتان على استخدامها"

قال آصف بهدوء "ليس هذا ما استشعرته من رد فعلك العنيف"

قال بحزم "أنا فقط أموضعها في مكانها.. هي حتى لا تستحق أن أمنحها رد بل يجب أن تعامل معها كنكرة"

تلاعب آصف بشيء بين يديه للحظات قبل أن يقول بتمهل "لا أعتقد.. المرأة التي تثير فيك كل غيظك وهمجيتك تفرض نفسها فرضاً على مبادئك وحياتك وتفكيرك دون أي رغبة منك تقاومها دافعها بعيدا عنك فتعود لفرض

نفسها بقوة عليكِ تماثل تماماً تلك المرأة التي تقع في غرامها من أول مرة لرقتها"

قال أشهب متهكماً "أعتقد أن حكمك ونظرتك أخطأت هذه المرة.. سديم لا تستحق مني حتى نطق اسمها"

قال بتسلية "ولكنك نطقته وتتذكره ليس كما ادّعيت، اسمع يا إشهب.. لعشق المرأة فنون ومدارس و مذاهبٍ متطرفة أفعال بدائية وثورات جامحة.. فأحسن جيدا طريقة اختيارك ومذهبك حتى لا تضللك وتضيعك، ولا تحاول قطف وردتك حتى لا تقضي عليكِ بأشوكها"!

أجفل أشهب قبل أن يقول بسخرية "أنت تمنحها أكبر من قدرها بكثير"

تأمله آصف للحظات قبل أن يقول بخفوت "بالمناسبة سديم صديقة آيتان الحميمية وما لا تعرفه أنت أن الفتاة من أحد أفرع عائلة العاشوري ولكن والدها يرفض تماما الإقرار بتلك الصلة؟!"

"ماذا"!

"أنصحك بحفظ أحكامك لنفسك عندما تتحدث عنها"

قالها آصف قبل أن يلتفت إلى عزيز مرة أخرى ليس لأنه يوافق على تصرفات الفتاة أو يتقبلها مطلقا ولكن تجربته مع زوجته الذي اخفق بشدة في أولها علمته درس هام يجب التريث والتمهل قبل أن يطلق أحكامه على مجرد شابة صغيرة مضللة!...

&&&&&&&&&

"هل تسمح لي بالحديث معك على انفراد"

رفع آصف وجهه نحو وجه عزيز العاشوري... ثم قال بهدوء وهو يلملم أوراق العمل بعد أن انتهى من الاجتماع الطارئ لشركته وعزيز الذي أنشأ تعاون بينهما منذ أعوام "بالطبع... هل هناك أمر غفلت عنه ولم أعلمك به؟"

تحرك عزيز نحو مكتبهٍ بعيداً عن طاولة الاجتماعات يجلس على المقعد منتظراً أن يخرج أشهب ثم أغلق الباب وراءه... قال عزيز بحزم "أنت لم تغفل عن شيء في العمل تركيزك عالي مسيطر وهذا ما يثير إعجابي بك أنت تعرف"

"حسناً ما الأمر إذاً؟"

قال عزيز بعينين يرتسم بهما التصميم والقسوة "زوجتك!"

جلس آصف على المقعد الذي أمامه معيدا ظهره إلى الوراء مرغما نفسه على الاسترخاء بينما كانت كل عضلة في جسده متحفزة وهو يقول بجفاء "رغم مكانتك عندي ولكن زوجتي ليست موضع نقاشٍ مع أحد"

كان عزيز يبدو هادئاً تماماً وهو يقول "ربما يصدمك أني معك وأرفض رأي ابني الأحمق ونظرة آيتان المحملة بغيرة المرأة نحوها!"

قال آصف بجدية "آيتان أبعد عنٍ الغيرة منها في الوقت الحالي، أنا أفهم ابنة أختي جيدا... أعتقد أن الأمرِ معها يرتبط بالتحدي وعدم التقبل... لقد أرادت لي دائما امرأة مناسبة من وجهة نظرها على الأقل"

قطب عزيز للحظات متأملا وعقله يعمل بسرعة متذكراً آصف الشاب اليافع عندما توفي والده وقسم مال العائلة بينه وبين أعمامه والذين بالطبع كانوا عبارة عن غيلانٍ لا ترحم في المادة... ففضل بدماثة الانسحاب التام حفاظا على

الترابط العائلي بينهم... مكتفياً بالفرع الصغير في السويد والذي نماه بعد رحلة كفاح قاسية... حتى أصبح الجميع يرغب بمشاركته أو إقامة صفقات معهٍ وبدل أن يكون المغلوب على أمره أصبح أصغرهم عمرا وأكثرهم قوة وسيطرة تجارية ومالية.

"لا اعتقد أنها لا تناسبك... بل هي المطلوبة تماماً." أخذ عزيز نفساً عميقا قبل أن يهز كتفيه ببساطة وهو يتابع "أنت تحتاج لنوع من الفتيات اللاتي يُثرن المشاكل... لتشعرك أنك بشر يمكنه فقدان سيطرته، لهذا لم أحاول مراجعتك عندما أخبرتني عن الأمر كله قبل أن تتزوجها رسميا"

اتسعت إبتسامة تسلية على وجه آصف وقال "لا أصدق ما أسمعه هل أصبحت قاضيا للغرام يا عزيز؟ أتخيل وجه جلاء إن سمعك تشجعني للتمرد على حياتي ونمطيتي في التعايش"

تجهم وجه عزير وقال على الفور "شتان ما بينك وبين جلاء... أنتَ حتى وإن تمردت أو أيا من تلك الأمور الشبابية لن تتطرف لطريق جلاء... ستبقى رجل أعمال ذو هيبة يعتمد عليه... ذو إرادة حديدية تثير الاحترام والخوف في قلوب أي من يتجرأ ويحاول أن يقف في طريقك"

لم يعلق آصف بشي مسلماً بأخفاق عزيز الشديد في فهم جلاء يوما... ولكن من وجهة نظره يبقى عزيز نوع محايد من الآباء ربما يفشل في إيصال فكرة حبه الشديد لجلاء... ولكنه على يقين أنه فقط يريد له الصالح من وجهة نظره.

"حسناً إن كنا نتفق على وجهة النظر تلك ما الأمر الذي تريد نقاشه؟" قال بعملية.

أعاد عزيز مرفقيه على سطح المكتب ينحني عليه وهو يقول بجدية "أنا بحثت عن أمر الفتاة... أردت أن اطمئن لخلفيتها وما وجدته هناك أغضبني بشدة"

تجهم وجه آصف وهو يقول بأنزعاج "حتى اللحظة لا أعلم سر الجميع في التدخل في حياتي منذ متى أسمح لأحد يا عزيز بإدارة أموري؟"

برزت عقدة بين حاجبي عزيز وهو يقول بجدية تامة "أنت أدخلت اسم إلينا... عائلة بأكملها... وفي عالمنا يجب أن أعرف خلفية خصومي"

"خصومك"

قال عزيز على الفور "بالطبع والد الفتاة يطاردها منذ هروبها منه... وذلك الأحمق هاني تمام"

منع آصف بصعوبة لغة جسده أن تظهر لعينيّ عزير المراقبة باهتمام وهو يقول بإقتضاب متجنب ذكر الاسم الأخير "لقد أخبرتك أني سويت الأمر مع عوني قبل زواجي بها... وهو لن يجرؤ على الاقتراب... شركته التي تحاول النهوض حديثا لن تتحمل أي ضربة مني"

حدق فيه عزيز جامد الملامح وهو يسأله "هل هددته؟"

قال بجمود "ليس مباشرة... عندما وجدتها كانت مذعورة مضطربة فحركت بداخلي نزعة حماية تلقائية... فلم أستطع منع نفسي من تأمينها بكل الطرق!"

قال عزيز بعملية "لم تبدو لي هكذا عندما قابلتها... ربما عنيدة قليلا تثير بداخلك لغز لا بل ألغاز حولها... ولكن هي أبعد عن الضعف كما تعتقد!"

تمتم آصف بعد لحظات من التفكير "ربما ما تقوله صحيح... ولكن ما زلت لا أعرف سر هذا الحوار"

قال عزيز بهدوء "أنا لا أضعك في خانة خال آيتان أو مجرد شريك اعتمد عليه في كثير من الأحيان... ولكنٍ مكانتكٍ لدي مثل آيتان وجلاء... وأنا أريد رؤيتك مستقرا وسعيدا مع فتاة تناسبك"

هز آصف رأسه وقال "أعرف ما تقوله ولكن لما اشعر أنك توصلت لأمر تحجبه عني؟"

نظرة عزيز رغم غموضها ٍولكنها أوصلته أنه يوافق ما قاله... ورغم هذا قال متواريا "إن كنت على علم بشيء أنا لن أحجبه عنك... فقط كما أخبرتك الفتاة تعجبني وتثير لدي غريزة قوية للحماية... كما أنها على كل حال تحمل طفلك! أنا أعرف المرأة القوية فور رؤيتها ورغم أن شتان بينها وبين آيتان ولكن بداخلهن يتطابقن في شيء يثير إعجابي!"

ضيق آصف ما بين عينيه وعزيز يقول "القوة والتمرد... زوجتك إن حصلت على الدعم المثالي ستكون شريكة لا يستهان بها بجانبك كما شبيهتي آيتان!"

&&&&&&&&

"إلى أين وصلتِ؟"

كانت مسبلة الجفنين بطريقة حالمة بينما وجنتها تستريح على ركبته المفرودة لتسريح فوقها بعد أن أتيا من موعد الطبيبة التي طمأنتهم على صحة الطفل واستقٍراره بين أحشائها "أفتقد العزف... لم ابتعد عن الكمان أبدا منذ أن كنت في العاشرة من عمري"

تحركت يديه فوق شعرها المشعث متخلله بأصابعه بصعوبة وهو يقول "يمكننا في الغد شراء واحد جديد"

قالت بهدوء "لا لم أقصد هذا... بل أردت سؤالك متى سنعود لمنزلك؟"

كان يبدو مشغولاً تماماً في فك خصل شعرها المعقد وهو يقول بلا اهتمام "نحن في منزلنا بالفعل... بحق الله دجينة متى كانت أخر مرة مشطتِ فيها شعركِ؟"

قالت بلا مبالاة "لا أذكر..."

تحولت نبرته للغيظ وهو يعدل رأسها لتواجه عينيها عينيه وهو يقول "ما دخل أفكاركِ بالعفونة بالله عليكِ؟ لقد أصبح حلمي أن أراكِ تتزينين لي ولو لمرة واحدة"

على الفور ردت قاصفة إياه ببرود لاذع "ولماذا قد أفعل؟ أخبرتك أني لا اعترف بنمطية وضع المرأة وتقييدها بدور محدد لإرضاء الرجل"

حرك ملامح وجهه بطريقة مضحكة ورأسه يهتز يمين ويسار مع كل كلمة منها قبل ان يقول ساخرًا "تقييد!!! الرحمةٍ أنا لم أحرم نفسي أربعة وثلاثون عاما من النساء منتظرا زوجة تكون حلالي وتعوضني ذلك الجفاف لأحصل في الأخر على فتاة تضاهيني خشونة"

اعتدلت سريعاً بما يسمح لها حملها وهي تمسك بتلابيب قميصه تميل على جسده الذي تراجع للوراء وهي تقول بشراسة "اسحبها حالاً بدلا أن ترى الخشونة على حق يا ناكر الجميل... أبعد كل ما فعلته من أجلك؟!"

ارتفع جانب فمه وهو يقول بإستنكار ضاحكاً "فعلتِ من أجلي... هل تمزحين؟"

قالت على الفور بجدية رهيبة "نعم... أنسيت أني استحم كل يومين بسببك؟!"

اتسعتٍ عينيّ آصف قبل أن يعيد رأسه إلى الوراء وهو ينفجر ضاحكا فقالت متظاهرة بالضيق "توقف عن السخرية مني أنا لا أمزح على فكرة"

لم يستطع التوقف عن الضحك على الفور مما جعل دجينة تتخلى عن التظاهر فتبادله نوبة الإبتسام "أريده يشبهك!"

تصلب جسده على الفور وسكن فجأة معيد نظراته إليها فكررت..

"أريد لأبني أن يشبهك... وإن كانت فتاة أنا لن أخاف عليها بل اشعر بالغبطة منها إذ أنها ستحصل على والدٍ مثلك!"

عندما لم يرد وما زالت عينيه تتوسع صدمة ذهول باحثاً عن ردٍ ذكيٍّ وعن طرف حوار ومدخل أخر يلج إليها به ففشل تماما... ابتسمت بتلقائية وهي تقول "أعرف الأمر صادم أليس كذلك؟ ولكن أنا صريحة مع نفسي آصف... ربما أنت غبي شرقي بأفكار عفن..."

شهقت بصدمةٍ وهو يدفعها على الأريكة تتمدد هناك بينما جسده سريعا كان يغطيها يأمرها بخشونة "توقفي... بالله عليكِ لا تفسدي سحر اللحظة!"

يديها تسحبت برقة تحت طرفٍ قميصه واصلة إلى عضلات صدره مباشرة وقالت صادمة إياهٍ بالمزيد "أنا أحقد على آيتان.. إذ أنها حصلت عليك باكرا جدا... كل هذا كان مقدرا لي أنا وحدي وما ينمو بداخلي ...لماذا أنا أحصل على عوني المنصوري بكل حقارته معي بينما تحصل هي عليك؟"

ابتلع ريقه بصعوبة محاولاً التحكم في نفسه وهو يقول مستكشفا نبرتها الجديدة "لم أعد أفهمكِ... منذ متى تغيرت صورتي برأسكِ؟"

حاولت الإبتسام والتشبث بقوتها ففشلت تماما وقد اغرورقت عيناه بالدموع وهي تهمس "لا أريد أن أتسبب لك بجلطةٍ ولكن منذ أن وجدتني مرمية بين الأزقة يا آصف وبدلا أن تنتقم مني كأي رجل في موقفك أعدتني إليك... ضممتني مُدفئا قلبي الذي أصابه التجمد منذ أن عرف أي خسيسة هي نفس أبي"

فكر وهو يستمع اعترافها بأن لديه فكرة جيدة عما تتحدث عنه... فعوني المنصوري رجل طاغية جبار مستغل بنفس خبيثة مريض نفسي وقد شوهت الغربة وحب المال والجري وراء الغنى كأي مستحدثٍ نعمة البقية الباقية من ضميره ...هذا إن كان يملك واحدا من الأساس!

"اخرجيه من عقلكِ ...تحرري من سجنكِ يا دجينة... هو ووالدتكِ لم يستحقا وجودكِ في حياتهما."

سالت الدموع من عينيها ويديها تثبت على قلبه تضغط عليه بقوة مستشعرة نبضة الهارب من أجلها وكأنه... كأنه بتهرب ضرباته يعيد التوازن لفؤداها...

"لماذا انجباني؟ لما لم يشعر بأبوته نحوي مثلما يفعل مع أولاده من الأخرى؟"

"ومن اخبركِ أنه يفلح مع الأخرين؟ ربما ينالا نفس المصير" قالها وهو يرسم التحكم متجنب ذكر شكه الذي يحرقه أن عوني لا يؤمن أبدا بأن دجينة تنتمي إلى أبوته..!! هذا التفسير المنطقي الذي لجأ إليه عقله إذ كيف لوالد أن يفعل في عرضه كما يفعل أبوها!!

تهكمت وهي تقول "لا الأمر مختلف صدقني ...حتى عندما احتجزني في بيته وحررتني زوجته مساعدة إياي على الهرب لم تنل أي عقاب... أنا غلطته يا آصف التي أراد الانتفاع منها!"

تجمد مكانه حتى شعر بنفسه غير قادر على الاعتدال من انكبابه فوقها... القهر الذي يرافق اعترافها الغير مترابط كان يجفله "احتجزكِ؟!" سألها حريصا على عدم إخراجها من الحالة التي تلبستها...

سالت دموعها مجدداً وهي تقول بصوت أجش "هل اعتقدت أني ظللت معه لعامين كاملين بإرادتي؟ لقد أجبرت يا آصف... في بادئ الأمر أوهمت نفسي بكذبته... بأني ابنته... بأنه سيمنحني كل ما أردته من دفء أسري ...بأنه أراد لي حياة سوية أسرية... سيعوضني ما بدر من والدتي عندما باعتني له.. ولكن اكتشفت أنه سراب فزوجته رفضتني تماما مبعدة أطفاله عني ...هو تجنبني كأني نكرة... كنت أرى بعينيّ تدليله لابنته الأخرى وولده... يقهرني بتصرفاته... يرفض تماما خروجي من المنزل... أما عائلته العجيبة كانت في بادئ الأمر تنظر لي بانبهار وحفاوة مبالغ فيها سرعان أن انقلب لحقد ونفور وتعالي غير مبرر... والذكور منهم بالتقرب الزائد المنفر وكلمات فجة تثيرالاشمئزاز بحجة التحرر الفكري الذي مؤكد لديّ ...حتى أن أبن أخيه سألني نفس السؤال الذي سأله لي خطيبي السابق؟!

استطاع آصف أن يعتدل أخيراً جاذبها لتعتدل أمامه يحاول عبثا السيطرة على أعصابه بينما يراقب الغضب المكبوت يتصاعد من ملامحها وهي تكمل هاتفة بقهر

"أتدرك ما هو سؤالهم المكرر والمهم جدا لهم؟"

أراد إسكاتها ومنعها من الكلام...لا لا يريد أن يعرف... وقد هبطت صاعقة على قلبه متوقعا ماهيته... أطلقت ضحكة متعثرة وهي تقول "متى فقدت عذريتي... وكم عدد الرجال الذين مررت بعلاقة معهم؟"

يده غطت فمها بينما يده الأخرى تحاوط جسدها دافنها في صدره هاتفا بغضب مهول مكبوت "توقفي... يكفي!"

قبضتها كانت تضرب في صدره بقوة ورأسها يدفن في تجويف عنقه وهي تقول "لقد أردت أن تعرف... من حقك أن تعرف أي فتاة أنا وأي أم بغبائك وضعت بها ابنك!"

"رباااااه الألم لم اعد أتحمله يا آصف"

كانت النار تسري في عروقه مسرى الدم فتأكله حياً... أراد تحطيم كل شيء و أي شيء عله يمنع تلك الذكريات التي شوهت فطرتها... عله يعيد إليها اتزانها... ليته عرفها مبكرا ليت القدر رتب تراتيبه ليقابلها مراهقة قبل أن تعش كل هذا مع حقيري النفوس هؤلاء... وأكملت "هذا الرجل كما علمت كان شريكه وقد رأني في أحد حفلاتهم فطلب الزواج ...أقنعني عوني أن هذا لحمايتي وسيجعل الجميع يتقبلني وامتزج هنا ...أو أعود لباريس... أنا... أنا كنت صغيرة جدا ولم أفكر... وافقته علي التخلص من كل هذا... لعلي أعود لبلدي... لأكتشف الحقيقة المرة ..لقد أراد أن يكرر ما كان مع أمي... وفوقهم أن أتحرر معه دون حتى انتظار رابط الزواج... لقد كان حقيرا وغد.. حقيرا "

كلماتها الأخيرة كانت تخرج بنوع من الهستيريا ورغم أنه كاد يجن ليعرف باقي الحكاية ولماذا احتجزها ولما ساعدتها زوجة أبيها ولكنه اجبر نفسه على إيقاف اعترافاتها حرصا عليها قبل ما تحمله... أو فليكن صادقا مع نفسه... هو ليس على استعداد الأن أن يعرف ما قد يدمره قبلها!

&&&&&&&&&

اعتدلت دجينة عندما سمعت صوت مكتوم من الممر الداخلي للشقة ..وكأن الشخص الذي يصدر عنه يعاني نوبة غضب أو صراع نفسي محتد ويخشى أن يكتشفه أحد... ومن غيره للتوقع أنه يصدر منه ..هي تفهم أنها تضعه في صراع واختبار قاسي طوال الوقت ورغم ادراكها لفهمه أنها تخبئ عنه أمر جلل.. ما زالت تصرٍ على عدم البوح به أمامه ..هي ببساطة لم تعد لها رغبة أبدا في فقدانه أو منحه المزيد من الصور المشوهة عنها..

قدميها الحافيتين كانت تنتقل بخفةٍ على الأرض الباردة باحثة عنه ...عندما وصلت إليه أخيرا راقبته بقلق ..بضياع ..بحاجة عميقة للشعور بالحب والاكتمال ..كما يمنحها لها ويغيبها عن العالم أجمع بين ذراعيه..

وقف هناك في حوض الاستحمام تحت الماء الجاري بجميع ملابسه!! أغمض عينيه بقوة.. أنفاسه كانت تخرج مشتعلة.. صدره يهبط ويعلو بانفعال بينما قبضته تخبط بعنف علي الحائط كل ثانية وأخرى وكأنه يخرج جل غضبه فيه..

"آصف" نطقتها شفتيها المرتعشة بحذر وخفوت شديد

التفت برأسه باندفاع فنثر بعض قطرات من الماء نحوها.. عيناه الداكنتان العاصفتان حدقت فيها بمشاعر لن يستطع ألف فنان رسمها ولا ألف كاتب وصفها ..

"دجينة!!" قالها بنفس العنف والصراع الذي كان يعبر عنه كل جزء من جسده المشدود ...قبل أن يستطيل سريعا مجفلها يرفعها عن الأرض لتشاركه حوض الاستحمام وبدون مقدمات كان يسحبها إليه مقبلها.. لم يمنحها فرصة للتفكير للحديث للعتاب أو السؤال كان يحتاجها ..يريد أن يتنفسها! يتلمسها لتعيده هو لاتزانه! وكيف

لهتزة مثلها أن تفعل! ربما بتلمسها إياه كما تفعل الآن ..أو ربما يديها التي ارتفعت تحاوط وجهه وشفتيها التي استقبلت غيثه بلهفة ،بشوق وكأنها تعاني وتحترق مثله..

"أحبكِ" ينطقها من بين لمسة وأخرى ..قبلة تمنح وتأخذ بينهما!.. "أنا أحبكِ" تتخلل أنفاسها لمساته.. "أصبحت احتاجكِ لإحيائي" تخرج منه ملتهبة عاصفة.. فتعبر عنها أصابعه التي تخللت شعرها الرطب ليثبت رأسها جيدا بين كفيه غير سامح لشفتيها أن تبتعد عنه حتى لتلتقط أنفاسها ..بل إن أنفاسها كانت تمتزج مع أنفاسه.. كفيها الناعمتين تضغط وجهه أكثر متشبثة فيه أكثرٍ وأكثر ..وهمساتها المختنقة بعاطفته هو ..خرجت أخيرا متخللة هدير الماء الذي ينهمر فوق جسديهما المتشابكين وقالت بتقطع "الحب كلمة هزيلة أمام سلطان ما أشعر به نحوك ..أنتِ جنة ، جنة الأرض التي خلقت لي وحدي!"

رباااه ..هل يوجد رجل على وجهه الأرض يعاني مثله ..متى تملكته متى فرضت سلطانها عليه ومتى وقع فى خيبات عشقها دون حول ولا قوة .. وقعة الشاطر بألف وقعة؟!

هو مؤكد يحلم ..لابد أنه يعيش حلم ينتشله من بين كابوسه المريع وهو يعافر ليربط كل الحقائق التي أخبرته ببعضها ليصل لنتيجة حتمية تنثره لأشلاء ولكن كيف ..يصدق استنتاجه وهو على يقين أنه الأول لقلب وجسد امرأته..! امرأته ..حبيبته الصغيرة جدا والهشة.. هنا بين ذراعيه الآن وفي تلك اللحظة تطالب بوده ..تغرق في لجة عاطفته.. يديها الناعمتين المرتعشتين تسللت تبادر لرفع قميصه بعيدا عن جذعه.. ساعديه هبطا متعاكسين يستلم منها المبادرة يمسك بطرف ملابسه بنفسه يرفعها سريعا يمررها من رأسه ثم يلقيها على طول ذراعه.. لم ينتظر منها مبادرة أخرى عندما مد يديه فارتطم قوامها بصدره

العضلي العاري ثم رفع قميصها ليلقى نفس مصير ملابسه..

كانت ثورة.. غيمة مشاعر.. تغيب تام لتفكير كل منهما ..ينسحب المنطق ..واللامنطق ولم يتبقي إلا.. إلا ماذا.. عاطفةٍ.. شغف ..حب يتردد صداه مع كل قطرة ماء تنهمر سريعا بخط مستقيم على جسديهما اللذين تشباكا ليرتطما بحوض الحمام مطلق حولهما نغمات خاصة من الطبيعة فلا يتذكرا أو يدركا أين هما.. ذراعيه التفت أخيرا حول خصرها رافعها نحوه ..لتلتف بتلقائية ساقيها حول خصره ..أسند ظهرها بحمائية بكفه بينما شفتيها التصقت تقبل صدره بخط طولي حتى دفنتها بعنقه ..ثم قالت من بين أنفاسها التي تلهث "هل أخبرتك من قبل أنيٍ غبية ..إذ لم أعترف أني أحبك ..أحبك بشدة وأترقب دائما كل ما أحصل عليه من عاطفة منك!"

عيناها الخضروان ارتفعت تنظر لعينيه التي تجمدت للحظة مع اعترافها ..ثم همست بنعومة قطة صغيرة تتمسح فيه مطالبة بحنانه لتأثر بقلبه! "أحبني آصف ...بلا خوف أو تفكير ..أضعني بك برغبتي ولو لليلة واحدة لأحفرها في عقلي ما حييت"

عندما تحرك بها ناحية غرفته كان أكثر من راغب مشتاق أن يحقق لها كل مطالبها! " لا ضير من أن ينسى كل شيء بين ذراعي قطته خضراء العينين، ليلة أخرىٍ وأخرى وأخرى ، لا يتذكر فيهم إلا أنها كل ما أراده يوما في امرأته البرية..

&&&&&&

"أنتِ جميلة بطريقتكِ الخاصة ...وكأن بعد طبع ملامحكِ في قلبي ..ماتت كل النساء بعيني"

همسها من بين أنفاسه التى لم يخبو اشتعالها بعد رغم هدوء عاصفته...

كانتٍ ما تزال تتمدد على جذعه دافنة وجهها هناك خجلا... رفع وجهها بأحد كفيه ..بينما يهمس بحنان "لا تخجلي مني أبدا.. أنا هو أنتِ دجينة"

عضت على شفتيها قبل أن تهمس بوجه متورد "أنا لا أفعلٍ ..ولكن كل تلك المشاعر التي تحركها بي جديدة كليا علي ..حتى أني أحيانا أتخبط ولا أستطيع تفسير ما يحدث؟!"

أمال جانب فمه بإبتسامة قبل أن يقول "وبماذا تشعرين؟!"

تعثرت للحظات قبل أن تعض على شفتيها بقوة ..وهي تسحب يده تضعها على موضع قلبها مباشرة ثم قالت بخفوت "عندما أنظر لعمق عينيك وأرى انعكاس الحقيقة فيهما ٍ.. قلبي يدق بعنف ..وعندما تهمس باسمي يخفق صارخا ٍباسمك مجيبك قبلي ..وعندما ..عندما تلمسني محركا عاطفتي يقفز بعنٍف بألم ..ألم موجع حتى اللذة ..لذة لا أريدها أن تنتهي أبدا وتفارقني"

أسبل جفنيه وأخذ نفسا عميقاً ..عله يستوعب مشاعره التي تضخمت وكادت أن تنفجر داخل قلبه ... ثم ما لبث أن قال بصوت أجش حاول أن يبدي فيه بعض من سيطرته على نفسه "هذا اعتراف آخر بحبكِ لي.. لن أسمح لكِ بالتراجع عنه أو سحبه"

أعادت خصلات من شعرها خلف أذنيها قبل أن تزم فمها وهي تقول عابثة "وهل اعتقدت أني لا أفعل ..لماذا أبقى معك إذا وأسمح بما يحدث بيننا"

ضحك بقوة وهو يقول سريعاً "أو لم تفعلي ..يا مجنونة أنتِ تكرريها كل بضع دقائق"

هزت كتفيها بملل وهي تعتدل فوقه "ربما أحاول أن أفرض عليك نوع من التحدي"

قال بخشونة " إذن رهانكِ خاسر ...ويجب أن تتعلمي عندما تدخلين نزال حاولي أن لا تتحديّ الطرف المتحكم والعنصر الأقوى فيه"

مالت بنعومة ليتساقط شعرها حوله كأنها تصنع ستارة تحجب كل مشاعرهم في تلك اللحظة عاداهم عن العالم الخارجي بشروره ومصائبه ...لتسمح لعشق كليهما والشغف فقط من يشاركهما صراعهما الأبدي ...قالت "لا تستهين بأسلحة المرأة آصف ربما بنهاية هذا الصراع تسلم كل عناصرك قبل عقلك"

مرر يده علي ٍتكور بطنها المستدير ٍمتلمسه مراراً وتكراراً صعودا وهبوطا ..وكأنه لن يمل أبدا من تلك الفعلة بينما شفتيه تعرف تماما طريق شفتيها يسكتها عن الكلام بطريقته الخاصة مغيبها ٍمرة أخرى في اعتراف جذري بغرامه ..بعشق لن يمل يوما من منحه... صوته كان خشن قوي جازم وهو يقول "لن ينتهي إلى أبد الدهر يا دجينة... وأنتِ سلبتني بالفعل ما كنت أعتقد بأنه ليس له مكان أو وقت في حياتي... قلبي كاملا أصبح يهدر بين كفيكِ الناعمتين ..وكفيكِ فقط يا قطيطة.. لتسيطري على كلي!"

&&&&&&&&&

"آصف ليس هنا"

إلتفتت آيتان نحوها دون ابتسام.. تتأملها ملياً متذكرة الفرق ما كانت عليه الفتاة قبل شهور طويلة وبين مظهرها الآن... لقد اكتسبت وزن كسى نحولها آنذاك، وجهها الآن اكثر نضارة رغم شهور حملها الخمس كما علمت ...خطت أيتان نحوها تسحب مقعد خشبي فيصدر صريرا مزعجا على الأرض الرخامية لشقته الفخمة الهادئة بعكسٍ تماما مظهر من تُدعى زوجة خالها بشعرها المشعث تماما ومنامتها القطنية.. إلى.. إلى ماذا... لا تجد في قاموسها ما قد تصفها به غير مجعدة واسعة متهدلة على كتفيها وأسفل خصرها وكأنها قامت بشرائها من أحد محلات الملابس المستعملة الرديئة...

أحست دجينة بالانزعاج وهي تتململ في جلستها ثم قالت بجفاء "هلا توقفتِ عن تأملي بهذا الاشمئزاز... أيا ما دفعكِ للقدوم أنا لا أريد معرفته... وخالكِ ليس هنا!"

جلست آيتان أمامها أخيراً واضعة ساق فوق أخرى بتكلف مدروس قبل أن تقول بهدوء "لم أتي لرؤيته إذ أعرف أنه في مكتبه الأن يدير عمله الذي يهمله من أجلكِ على ما يبدو..."

انحنت نحوها واضعة مرفقيها على ركبتيها قبل أن تقول مجفلة إياها "أنا لا انظر لكِ بأية نظرة مشمئزة كما تعتقدين ...بل أتفهم طبيعتكِ بما أني متزوجة ممن يماثلكِ في أفكاره... ولكن هذا لا يعني أني أحبكِ أو أتقبلكِ بأية طريقة"

بهتت ملامح دجينة من دخولها المباشر إذ لم تتوقع مواجهة مباشرة معها... قالت دجينة ببرود مسيطرة على أعصابها "جيد عدم التفافكِ إذ أني أنا الأخرى أكره الإلتفاف أو

تصنع ود زائف...ولكن هذا يوصلنا لأكرر سؤالي الغير منطوق ما الذي تريدينه مني؟"

قراءة سعيدة

الفصل السادس

بهتت ملامح دجينة من دخولها المباشر إذ لم تتوقع مواجهة مباشرة معها... قالت دجينة ببرود مسيطرة على أعصابها "جيد عدم التفافكِ إذ أني أنا الأخرى أكره الإلتفاف أو تصنع ود زائف... ولكن هذا يوصلنا لأكرر سؤالي غير المنطوق ما الذي تريدينه مني؟"

تراجعت آيتان على ظهر كرسيها تأخذ نفساً عميقاً قبل أن تقول بهدوء "معرفتكِ ...أنتِ تحصلين على دعمٍ أكثر رجلين مهمين في حياتي ...أحدهم كان مستعدا لرمي نفسه في النار التي هرب منها مضحيا بكل ما آمن به في حياته وعاد لقيود يكرهها... والآخر؟ حسنا ما الوصف المناسب؟ مستعد لتقديم كل حياته فقط لتظلي بجانبه"

هزتٍ دجينة كتفيها وهي تقول "أنتِ تبالغين في نظرتكِ قليلا... رغم ثقتي واحترامي لما أقدم عليه جلاء ولكن عندما دفعته ليأتي إليكِ كنت على يقين أنه يأخذني حجة ومبرر لنفسه للعودة إليكِ... أما عن آصف أنا لن أناقش علاقته بي معكِ؟!"

"دفعتيه؟!" رفعت آيتان حاجبيها باستنكار قبل أن تكمل بجفاء "على حد علمي أنكما اتفقتما على الزواج... وحتى عودته وزواجه مني لم يمنعكِ من مطالبته... من إلزامه بوعده!"

عقدت دجينة حاجبيها مستنكرة بشدة قبل أن تقول بغضب مكتوم "من اخبركِ بهذا السخف؟ إذ أنه لم يحدث أبدا... أنا رغم كل ما تعتقدين لدي مبادئ... ولم أكن لاقترب من رجلٍ ملك لأخرى رغم غبائه ليعرف أنكِ كل ما أرداه يوما."

لصدمتها لم تبدي آيتان أية ردة فعل للغضب للثورة بتكذيبها... بل كانت تنظر لها بتركيز شديد وبدت كأنها تستجوبها لا تتهمها تعرضها لاختبار ما في الصدق وكأنها سمعت ما تفوهت به دجينة من قبل وأرادت فقط مطابقته "جلاء أخبركِ كل هذا... أنتِ لم تأتي لمزيد من الشجار أو الدفاع... بل أنتِ تعرفين عني أكثر مما يجب... يا إلهي!" قالتها بخفوت شديد وشحب وجهها بشدة حتى أصبح لوح من الرخام الأبيض... لتستحيل لحالة من الهشاشة والضعف بل ربما الجبن عندما وقفت بإختضاض تخبرها ببهوت "أخرجي من هنا... مشاكلكِ وعقدكِ حليها مع زوجك وليس معي أنا"

أمسكت آيتان بمرفقها سريعا تمنعها من الهرب ثم وقفت تشرف عليها بطولها الفارع وكأنها تحاول فرض سلطة ما عليها وهي تقول بحزم ذكرها بتحكم آصف "لن أسمح لكِ بالهرب قبل سماع ما أريد قوله... أجلسي ودعينا نجد حلا لتلك العلاقة الغريبة التي جمعتني معكِ"

هزت رأسها بعنف تفلت نفسها منها وهي تقول بخشونة "أنا لا أريد أية علاقة معكِ... أنتِ لا تهميني بأية طريقة... وزوجك لم يكن من حقه إخبارك عني ما كنت أخفيه"

صدر صوت مكتوم من آيتان وهي تقول "آصف لا يعرف الحقيقة كاملة؟!"

قالت دجينة من بين أسنانها وعيناها تقدحان شرراً "وما المهم في الأمر ليعرفه... غير غبائكم الاجتماعي ما حدث لم يكتمل بالنهاية إذ أني دافعت عن نفسي جيدا... وآصف يعرف الأن أنه لم يقترب رجل غيره مني... فهلا رفعتِ انفكِ من شؤوني؟ لا أعتقد أن خالكِ طفل مضلل يحتاج لحمايتكِ!"

انسحب كل غضب أيتان واستعدادها للهجوم وهي تقول بصبر "إذا لماذا تصرين على إخفاء الأمر؟!"

قالت دجينة ساخرة "اسمعي نحن لسنا صديقتين أو رفيقتين ...حتى تلك العلاقة العائلية لا تسمح لكِ بسؤالي ولا تجبرني على نقاش نفسي معكِ!"

قالت آيتان بهدوء "أنتِ محقة تماماً ولكن أنا حقيقة أريد أن اعرف ...ليس لشيء ضدكِ ولكن أنتِ تعرفين ذلك الفضول النسائي نحو المعرفة"

عم صمت مشحون لدقائق حتى ظنت أنها لن تجيبها وستصر على رفض هذا الحديث معها ثم صدمتها بالقول المختنق "هل إن حدث لكِ ما تعرضت له كنت ستخبرين جلاء؟!"

لفّهما الصمت مرة أخرى... أحست آيتان بقلبها يعتصِر مختنقاً بمشاعر غير منطوقة "لا لم أكن لأفعل أبداً إن عشت نفس ظروفكِ... أنا لن أمنح الرجل الذي أحب نظرتي الدونية عن نفسي"

توترت دجينة وتعرق جبينها بطريقة مؤلمة وكأنها تكبح الألم الذي احتلها كاملة بصعوبة ...رفعت يدها المرتعشة تمسد على جبينها وهي تقول ببهوت "أنتِ صريحة أكثر من اللازم!"

اقتربت منها آيتان تلمس كتفيها برفق عجيب ثم قالت بخفوت "وهجومية بشكل غبي أحياناً..."

همست دجينة باضطراب صريح مماثل "اعتقد أن التهورِ والهجوم المتوحش سمة في تلك العائلة... تخبئونه جميعاً تحت مظهركم المتكلف!"

رفعت آيتان كتفيها واخفضتهم موافقه باستسلام "لا أستطيع الإنكار... نحن هكذا بالفعل"

قالت دجينة بضحكة مشوبة بالمرارة "ها أنتِ تعلمين بسري ودفاعي... أنا لدي بالفعل سمعة غير جيدة على الإطلاق رسمها الناس هنا من حولي ...آصف نفسه كان لديه نفس تلك النظرة الاجتماعية عندما تقابلنا أول مرة... وأنا... أنا حسناً لم أمنحه باستسلامي وقبولي مساعدته على الفور ما يدفعه لإصلاح نظرته عني... فكيف كنتِ تريدين مني إخباره أني كدت أن اغتصب من ذلك الرجل بعد أن ذهبت معه بنفسي لشقته؟"

حافظت آيتان على انفعالاتها جيداً وهي تقول بهدوء "وقتها أنتِ كنتِ مجرد مراهقة دجينة وجاهلة بقيمنا الاجتماعية التي تمنعكِ من الجلوس معه في معتزل وحدكم ...لذا لا تحملي نفسكِ حقارة نفس هذا الرجل"

قالت بنفس صعب "أبي كان يثق به... وأنا صدقت حجته أني يجب أن أرى المكان الذي سأقيم فيه معه... لم أعرف أنه كان يخطط لسحبي لهناك لإقامة علاقة معي ...لقد قال وقتها بالحرف الواحد عندما رفضته بقوة: ألا أدعي شرفا لا أملكه وأني مجرد عاهرة لعينة يجزم أني فقدت برائتي منذ أن كنت في التاسعة وبأني ذهبت معه وأنا أعرف بأن الأمر سينتهي بتسليم نفسي إليه، لقد قام بتسجيل كل شيء ..عادى جزء مقوماته وإجباري؟!"

توترت آيتان وهي تقول بحرقة..

"لا أعرف على من ألقي الأخطاء... ربما أنتِ بتصرفاتكِ ومظهركِ وأفعالكِ للاسف تمنحين الناس تلك النظرة... ولكن ليس من حق أحد اتهامكِ بشيء ما لم يقترب منكِ ويتأكد بنفسه"

أغمضت دجينة عينيها بقوة وهي تقول "هل تلقين عليّ الأن الذنب مثلما فعل أبي الذي ادّعى عدم تصديقي بالمناسبة بل وقدم اعتذارا لذلك الرجل وأجبرني على اعتذار مماثل وعندما رفضت قام بحبسي وتهديدي ...ليس ذنبي نظرتكم لمن ولد في الغرب يا آيتان ...ربما بعضهن ينجر لهذا بسبب إهمال أهلهن لهن... ربما هذا لأنهن لم يتلقين الرعاية المناسبة وتركوا الحياة المختلفة والقيم المدسوسة المسومة هناك تُزرع فيهم... ولكن صدقيني أكثرهن لسن منحلات بهذا الشكل البشع"

إبتسمت آيتان دون مرح وهي تدرك أن تلك الفتاة مثلها مثل الكثيرات ممن تتحدث عنهن... معطوبة بشدة بحيث يعجز أي شخص عن انقاذها ولهذا امتلكت السلطة لتجعل جلاء يهتم لأول مرة في حياته بأحد غير نفسه... ورغم هذا هو فشل بالفعل في إصلاح ما بها ولكن ربما كما قال حماها في فترة حساسة من الانجرار للسقوط في الوحل لتدمير ذاتها انتقاما من الجميع لتحقيق نظرتهم الزائفة عنها... ولكنها تعرف الآن سر تشبث آصف بها وتعلق الفتاة فيه ،عندما تلتقي نظراتهم في حديث صامت لا يفهمه سواهما... لذلك التملك والأحاسيس العجيبة التي تنطلق منه نحوها... هي الأن تعرف بأنها لا تملك أية أسباب للغيرة نحوها... بل التعاطف المرافق للشفقة والرغبة في الاقتراب واكتشاف المزيد منها... بل وربما مساعدة آصف لجعل دجينة تملك أسبابا للبقاء وبأن لا تنفصل عنه... بأن ترحب بها فردا جديدا في عائلتها...

"أنا أعرف الآن كل ما تقولينه ورداً على سؤالكِ أخيراً... أنا اتيت إلى هنا لأعرض عليك السلام وصداقة إن تقبلتيها ستكون شرفا لي"

همست دجينة بذهول"ماذا!"

ادعت آيتان الحزن وهي تقول بخفوت.. "إن رفضتِ سأتفهم أسبابكِ على فكرة... ولكن لن أكذب عليكِ كان لديّ عشم أن قلبكِ أبيض من قلبي ولا يحمل الضغينة!"

اختنقت إبتسامة على وجه دجينة مدركة تصنعها ثم قالت "لا بأس... أنا أكرم منكِ بالفعل وسأمنحكِ شرف رفقتي"

إبتسمت آيتان إبتسامة متوسعة قبل أن تسحبها على الأريكة الواسعة وتجلسها بجانبها قبل أن تخلع حذائها ترميه بطريقة غوغائية ثم جلست تطوي ساقيها تحتها وهي تقول "حسنا إذا لا داعي للتكلف أمامكِ ولنبدأ في محاولتي أن أحبكِ"

امتعضت شفتي دجينة وهي تقول "هل لديك خاصية ما لتحويل الكره للحب... هذا عجيب!"

تلبس وجه آيتان الجدية وهي تقول "الكره كلمة كبيرة وشعور أكبر من أن أوجهه لشخص لم يؤذيني بشكل مباشر... أنا لا أكره دجينة"

ردت دجينة برقة "أنت تتحدثين مثله... اعتقد أنه يمكنني بدء الثقة فيكِ!"

قالت آيتان بحرص "هل هذا يعني أنكِ ستخبرينني لم كنتِ تبكين !"

همست متصلبة "كيف عرفتِ؟"

قالت بهدوء بطيء "لم أعرف توقعت من ملامحكِ فور أن فتحتِ لي باب المنزل..."

ردت "لست مستعدة لمنحكِ هذا الامتياز بعد، لا أحب أن أكون مكشوفة بالكامل لشخص... تخبطي في الظلمة أفضل بكثير من أن يعرف حقيقتي القاتمة؟!!!"

&&&&&&&&&&&

ركع آصف على ركبتيه أمام الفراش ولدقائق كان يتأمل نومتها الغوغائية ، عيناه تمشط وجهها الهادئ الذي استكان أخيرا من صراعاته وكوابيسه عندما تخلد للنوم ... على الأقل هدأت روحها وسكنت نفسها ...حتى اللحظة يستطيع القول أنها راضية سعيدة تحاول التعامل مع عائلته وتتقبل محاولة آيتان للتقرب منها بفضول ... ولكن تبقى المشكلة الحقيقة به هو إذ يعلم جيدا أن جروح دجينة لن تختفى بين ليلة وضحاها ولا حتى بعشقه و بدفء عائلته ... بل هو يدرك جيدا أنها يحتاج إلى الكثير حتى يحصل على ما يريده حقا .. أولا أن يصل لجرحها الأخير الذي مازالت ترتعش رهبة عندما تدرك أنه على وشك اكتشافه .

حرك أنامله على ملامحها الناعمة ثم أخذ نفساً عميقاً قبل أن يهمس بهدوء "دجينة هل يمكنكِ الاستيقاظ قليلا حبيبتي؟"

لم تأته إجابة على الفور بل ظلت يده لبضع دقائق تتلمس وجنتها في محاولة هادئة لإيقاظها ...بضع ثوان أخرى وكان صوتها الناعس يجيبه " لا.. لا يمكنني فهلا أتيت أنت وغفوت بجانبي؟"

منحها ابتسامة وهو يقول "كسولة ...هيا أريد أن أريكِ شيئا سيعجبكِ"

تأففت وهي تلف يدها حول ساعده واعتدلت بمساعدته وهي تقول "أيا كان ما لديك مؤكد لا يضاهي سحر النوم"

ارجحت قدميها من السرير فأعتدل هو سريعا متلقيها خوف من أن يهتز جسدها الذي لم يستيقظ بعد " هيا أرني هذا الشيء وأغرب عني"

جز على أسنانه وهو يقول ببساطة "أنتِ وقحة "

قالت ببرود "وأنت شرقي متعنت ذكوري مزعج "

قال محذراً باسمها "دجينة!"

تشبثت بكفه قبل أن تقول مداعبة "أمزح معك ...ولكنك مزعج بالفعل وأنا لا أحب أن يوقظني أحد"

تنفس بصبر وهو يقول "أعرف والآن هلا أبدلتِ ملابسكِ لشيءٍ ثقيل!"

"لماذا المنزل دافئ؟"

"لا تناقشيني هيا قبل شروق الشمس!"

&&&&&&&&

كانت تتبعه بحذر تتمسك كفيها الاثنان بذراعه وهو يصعد بها لأعلي المبنى الفارغ إلا منهما؟!

وصلت أخيراً أمام باب حديدي فقام هو بإخراج أحد المفاتيح حتى فتحه على مصراعيه وجذبها لتصبح فوق السطح المكشوف الذي يسوره نصف حائط من الخرسان... تركها هو يتقدم نحو الجزء الأمامي يخلع حذائه ويفك بضع من ازار قميصه وفتح ذراعيه وهو يقول "أتمنى في يومٍ من الأيام أن أستقر هنا"

لم تتحرك من مكانها وهي تقول بتوتر "وما الذي يمنعك من أخذ هذا القرار؟!"

التفتٍ إليها برأسه مبتسم الوجه قبل أن يقول ببساطة "يوما ما سأفعل ...ربما حياة الغرب تغرينا وإثبات الذات يجرفنا في معترك الحياة ولكن العودة للجذور شيء حتمي دجينة لا أستطيع الهروب منه"

عبست وهي تقول مقرة بالواقع "لا ليس حتمياً أنت مخطئ ... الكثيرين ينفصلون عن جذورهم ويرفضون تماما العودة ولا يتحدثون بهذا الشغف الذي تتحدث به؟!"

اقترب منها وهو يقول بهدوء "أدرك هذا... والكثيرين منهم يضلون طريقهم... والأكثرية تضرب بالعادات والتقاليد والدين عرض الحائط آخذين من الغرب سوء طباعهم فقط... موهومين بقيد حرية كاذب الغرب أنفسهم يكرهونه ويرفضونه ...أتعلمين كم نسبة الذين يفشلون من العرب هناك بالنسبة للناجحين؟"

هزت رأسها ببطء "ومن أين سأعلم انا؟!"

اخذ آصف نفساً عميقاً يملأ صدره من الهواء العليل وهو يقول "سبعون بالمائة تقريبا يفشلون تماماً ...لمعلوماتكِ لا ينجح حتى في الغرب إلا من يحافظ على عقيدته أيا كان انتمائه... من يبتعد عن ملذات الخمر والنساء والقمار وغيرها والتي يظن السفهاء المضللين أنها علامة من علامات التحضر والحرية الكاذبة؟!"

هزت رأسها وشيء ما يلمع في عينيها قبل أن تقول بإدراك "أذا الكذبة الكبيرة للحرية ليست للنساء فقط؟"

قال مؤكداً على الفور "لا! كذبة الحرية في الغرب معممة ...إذ يعتقد من يعيش فسادا غير مبالي لمستقبله أو أن يحقق ذاته ليترك شيئا يذكر من بعده أن تلك هي الحرية ...غير مدرك أنه يضع نفسه في سجن كبير أسواره من حديد لا يفل ولا ينصهر ؟!"

أطرقت برأسها للأرض وتمتمت بخفوت "أحيانا أخاف من كل تلك الحقائق التي بدأت في تلمسها!!"

كان قد اقترب منها ورفع وجهها بين كفيه وهو يقول بصوتٍ أجش " لماذا الخوف حبيبتي؟!"

همست مضطربة وعينيها تتحد مع عينيه باحثة فيهم عن دعم ورضا قد تجدهما فيها "أخاف أن أكون من تلك الفئة المضللة وأرتعب من تلك النظرية التي قد تفقدني هويتي وكياني، أنا، أنا إنسان حر يرفض القيود ...ثم، ثم أني..."

صمتت لبرهة تحدق فيه بمزيد من الاضطراب بمزيد من الحيرة قبل أن تجد صوتها وهي تردد ذاهلة "أنا أريد أن أعرف الطريق لأحبه ...أن أجعله يُحبني وينظر لي "

ابتلعت ريقها وكفها يمسد على بتلات الموت التي ترسمها على معصمها ثم قالت برهبة "كلماٍ أبحث عنه وأحاول أن أجده أصل لشعور مذهل! أكثر رعبا من أن أقر بقربي منه وأكثر نورانية من أن تقر إنسانة مثلي بتصديقه"

كان ينظر إليها نظرة لم تفهما وهو يقول بهدوء وروحه تصل لعنان السماء تحلق فوقها "بل أنتِ المثال الحي والدليل المادي لتلك النظرية التي تقر بوجود علاقة روحية بين الإنسان وخالقه، رابط أزلي بين الله (سبحانه وتعالى) وبين المخلوق!"

كانت عينيها تترقرق فِيها الدموع بينما شفتيها تبتسم بصفاء وهي تقول "أحيانا لا أفهم كلامك ولكنه يعجبني ويُسِكن روحي "

همس وملامحه تسترخي وروحه تَسكن وتسمو لشيءٍ ونداءٍ روحاني بداخله "أستطيع الشرح أو إلحاقكِ بأحد الدروس الدينية او إقناعكِ بالحجة والمنطق ...ولكني أعرف أن بداخلكِ فطرة سليمة لم تشوه ...أريدها أن تطفو وتثور تطالبكِ أنتِ بإيجاد طريقكِ وحدكِ؟!"

كفيها حاوطت وجهه مبتسمةً وراضية تماماً بمنحنى حديثه فأحنى وجهه قليلا مقبلا وشم وردتها على معصمها ثم همس "أريدكِ أن تثقي بي وتتبعيني ما أطلبه منكِ"

اومأت بموافقة مهتزة قليلاً، قليلاً فقط! التقطها ولم يعترض! إذ يعلم جيدا أنها ما زالت تخاف... ما زالت ترهب أن تمنح ثقتها الكاملة لأي بشر! ومن هو ليلومها بعد ما قاسته؟!

اغلقي عيناكِ... فعلت

"ارفعي كفيكِ منبسطين نحو السماء"

بأنامل مرتعشة كانت تنفذ أمره.

مال نحو أذنها وهو يهمس "يمكنكِ استراق النظر إلى أن تعلمي خطواتكِ !!"

ارتعش جانب فمها بابتسامة بينما تخرج انفاس متعاقبة من بين شفتيها...

أخرج آصف هاتفه مستغلاً الهدوء الذي يحل مع مطلع الفجر .. السماء صافية ساكنة والنجوم متلألأة.. نسمة الهواء باردة مسالمة كأنها دعوة ..دعوة لتجلي السكينة على صدر كل متألم ..وتنفصل الروح عن جسد كل تائه!

همس آصف وهو بجانبها بينما يميل رأسه ليولي جانبه نحو السماء قليلا وذراعيه ترتفع لأعلى إحدى كفيه تقابل الأرض والأخرى ترتفع بخشوع نحو السماء "أرهفي السمع يا قطيطة انفصلي عن الماديات واسمحي لروحكِ بان تحلق فوقكِ.. دعي النسمات الباردة تحرككِ وصوت الله بداخلكِ يقودكِ"

لم تفهمه وللحظات تعجبت من أفعاله ولكنها فتحت عينيها ورغم كل شيء اتبعته يدور ويدور يشدو بشيء ما

مناجي ومخاطب باسم الله وجهه تحتله السكينة وجسده الرجولي يطفو بخفه نحو الرضا

"والله ما طلعت شمس ولا غربت
إلا و حبك مقرون بأنفاسي

و لا جلست إلى قوم أحدثهم
إلا و أنت حديثي بين جلاسي

و لا ذكرتك محزونا ولا فرحا
إلا و أنت بقلبي بين وسواسي

و لا هممت بشرب الماء من عطش
إلا رأيت خيالا منك في الكاسِ

و لو قدرت على الإتيان جئتكم
سعيا على الوجه أو مشيا على الراسِ

و يا فتى الحي إن غنيت لي طربا
فغنني واسفا من قلبك القاسي

ما لي و للناس كم يلحونني سفها
ديني لنفسي و دين الناس للناسِ"

رأسها انحنى على كتفها بينما عينيها إغمضت بطواعية ذاتية ...كانت في البدء غير مقتنعة تماما بما يفعل ولكنها لدقائق طويلة كانت تسترق النظر إليه ربما تفهم ما يحدث وتصل لذلك الصفاء والانعزال الذي كان يتحدث عنه جسده... مرت دقيقة.. دقائق ولم تفهم ولم تهدأ الروح وتخشع... الحاجة العنيفة جعلتها تزداد اصرارا أن تجرب ذلك الحدث الروحاني ذلك التجلي لرابط إنساني بين عابد وربه ...بين مخلوقٍ وخالق بين إنسانٍ وروحٍ وذات إلهية!

ذات إلهية تطفو بداخلها تتحرك أخيراً لتجرفها تقبض على شيءٍ ما بداخلها شيءٍ شفاف نقي جعلها تشهق بتحشرج وقدميها تندمج وهي تدور وتدور...رأسها يميلٍ أكثر نحو السماء جفنيها تسترخي مسلمة وروحها أخيرا تنفصل لتشعر بها تطفو فوق رأسها تحلق حول جسدها تتراقص بسكينة وإجلال تطفو وتعوم وتشرد لتلاعب غيم السماء ...أنفاسها تتلاحق والقلب يدق بعنف رهبة وخوف ...كل الضجيج اختفى كل الماديات أصبحت باهتة لا معنى لها ...شفتيها طواعية تردد النغمات الموسيقية المدروسة التي تتردد في أذنيها روح الكمان تخرج من أعماقها لتساعدها لفهم بعض مما يدور حولها ...لقد كانت تطفو في ستار أبيض شفاف رائق ناصع البياض لا تشوبه شائبة ولا يتخلل مرض نفس يشوه طهرها ...همس رقيق ينساب إلى أذنيها يشدو باسمها ...ترنيمة بأسماء الخالق تخترق حاجز السكون تنادي الروح لتعبدها فتخلف لوحة سريالية وسمفونية غنائية لا يمكن لمخلوق عادي أن يلتمسها! لقد كانت تغرق ...تغرق أم كانت تطفو مرتفعة بسمو خارج نطاق الأرض مبتعدة عن شرورها عن أطماعها عن ظلمها السائد لكل من مثلها !!

الروح سكنت والقلب خضع والجسد أصبح لا يشعر ولا ينهكٍ ...تتسارع رقصتها تجِن حركتها ويخِرج صوتها أخيرا بصرخة مزلزلة ذعرا عندما تجلي شيئا أمام علوها لم تستطع فهمه لم تتعرف عليه روحها الغائمة وتصل لمعاينة وسموه ...

شهقت بعنف وهي تعود لأرض الواقع جسدها مرتخي منهار لا تقوى على الحراك التقطها آصف بين ذراعيه قبل أن تصل للأرض بينما الندم يتأكله والقلق يحل بروحه وهو يقول بتوتر" أنا آسف ...لم يجدر بي جركِ لهذا ...هل أنتِ بخير؟ هل نذهب للطبيبة؟"

هزت رأسها نفياً بينما تبكي بحرقة لشيءٍ لم تستطع تفسيره لم تقوى على قول شيء ...لم تستطع ببساطة وصف ما عاشته في تلك اللحظات ...ولكِنها استطاعت أن ترفع ذراعيها تلفها تحت كتفيه سامحة لدفء رجولته أن يحتوي ضعف أنوثتها!

"حب الرجال مجرد تفاصيل صغيرة أولها اعترافه بحبكِ وأكبرها اطفاؤه لغضبكِ واستيعاب ارتباككِ و فهمكِ قبل أن تفسري أنتِ نفسكِ ...وآخرها احتوائكِ وإرشادكِ!"

&&&&&&&&&&&

بعد أيام...

كانت دجينة تقف أمام البحر الأحمر بشعابه المرجانية التي حبته الطبيعة بها.. تتخلل أنفاسها كل نسمة هواء ناعمة باردة فتهدئ خوفها وصراعها وقلقها الغريزي...

"أعجبك المكان؟" قالها آصف ويداه تلف خصرها حتى استراح كفيه علي تحدب بطنها...

همست "أكثر من رائع ولكني محبطة قليلاً"!

قال باهتمام "لماذا؟"

قالت ببساطة "كنت أتمنى أن أسبح هنا ولكني لا أجيد الأمر.. ولم أستطع منح أحدهم ثقتي حتى يعلمني ..وأظن أني لن أفعل يوما ..أعتقد أن المشكلة الرئيسة تتعلق بأمواج البحر نفسها غادرة مزاجية غير مستقرة وقاتلة متجنية أحيانا"

أخذ آصف نفس عميق قبل أن يقول بهدوء "أدفع نصف عمري، واخترق عقلك لأعرف من أين تأتين بكل هذه التعبيرات المرعبة!"

ضحكت "سبعة أعوام من التخبط والرعب النفسي أكثر من كافية آصف"

هز كتفيه قبل أن يتركها ليستدير أمامها وهو يقول بجدية "إذن لا أحد قادر على كسب ثقتكِ"

رفعت حاجبيها وهي تقول مدعية الجدية "مع البحر لاا! "

انحنى آصف فجأة ودون مقدمات كان يرفعها عن الأرض لتصبح بين ذراعيه شهقت بصدمة ويديها تتشبث بجاكت بدلته الأنيقة والفخمة "ما الذي تنوي فعله؟!"

كان بالفعل يتحرك نحو موج البحر وهو يقول بعبث "أحاول كسب رهانكِ غير المنطوق"

هزت رأسها تدعي الضيق بينما داخلها يتراقص بسعادة أصبحت تخشى من فقدها يوما "أنت لن تفعل.."

كانت قدميه لمست رمال الشاطئ بالفعل دون أن يحاول خلع أي من ملابسه.. يديها تتشبث فيه أكثر قدها يلتصق فيه برهبة حقيقية.. فستانها الحريري صاخب الألوان

يتلاعبِ به هواء البحر ليرفرف من حولها بينما هو يقول ضاحكا "أنا فعلت وانتهينا.. يجب أن تواجهي جميع مخاوفكِ يا دجينة ..جروحكِ لن تشفى بالهروب"

ورغم صرختها التي خرجت ضاحكة مستنكرة وإدعاء باهت للمقاومة كانت عينيها تحملق فيه متذكرة تعليق مماثل أخبرتها به أحد مدربات العلاج النفسي وحلقات الإرشاد العلاجي التي لجأت لها مجبرة لبعض الوقت بعد ما حدث ....هنا إذ كان رعبها وقتها بلغ مداه وكاد أن يتحول لهستيريا مرضية...

"آصف ..أعتقد أني واجهت من ٍقبل بعض من مخاوفي معك.. ونجح الأمر لذا لا ضرر أبدا من مواجهة المزيد!"

أنزلها ببطئ لتلامس قدميها الماء حتى غطت نصف جسدها.. لم ٍتترك كفيها تشبثها به بينما المياه تغرق كليهما كليا "أحتاج للمزيد من الثقة ..انا لا أريد البحث خلفكِ بل انتظر آخر جروحكِ لترشديني اليها بنفسكِ"

"يوما ما سأفعل فقط أريد بعض الوقت آصف"

&&&&&&&&&

نظرت دجينة حولها إلى الصحراء مترامية الأطراف والتي تحاوطها جبال سيناء الشامخة مِن كلِ جانب.. فتدخل الى قلبها السكينة والاطمئنان بعيدا تماما عن الرعب الذي كانت تعيشه عندما تتواجد مع أحدهم من العرب.. الثقة الحقيقية التي عادت ببطء تمنحها لذلك الرجل الذي يثير بداخلها كل المشاعر المتناقضة لم تعد تفسرها أو حتى تجد لها اجابة لِما يدور بداخلها من صراع... عندما تقدمت

تجلس بجانبه ببطء حول النار التي أشعلها للتدفئة خارج الخيمة المنفردة التي ابتعد بها عن عائلة عزيز العاشوري والذي أصرٍ كما فهمت على تواجدها معهم في "شرم الشيخ" نظراً لإقامة إحدى الحفلات الضخمة لشركاتهم ... نطقت بهدوء "لماذا نحن هنا؟"

كان قد إنتهى بالفعل من رص بضعة من جذور الشجر اليابس ...اعتدل وهو يسحب شال خفيف من جانبه يحيط به كتفيها وهو يقول ببساطة "حتى نستطيع اكمال حديثنا بعيدا عن أي متطفلين"

عبست بشدة فاهمة قصده وقالت "جلاء ليس متطفلاً هو فقط يقارعك فيما أعجز أنا عن إجابته"

إبتسم بتكلف وهو يقول "لم أتي بكِ لنتقاتل أو لأستمع لوجهة نظر ابن العاشوري"

لم تتنازل عن عبوسها بينما تقول "أنا لا أتقاتل معك بل نتشاجر في وجهة نظر كلانا "

هز كتفيه وهو يقول بهدوء "ولا نتشاجر أيضاً... لقد اتفقنا على النقاش الحر المفتوح دون التطاول أو فرض وجهة نظر أحدنا على الأخر أليست هذه مبادئ مدرستكِ؟"

قالت سريعا "بالطبع..."

صمتت قبل أن تضيف بتردد "ولكن نحن هنا للاستجمام كما أخبرتني... لا مقارعة بعضنا "

تلون صوت آصف بالحزم وهو يقول "أعرف... ولكن أنا أمل سريعا من جلسات اللهو تلك... لذا فضلت أن نكمل نقاشنا المعلق أم تخافين أن تخفقي في الرد؟"

عارضته قائلة بتشدق "لقد سبق وأثبتُ لك أني أستطيع مجادلتك والدفاع عن وجهة نظري... أم أنك تحاول وضعي في خانة الجهل لأني أنثى"

لدقائق طويلة.. طويلة جداً لم يرد وبدى أنه يحاول السيطرة على نفسه... ينحي تماما فكرة أنها زوجته بل مجرد فتاة صغيرة ضلت طريقها وتتصارع بين مفترق طرق وهو يحاول مساعدتها لترسو إلى أحدهم دون أن تُضيع المتبقي منها.

أحست دجينة بأن آصف ما زال يجاريها لا أكثر... كمن يقوم بمهمة لا يتقبلها ولكنه مجبر عليها حتى يصل إلى ما يرنو اليه حقيقة... لقد شعرت بالغضب قبل أن تقول مفكرة "أتعرف ما هي مشكلتكم الحقيقة يا آصف؟!"

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يستفسر "أتحفيني بالمزيد مما لديكِ؟!"

قالت بشيء من الانزعاج من نبرته "المشلكة تكمن أن نظرة المجتمع للإنسان البوهيمي نظرة منقوصة تأطورِه في خانة الغجري والمتمرد غريب الأطوار والمنحل أخلاقيا في كثير من الأحيان..."

استند آصف على ركبتيه قبل أن يسحب البساط الصوفي ويفرده بجانبه مشيرا لها أن تستبدل الأرض الرملية لتجلس بجانبه ففعلت على الفور وعينيها معلقة بعينيه غير متنازلة عن الاجابة.

عندها فقط استراح بجانبها وهو يقول بتفهم "أنتِ تشيرين لبداية معرفتنا! وأنا لن أتطرق لهذا الأمر مرة أخرى... ولكن الحقيقة ما تقوليه هي نظرة مجتمع كاملة للمدرسة البوهيمية"

قالت بضيق "لم أنتظر هذه الإجابة منك"

ضحكٍ وهو يقول متلاعباً "أعرف... أنتِ تنتظرين جدالاً وشجارا لن أفعله!"

صمت لبرهة قبل إن تسمعه يقول بصوتٍ أجش "البوهيمية كمدرسةٍ وأيدولوجية فكرية كغيرها من العديد من المدارس المتبعة يمحورها ويوظفها البعض كلا على حسب إفكاره ...منها المنفر المكروه اجتماعيا ودينيا... ومنها ما نحن بصدده مجرد نمط غير تقليدي لمجموعة أشخاص ذوي ميول مشتركة... كالنشاطات الموسيقية أو الفنية أو الأدبية... وفي هذه الحالة يمكن أن يكون متسكعا أو مغامرا أو حتى متشردا؟!"

يدها إرتفعت تزيح شعرها خلف أذنيها قبل أن تقول بتردد "بعيدا عن معاييرك الدينية أو الاجتماعية طريقتنا في الحياة لا تؤذي أحدا أو تتعدى على فكر أحدهم ...بل نكتفي بالتمرد لأن حياة البشر مهمة فهي من تمنح قوة الحياة... فقط نريد أن نستخدم تلك القوة لنصبح متفردين ... الحياة هبة آصف يجب الاستمتاع بها كلا على طريقته بدون إطار معين وجماعة ننتمي إليها أو قالب أوضع فيه لأني أنثى..."

كان ينصتٍ إليها بإهتمام حقيقي حتى وهو يعرف ما تقوله سابقا ولكنه أراد أن يرى الامر من خلالها هي وكأنه يريد اقتحام عقلها وفك طلاسمها الصعبة الغريبة حتى يستطيع قرائتها بوضوح...

امتدت يده يمسك كتفيها يمسد عليهما بطريقة مدروسة بطيئه لمد جسور الثقة والأمان بينهما قبل أن يقول بنبرة متمهلة "ما تقولينه يتعارض مع علم اللاهوت والميثولوجيا

والروحانية تلك العناصر التي قامت عليها البوهميمة في الأساس"

لم يعرف سر ارتِضاضِ جسدها بين كفيه وكأنها بوغتت بما يقوله جهرا وعلنا... هزت رأسها برفض شديد قاطع وتمتمت

"أنا لا أنتمي أبِداً بأية صورة من الصور لتلك العناصر ولم أفكر فيها يوما أو حتى أحاول أن اقرأ عنها"

رغم انه كان يعرف الاجابة مسبقاً ولكنه لن ينكر أنه شعر بالراحة إذ أن رحلته معها ليست صعبة أو مستحيلةٍ... ورغم هذا سألها بهدوء "إذا ما الذي تتبعيه منهم تحديدا ما الذي يعجبكِ أو يجذبكِ لتصري أن تعلني أنكِ تتبعيهم وتهاجمين عقيدتكِ التي ولدتي فيها بالفطرة ؟!!"

عينيها كانت تمشط ملامحه وكلها يشعر بالاسترخاء حتى وهي تفلت ذلك الشال من فوق كتفيها ثم قالت "أنا لم أكن اعرف حتى أني أنتمي إليهم... ولكن دعنا نقول بعد منادتي بحريتي وهروبي من والدي وأمي... بحثي عن الحب المطلق وحياة الزهد والتشرد بطريقة غير منتظمة دون أن اقلق ما الذي سيحدث لي غدا... مكتفية بفني "والكمان" رامية على ظهر الحائط كل القواعد السلوكية التقليدية"

صمتت تلتقط أنفاسها قبل أن تضيف "مع كل ما ذكرته أخترت وعرفت أني أنتمي إليها ولن أقبل بغيرها بديلا"

قال بهدوء "نستطيع القول أنكِ اتبعتِ ببساطة أفكار هنري موجيه أو فيكتور هوجو"

فتحت كفيها تشوح بهما بلا معنى وهي تقول ببساطة "ربما... أنا من أشد معجبيهم"

ابتسم وهو يكمل بتفهم "إذاً التعريف الأقرب لكِ أنكِ شخص غير تقليدي اجتماعيا... أو ربما ببساطة غجرية"

عبست وهي تقول غاضبة "أنا لست غجرية"

ضحك وهو يقول ببطء "ترتبط مدرستكِ ارتباطاً وثيقاً بقدماء الغجر... كما أن الانسان الغجري هو ذلك الانسان البسيط المنفرد بطبعه والمتميز بأسلوبه... لا يهتم بالمال ودائما مشغول بطقوسهِ الغريبة... كيف ترفضين الانتماء إليهم وأنتِ مثلهم تماما"

توترت وهي تقول "أنا لا أرفضهم ولكن... ولكن"

تمتمت بحزن "أنا لا أعرف لم أعد أفهم نفسي ...ما تخبرني إياه كثيرا علي استيعابي يجعلني أحيانا أتمسك بشدة بما أنا عليه وأحيانا أخرى أستعجب نفسي ...كيف أجد التوازن آصف؟!"

يده تحركت ووضعها على قلبها المضطربِ وضغط عليه بدفء وهو يقول "الأمر بسيط اتبعي هذا دائما"

قالت بيأس "أتبعه... أحاول صدقني أن أدعمه وأثق به ليوجهني ولكنه يرهقني يؤلمني ويرميني في مغبات التوهان"

لم تتحرك يده من هناك وهو يسأل بحنان "ما الذي يتعبكِ دجينة ربما أستطيع مساعدتكِ"

تأخرت إجابتها للحظات لم تفاجأه عندما قالت بقلق "أنا أحب الله آصف أخافه... شيء فكري وفطري بداخلي يمنعني من التوغل في حياة الخطيئة... ولكن ما زلت أخاف الإسلام كمذهب أرتعب من اعترافي وانتمائي الكامل له لأجده يقيدني ويقتل ما أنا عليه أو أسوأ يرفضني!"

أغمض عينيه للحظات مُتّخِذاً نفساً عميقاً متألماً ...لا لن يُحبط الآن هو من اختار هذا الطريق وقرر قطعه معها وهو

يوقنِ أنه مِمر طويل مظلم مليء بالمخاطر... فتح عينيه أخيرا لتطل منهما نظرة التفهم المعتادة ...تلك النظرة التي تمنحها الاحتواء والأمان والرفق... ثم ما لبث أن قال "هل ارتباطكِ بي صعب... هل فرضت عليكِ وجهة نظر أو عنفتكِ؟!"

قالت بتردد "لا أنت تحاول أنٍ تعيدني للطريق الصحيح وتساعدني لأفهم نفسي تاركا لي حرية الاختيار"

أخذ نفساً أخر طويل قبِل أن يقول "أنا لا اعيدكِ لشيء إذ أني شخص عادي جدا... يحاول أن يقلل ذنوبه ويرتقي بأخلاقة ويقترب خطوة من الله... أنا أجاهد مثلكِ دجينة!"

صمت للحظة قبل أن يتابع بحزم "إذاً قبولكِ ما أنتِ عليه بجنون أفكاركِ وتمردكِ... صخبكِ حزنكِ غضبكٍ وسخطكِ... هو شيء بيد الله وحده وليس لمخلوق أخر دخلا فيه"

اقتربت منه هذه المرة بنفسها تضع رأسها على كتفه ببطء متردد شجعها بصمت عندما إمتدٍ ذراعه يلفه على خَصرها متلمسا جنينه الذي يكبر يوما بعد يوم بداخلها ...قالت بسكينة عارفة أنه لن يهاجمها مهما تفوهت "ولكن أنا أخبرتك الافكار التي انعكست إليّ عنكم متطرفة للغاية"

كان يعلم أنه يقدم على الأصعب معها ولكنه كان مجبراً أن يوضِح لها وجهة نظرة الخاصة والشاملة للأمر كله... ذاكرا لها ما يخصها فقط دون التطرق لسياسات منظومة كاملة!

فقال أخيراً "هِل تعلمين أن كل تلك الأفكار المرفوضة أخلاقيا وعقليا والتي زرعها الغرب في عقلكِ هي مجرد انعكاس لبعض المتأسلمون البوهيميون ؟!"

نظرت إليه بعينين متوسعتين يملأهما عدم الفهم المخالط للفضول "ماذا تعني وهل هناك ما يسمى بالإسلام البوهيمي؟!"

قال بهدوء "أنا لم أقل إسلام بوهيمي... بل متأسلمون... أي أفعال أشخاص عاديين يتصارعون على السلطة أو المال أو حتى مزرُعون لهدف زعزعة منظومة وتشويهها ؟!"

هزت رأسها وهي تقول "لا افهم ؟!"

أجابها برزانة "لقد أخبرتكِ سابقاً أن البوهيمية كمدرسة تنتمي لعدة فصائل منها المتطرف ومنها الفكر اللاهوتي ومنها الأيدولوجية الاجتماعية والفكرية... بالنهاية هي منظومة الكل يأخد منها ما يناسبه ولكن ما نتفق عليه أنها مجتمع مغلق لمجموعة من الأشخاص ينتمون لفكر واحد يؤمنون به يشيدون فيه ويرفضون كل ما يأتي خارجه... بل ويصل بهم التطرّف لاتهامه بمصطلحات أخرى مثل الأرستقراطية أو البرجوازية أو غيرها"

ضيقت ما بين عينيها وهي تقول "هل تعني أن كل فكر ينغلق على نفسه فيصبح نمطي مؤدلج غيره... أي تعني أن كل منظومة توهم مريديها بحرية كاذبة؟!"

لن ينكر أنه أعجب وبشدة بذكائها في الحوار وبفهمه بسهولة... توسعت ابتسامته وهو يقول "تقريبا... هذا ما قصدته... لذا المتأسلمون الذين ينتمون لجماعات تكفر غيرهم تحكم على كل من خارج دائرتهم بالانحلال الاخلاقي... ترفضه أو حتى تجزم بدخوله جهنم جاعلته ييأس من رحمة الله... ما هم إلا بتوهيميين الفكر المتطرف"

صمت ليأخذ نفساً عميقاً قبل أن يقول مكملاً "المشكلة تكمن أن كل ما يصدر لأوروبا والغرب عامة هو (الإسلام اليميني المتطرف) ذلك الذي يرفض تماما أو يرتعب من

فكرة الانفتاح على تبادل الثقافات... بعضهم من بسطاء الفكر تخوفه بسيط منغلق يتمحور حول أن ذلك التبادل ما هو إلا نقل مساوئ الغرب أو تحررهم إلى مجتمعنا... وتلك الفئة هي المنقادة بالتبعية هم المضللين البعيدين تماما عن التفكر... هؤلاء من لا يستطعون الفصل بين معتقداتهم عقائدهم وعقائد الجماعات الأخرى فيحدث التضارب"

عندما صمت قالت سريعاً تحثه على الشرح "وماذا عن الفئات الأخرى؟!"

قال بقتامة "جميعهم وإن اختلفت جماعاتهم أو شعاراتهم ينتمون لفكر واحد ورفض أوحد... يسمى بالتخوف المركب... هؤلاء من يغوصون في تحليل كل مبدأ وفكر وبمبضع جراح يبحثون عن الخلل فيه... مصدرينه للمجتمع وأصحاب التخوف البسيط وهنا تقع المشكلة إذ أنه يؤجرهم للعيش في شيزوفرنيا لا تنتمي للواقع موقعين المجتمع والأمة في فخ رفض التقدم... متهمين كل من يفكر أو لا ينتمي إليهم بفكر أوحد بالإلحاد والكفر"

قالت على الفور بقلق "هذا ما أتحدث عنه المدرسة التكفيرية أنا قرأت عن الامر!"

قال بهدوء "أعرف... وتلك المدرسة في الحقيقة لا تعني إلا الإفلاس الفكري وحتى العقيدي... وباءٍ عضال على الأمة... إذ أن الإسلام الحقيقي الذي أنزل نورا وهدىً للعالمين لم يكفر أحدا يوما بل نشر رسالته بسلام محترما كل العقائد الأخرى"

صمت تماماً ضامها إليه أكثر فحاولت حثه وهي تقول برهبة "أريد أنٍ أعرف أكثر أرجوك... أنا أتخبط... ما تقوله هو تحديدا ما وصل لي من أفكار في فرنسا"

هز رأسه رفضاً وهو يقول بهدوء "لا أعتقد أن المزيد في صالح تفكيركِ في الوقت الحالي دجينة... ما ذكرته كان لمساعدتكِ لتفهمي أن ما يصل للغرب عنا ما هو إلا فكر مُصدر مدروس على مر الزمن بخطوات بطيئة... حتى يصدُر عن الإسلام فكر مأطور يُضل بالكثيرين... وما يدعو للألم حقا هو ضياع من مثلكِ من أبناء الإسلام الذين أهمل ذويهم في تعريفهم على عقائدهم بالطرق الصحيحة... تاركين إياهم لضياع في مفترق الطرق يتنازعون... وحتى عندما يعودون لأوطانهم يجدون ذلك الفكر المنفر يتفشى... والأكثر مرارة فكرة الكثيرين عنكم رافضين إياكم متهمينكم بالانحلالِ دون أن يحاولوا وضع أيديهم على مشكلتكم الحقيقية"

هزت رأسها بالإيجاب وهناك دمعة خائنة تطرف بعينيها متذكرة كل ما عانته على ايدي تلك الفئة..

مسك وجهها بين كفيه وهو يقول بهدوء "الإسلام محبة... نور للعالمين حب الله ورسوله ِهداية لن تجدي السكينة إلا عبرها... الإسلام لم يكن يوما بوهيمي أو مؤدلج... لم يكن أبدا ملك لجماعة أو طائفة... بل هو رسالة حقيقية للسلام...لن يصل إليها إلا من يبعد عن كل تلك النزاعات"

بعد كل ما قضته معه... رؤيتها لأطياف البشر هنا على مختلف طوائفهم وافكارهم... هي تعلم بل وتنجذب بسرعة رهيبة لفطرتها السليمة دون الكثير من الجهد...لقد راقبته في صلاته واستمعت للآيات القرآنية الكثير من المرات والتي لذهولها وغرابتها شعرت بسكينة رهيبة وروحانية كان يتحدث عنها واعتقدت أنها لن تصل لها أبدا... "ربما الحقيقة القاسية أفضل من الكذبة المظلمة" وهي الأن تعترف لنفسها أنها كانت تحارب والديها لا نمطية المجتمع... تتمرد على أفكارهم لا على الإسلام كما

اعتقدت... بل هي على يقين أن المشكلة لم تكن في صورة المرأة المسلمة ولا قيمها التي تحفظ بكيانها... بل حربها مع حرية كاذبة ينجذب لها البعض كالفراشة التي تذهب الى النار بقدميها لتحترق باختيارها.

&&&&&&&&&&&

هل سمعت من قبل بالقول المأثور

(الخطأ والصواب كلاهما كالوصمة...وصمة سترافقك دائما)؟!

فالكذب سيلاحقك أينما ذهبت...

وسوء المعرفة والاختيار وربما الجهل خطيئة لا تغتفر...

ولا تملك حجة للدفاع عن نفسك إذ كنت تملك ماضي مشوش مشين ...

لن تكن خاصية الإخفاق متاحة لك لأنك ببساطة لن تحصل على فرصة أخيرة للإصلاح.

.....

تقدمت آيتان عند باب القاعة التي يقام بها الحفل السنوي الضخم والذي يضم العديد من رجال الأعمال من داخل البلاد وخارجها.

وصلت عند خالها وزوجته وكادت أن تنقلب ضاحكة وتنسى تحفظها وهي تنظر لدجينة متفحصة فستانها القطني البسيط الذي يصل إلى كاحليها ويغطى ذراعيها ...وجهها خالي تماما من الزينة وشعرها موضوع في ضفيرة طويلة على إحدى كتفها... حسنا فلتحمد الله أنها قامت

بتمشيطه على الأقل "ما الذي ترتديه زوجتك آصف أنت مؤكد تمزح!"

كانت ذراعه تحاوط خصر دجينة يلصقها به بحماية وكأنه يعلن لجميع الأعين التي التفتت لدخولهم أنها جزء لا ينفصل عنه... مخبرهم بصمت أنها امرأة حياته التي يفتخر بها رغم اختلافها عن الجميع هنا... رغم التناقض التام بين كليهما.

"زوجتي ليست محل عرض لأحد وأنا غير مُطالب أن تنال استحسان أحد... هي ترتاح هكذا وأنا بصراحة أكثر من مرحب بتلك الفكرة... يكفيني تماما عدم إظهار إنش واحد منها"

تجهم وجه آيتان بينما تتأمل فستانها الأسود الذي يخط منحيتها بوضوح ويصل إلى أسفل ركبتيها بقليل وقالت "هل عدنا لنفس النقاش خالي؟"

أخذ آصف نفساً عميقاً قبل أن يقول بهدوء "أنا لا أملك سلطة عليكِ يا آيتان وهذا الأمر ليس محل نقاش هنا ...لا ألومكِ في الحقيقةٍ ولكن لديّ من الثقة أنكِ ستعرفين طريقكِ وحدكِ يوما ما"

بعد وقت قصير كانت تراه مندمجاً تماماً وسط بعض رجال الأعمال بحلاتهم الأنيقة التي تحمل مركات عالمية متكلفة بينما آيتان بطريقتها الحازمة ووجها الصارم العملي تندمج مع مجموعة من النسوة يماثلوها أناقة...

أما هي فقد اكتفت أن تنزوي على إحدى الطاولات الجانبية متحججة بثقل حملها الذى لا يساعدها على الوقف بجانبه وقت طويل! فتركها مرغما تبتعد عنه ... عينيها تخونها لتراقبه لقد كان هادئا، أنيقا، مسيطرا ووسيما بطريقة تخطف لب أي امرأة تنظر إليه... ولكنها

وحدها من تعرف أية وسامة وحشية يملكها تحت ذلك القناع ...وحدها من اكتشفت أي جموح يملك وراء قناع البرود هذا... كان قلبها يقرع كالطبول تحت أضلعها وهي تدرك أن كل هذا لها وحدها كما أعلن هو مرارا... أية سلطة وخطورة يملكها ضدها؟ كيف تريده بكل ما هو عليه دون نقصان شيء واحد وكيف ترتعب من مجرد فكرة تسليم نفسها وحياتها القادمة له؟ من أين تأتي بالثقة الكاملة أنه لن يخذلها يوما؟!!

"كنت أعرف دائماً أنكِ تملكين ذكاء أمكِ وسيطرتها على عقول الرجال لتصل لما تريده بالنهاية... ها هي حقيقتكِ ظهرت وتنازلتِ عن جميع مبادئكِ الكاذبة لتبقي مع رجل كآصف... يمنحكِ الرفاهية والمال والسلطة بعد حياة التشرد"

لهثت أنفاس دجينة بينما يصيبها الذعر المُطلق وهي تتعرف على نبرة أبيها الشرسة المهاجمة... كانت أظافرها تتشبث بمفرش الطاولة حتى كادت أن تدميها وهي تسمعه يقول بنبرة حادة أشبه بالمشارط تمزقها "أرى أنكِ ما زلتِ تحتفظين بالطفل، سمعت أنه سيهبكِ أي شيء مقابل التنازل عنه... ألم أخبركِ أنتِ تشبهينها"

هل لتحطم القلوب صوت؟! مؤكد الإجابة بنعم إذ تسمع انفجارا مدويا مؤلما داخل أضلعها وطعم الدماء الصدئ يملأ حلقها...

كانت دجينة في حالة مريعة وهي تتنفس بصوت متحشرج ...حركت رأسها ببطء فلم تُصدم بالدخان الكثيف الصادر من سيجاره الفخم والذي نفثه بالكامل في وجهها حتى سعلت على الفور رغما عنها... عينيها الواسعتين

كانت تغطيها غشاوة من الدموع بينما استطاعت أن تقول "ما الذي أتى بك إلى هنا؟"

قال ببرود بينما ينفض سيجاره بالقرب من كفيها المتشبثة بالطاولة كأنها ستحميها من سقوطٍ محقق "أنا في مكاني تماما... السؤال الصحيح ما الذي تفعلينه هنا يا شبيهة أمكِ!"

لهثت دجينة في محاولة صعبة للسيطرة على نفسها فتفشل وهي تقول بصعوبة "ليس من شأنك"

إدعى عوني التفكير قبل أن يقول بصقيع "بناء على صفقة آصف غانم معي أنتِ أصبحتِ للأسف شأني... أعتقد أنه رجل نزيه وأخبركِ أنه بعد أن ينتهي منكِ سيعيدكِ لوالدكِ... عزيزتي تعلمين كم أفتقدكِ!"

كانت تأن ألماً وهي تتذكر كل ما كان منه بصورة واضحة... لِم تنتبه أبدا للفخ الذي يوقعها فيه وكانت تجهل تماما أنه يراقبها يستشف أخبارها من الجميع منذ عودتها إلى هنا معه...

انحنى نحوها وقال بصوت شرس "أنتِ ستدفعين الثمن ...لا تعتقدي أني سأغفر لكِ خسارتي الطائلة... وحتى هذا الأحمق المتبجح لن يستطع نجدتكِ من بين يديّ ...أنتِ ستعودين وستعوضينني عن كل صفقة خسرتها بسببكِ"

رفعت وجهها بذعر تنظر له بعينين متوسعتين مصدومتين "ما الذي تتحدث عنه؟!"

النظرة المفترسة كانت ما يحمله نحوها والصوت الحاد القمئ المتوعد بعذاب لم تتخيله قط هو ما حدثها بلسان حاله عندما قال بخفوت حاد "ستعرفين فور حصولكِ على الطلاق والعودة بين قبضتي ...أنتِ بالطبع واهمة إن

اعتقدتِ أني سأسمح لكِ بالهروب مرة أخرى وتعريضي للفضيحة... من سوء حظي أني سمحت لوالدتكِ بإنجابكِ أنتِ عثرة وغلطة يجب عليّ دفع ثمنها... ولكن لقد قررت أن تدفعي معي كل ما جنته يداكِ يا ابنة أمكِ"

استجمعت دجينة كل نفورها واحتقارها وركزتهما في نظرة واحدة رمقته بها... نظرة حملت التمرد والقوة والتشفي وهي تقول "في أحلامك أنت وكل من يعتقد أنه سيجبرني على شيء... بل فور تخلصي من هذا الشيء وطلاقي من هذا الرجل الذي اعتقدت بحماقتك أنه يملك سلطة عليّ سأعود للهروب لدنياي وسأزج بك إلى سجون فرنسا إن حاولت أنت أو غيرك الاقتراب منيّ"

فور أن ختمت كلمتها الكاذبة السامة كانت تقفزتقريباً وتفر هاربة من الحفل كله...

بينما توسعتٍ أبتسامة أبيها كضبع منفر يتغذى على البقايا... حسنا بالنهاية هي لست مجرد إشاعات كما اعتقد وتناولها المجتمع المخملي من وراء عائلة العاشوري... آصف غانم تورط معها ومجبر لتحملها حتى تأتي بابنه ثم سيتخلص منها ليحصل على فتاة من عائلته!

بالنهاية هو ليس خاسراً تماماً بجانب مهرها من آصف سيربح صفقة أخرى مع شريكه هاني تمام... سيعوضه هذه المرة بتزويجها إليه دون أن يكلفه شيء ...بالنهاية ابنته الجميلة صاحبة الوجه الطفولي المغري لأي رجل أصبحت معطوبة وبقايا رجل استعملها ومن الجيد أن هاني سيقبل بإعادة التدوير!

&&&&&&&&

عينيها الباكية ووجهها الشاحب وركضها في ردهة الفندق لم يكونوا أمور لا تلفت الانتباه... من الجيد أنه انسحب من الحفل ليستنشق بعض الهواء النقي وإلا ما كان رأها.

يده إلتفت حول ذراعها سريعا يحاول وقف ركضها فصدمته ردة فعلها العنيفة التي وصلت للتطرف ويدها الأخرى ترتفع تخبطه على صدره بذعر وهي تصرخ "ابتعد عني يا حيوان!"

حاول السيطرة على يدها المقاومة وهو يهتف فيها بقلق "اهدأي... إنه أنا جلاء يا دجينة"

كان جسدها يتشنج وهي تدفع نفسها بعيداً عنه وتبدو غير مدركة لما تفعله بينما تكرر هتافها "ابتعد...اتركني..."

صوت آصف الحازم المشبع بقلق كانت يأتي من بعيد وهو يندفع وسط بعض الناس التي تجمعت حولها في ردهة الفندق "ما الذي يحدث هنا؟"

وصل إليها وجذبها من يديّ جلاء الذي تركها على الفور وهو يقول "لا أعرف..."

نظرة إليه آصف بشك سرعان ما انمحى عندما حاولت مقاومته هو الأخر عينيها الباكيتين كانت تأمره بشراسة "ابتعد أنت الأخر أنا لا أحتاج لحماية أحد... الذنب كله ذنبك أنت... لن أسامحك أبدا يا آصف أبدا"

ضاقت عينيه قليلاً دون أن يفقد رباطة جأشه قبل أن يقول ببساطة "لقد قابلته أليس كذلك؟ وعاد يسمم أفكاركِ من جديد!"

اتسعت عينا دجينة بصدمة قبل أن تصرخ "هل كنت تعلم بقدومه وتركتني آتي إلى هنا... هل هل أنت من أخبرته بتركك إياي؟"

الجو توتر من حولهم مصيباً جلاء بالقلق التام ليس من الأعين الفضولية أو ظهور بعض الصحفين الذين قد يأخذون من الأمر مادة دسمة لفضيحة مدوية... ولأول مرة كان جلاء يشكر القدر أن من أمامه هو الطرف المعني للسيطرة على ما يحدث... ذُهل حقا عندما سمع صوت آصف المسيطر المغلف بالرفق كلحن هادئ يُدِخل إلى النفس السلام والطمأنينة "هل قدمت لكِ طوال فترة معرفتي ما يجعلكِ تشكين بي؟ بطلوع الروح قد أفعلها يا قطيطة!"

سكنت بين يديه رغم ارتجاف جسدها بقوة... شفتيها ترتعشان وعينيها تعودان لتلك الظلمة التي تسرق منها كل استقرار نفسي وصلت إليه بعد طول معاناة... تكلمت أخيرا متألمة بعمق "أخرجني من هنا"

وكأن قوة اجبارية ليست من اختِياره جعلته يميِل بوجهه يطبع قبله عميقة أعلى رأسها ردا على طلبها وأيا من كان ينتظر انفجارأحدهم من الجموع!!!.

&&&&&&&&&&

"عرض تمثيلي مبهر، في الحقيقة تلك الفتاة تفوقت حتى عليّ إن أردت أن أقوم بتمثيلٍ مشهد كهذا؛ لا عجب أنها سيطرت على عقل خالكِ كليا؟!"

قالتها "سديم" ساخرة وهي تطوح بمشروبها نافذ الرائحة مجهول المصدر...

مالت أيتان بوجهها قليلاً في محاولة واهية لتحجيم غضبها ..قبل أن تقول بقوة مسيطرة "سديم أخبرتكِ آلاف المرات لا تتدخلي فيما لا يعنيكِ؛ ليس من حقكِ إتهامها بشيء وأنتِ لا تعرفينها"

حركت سديم كتفها العاري من تحت فستانها الأحمر الملتصق كجلد ثاني على جسدها بإغراء صريح فج ..ثم قالت بتلكؤ "أنا لا أتهمها بما ليس فيها ..وحتى وجهها الطفولي وتلك البراءة التي ترسمها بإتقان لم تخدعني مثلكم..!"

هزت أيتان رأسها بنفاذ صبر قبل أن تلتفت عائدة لداخل القاعة وهي تقول "أنتِ لا فائدة منكِ لن تتغيري يوماً"

أطلقت سديم ضحكة مائعة مصطنعة متكلفة جداً قاصدة بها لفت أنظار بعض الرجال إليها ثم قالت بنفس البطء المغوي "ولماذا أتغير أنا حرة ..أفعل ما أريده وأقول ما يلقيه علي عقلي"

نظرت لها أيتان من فوق كتفها ثم قالت ببأس "حقاً أتمنى أن لا تدفعي نتيجة ما تفعلينه بنفسكِ يوماً ما ...لأني أوقن الآن أن ثمن حريتكِ هذا غالي جدا يا سديم ..ثمن لن تستطيعي إدراك عواقبه أبداً؟!"

على باب القاعة كان هو هناك بوجهه الغاضب المتجهم ..وعينيه الصقرية الحادة التي ما زالت تحمل أثار عشقه الذي لن يتخلص منه يوماً حتى وهو يراها مع آخر سعيدة بحياتها مزدهرة ولديها طفل وتخطط لآخر بل آخرين مما صرحت به في أكثر من مناسبة ..مع جلاء العاشوري الذي كسب حربه دون حتى أن يجبر للنزول إلى أرض المعركة..

ما زال الغبي يعشقها يقدرها بل يقدسها بينما هي لم تنل منه إلا نظرات تقليل واستهانة وكأنه من بين كل الرجال الذين يطلبون ودها ويقعون في حبالها "محصن تماما!؟"

أقترب منها فور أن غابت ايتان داخل القاعة ..بِبطء بتمهل خطوة تلو الخطوة ..حتى أصبح أمامها تماما ثم أخبرها دون مقدمات بنبرة محتقرة "من بيته من زجاج لا يلقي اتهاماته ..أنتِ بالذات من بين النساء لا تتحدثي عن التمثيل ولا تدّعي الشرف يا فتاة ..أم أنك ما عدتِ؟!"

قالت من بين أسنانها ويدها تضغط على الكأس بعصبية حتى كادت أن تحطمه "إلزم حدودك يا أشهب.. لا أسمح لك بالتحدث معي بتلك الطريقة"

نظر إليها متأمل فستانها القصير جداً.. جسدها المكشوف بطريقة لا تليق الا ب..؟! ثم قال "وكأنكِ لا تسعدين بأي طريقة أو حديث مع رجل ...سديم هانم، هذا صدمني للحقيقة ..إذ أني على يقين أن هذا كل ما تسعين إليه!؟"

غمز بعينيه قاصداً الوقاحة ثم دون أن ينتظر إجابتها كان يلتفت مغادرا تاركها خلفه تنفث نارا كأنها تنّور يغلي يوشك على الانفجار ..ولكنها أقسمت منذ زمن أن ذلك الجحيم لن يحرق أحد غيره... "أشهب عثمان !"

&&&&&&&&&&

قراءة سعيدة

الفصل السابع والأخير

منذ ساعات كانت تتسطح على جانبها بعد أن رفضت بشكل قطعي أن تخبره ما طبيعة الحديث الذي جرى بينها وبين والدها... وهو سمح لها أن تأخذ مساحة من الشرود وترتيب أفكارها... بعد أن ساعدها لتستلقي في حمام دافئ عله يساعدها على الاسترخاء... لقد ظن أنه وصل معها لأخر الحكايات.. وأنٍ ما تبقى معها طريقا سهلا سيعبران منه لبر الأمان قريبا...

شعرت به يقف أمامها مباشرة... فرفعت عينيها الحزينتين المجروحتين وهي تقول "لقد منحته بنفسي مادة للتشفي بي... أخبرته أني أتنازل عنك وعن الطفل!"

لم يجبها على الفور بل لصدمتها ابتسمت شفتيه وهو ينحني نحوها يرفعها من السرير... ثم ببطء كان ينزلها لتقف على قدميها ليحتك جسدها الضئيل بجسده مرسلاً ذبذبات من العاطفة في جسدٍ كليهما "أنتِ جميلة جدا ومتهورة جدا وأغبى النساء جدا وأنا أحبك جدا وجدا"

مع انتهاء جملته كانت شفتيه تلتقط شفتيها المرتجفتين الفاغرتين بشدة... وبهت كل حزنها وغضبها وتشكها في لحظة ليحل محله عاطفة خالصة بينما انتفض قلبها بعنفٍ قاس من مجرد عبارة قصيرة تنتهي بأعترافه بالحب.

بينما يديه تدفع جسدها الرقيق على صدره أكثر ساحقها فوقه... كان كفيها يتمسكان بكتفيه تجذبه أكثر وأكثر إليها... مكتفية جدا، مشتاقة جدا ومعترفة لأول مرة أن ما ألمها من حديث والدها لم يكن قسوته وشذوذه الفكري أو تخلف مشاعره التي من المفترض أن تحميها بالفطرة ...بل

ما أرعبها أن يكون آصف ولو للحظة واحدة يفكر بالفعل في التخلي عنها.

لم تدرك أنها كانت تجذبه أكثر إليها ويديها تتحسس صدره محاولة بتخبط تقديم إغواء لم يكن ليحتاجه!

عندما انفصل عنها شهقت بعنفٍ فوضع جبهته على جبهتها يتنفس من بين شفتيه بلهاث حميمي عنيف ...مغمضٍ العينين بشدة قبل أن يقول بصوتٍ عميق عنيف مستعرا بنار التملك "الفراق عنكِ خطيئة وأنا رجل في محراب عشقكِ عابدٌ زاهدٌ لا قدرة لي على ارتكاب الخطايا!"

"آصف" شفتيها تحركت تشكل اسمه بخفوت شديد وكأنها تعيد طبعه داخل عقلها... تحاول محو ما حدث منذ ساعات ليتبقى فقط اعترافه بعشقها مع وعده بحمايتها... إقراره أنها باتت قطعة منه لن يقبل بانفصالها عنه.

ارتاح رأسها على موضع قلبه تحركه يميناً ويساراً وهي تقول باختناق "أنا آسفة... لا أعرف ما يحدث لي عند رؤيته!"

وكأنه يتجنب قاصداً ما حدث... سمعته يقول مغيراً الحوار "يبدو أنكِ لم تلاحظي أين نحن؟"

أغمضت عينيها ويديها تلتف حول خصره... أخذت نفساً مرتاحا وهي تقول "في غرفتنا في الفندق ...أين سنكون؟"

أبعدها عنه بلطف وهو يقول ضاحكاً "لا بل في غرفة مجاورة نقلت إقامتنا إليها قبل الحفل بدقائق"

عينيها مرت سريعاً على الغرفة المطابقة للغرفة الأخرى ثم عادت إليه وهي تسأله "لماذا؟ لا أرى وجه اختلاف"

كان يُصر أن يعيد لوجهٍ المليح الابتسام فأكمل يطبع قُبل صغيرة جدا وناعمة جدا جدا على أطراف فمها وهو يقول

متخللاً كل قُبلة بهمسة "بل هناك وجه اختلاف... هذه الليلة ستكون بدايتنا الحقيقة سويا... لقد كشفتِ لي الكثير عن نفسكِ وأنا أريد لامرأتي أن تعرف جزءا مني"

رائحة جسده الرجولية المخالطة لعطره كانت تلف حواسها لفا فتعود تتشبث فيه بحرقه الاشتياق وبرغبة مؤلمة أن ترتمي بين ذراعيه ليغرقا في ذلك العالم الذي لا يوجد فيه غير روحين مجردين من المادة ممتزجين في عالم من الغرام يحومان كروحان متعانقان في الفضاء الفسيح خاليان من أية هموم وخوف من ذلك العالم الذي أصبح كالجحيم...

سحبها آصف أخيراً وحررها معه لتجد نفسها في غرفة أخرى تمتد كجناح مكمل لغرفة نومهما... رفعت عينيها الخضراويين الكبيرتين تحاول فهم سر وجود بيانو كبيرأمامها... فابتسم وهو يجيب سؤالها الغير منطوق وتحرك يجلس على كرسي البيانو المبطن بالأسود وأناملة الطويلة الأنيقة تبدأ في عزفٍ هادئ ناعم رقيق بينما يقول "هشش... اصمتي! ارهفي أذنكِ واسمعي"

تعثرت مع تعالي ضخات قلبها المتمرد وهمست "أنا اسمعها.. دائما ما كانت صاحبتي التي تُشعل روحي تُطربني بعد أن يُخمد الحزن نوري وقلبي"

نظر إليها وعاد ينظر لأصابع البيانو التي لم تتغير ولكن ما تغير أحساسه هو... موازينه التي قلبتها ومشاعره التي تصخب ولحنه الذي زاد بلغطٍ متمرد على كل ما بناه لنفسه يوما! جذبها بحرص وأجلسها بين ركبتيه على كرسي البيانو العريض.

استسلمت دون مقاومة فدفع بيده رأسها لتستريح على صدره ومال بوجهه دافنا شفتيه المتلئتين في عنقها وقال

بخفوت أجش بنبرة عميقة هزتها "أغلقي عينيكِ يا قطيطة واستمعي للكلمات التي تهدر من وراء الألحانِ"

رأسها الذي استند على صدره بأريحية ووجهها الذي مال ناحية تمرد نغمات قلبه منحه الأجابة الراضية كما تمناها وتوقعها يوما "المرأة كمنجة رقيقة تشبه الدمعة الغالية لا تستطيع أن تستمتع بسحرها إلا إذا حملتها على ساعدك برفق ولمست أوتار قلبها بحنان... لتمنحك جنة من ألحان الحب ولا تنسى أن تطلق لنغماتها الحرية وتشعرها بالكمال والامتزاج"

شفتيه القريبة من أذنها داعبتها برفق وأصابعه الطويلة تعرف تماما طريقها نحو اللون الأبيض والأسود لأصابع البيانو يعزف عليها بامتزاج متوازن لا تشوبه غلطة ولم تتخلله عثرة... عاد ليهمس بخفوت أجش واثق عندما تسللت يديها تحشرها بين كفيه لتشاركه عزفه "ها هي تخبركِ أن ما وراء ألحاني عالم أخر من الجمال ومن بين كل وتر تستمعين إليه رسالة خفية تطبطب على روحكِ وتمنحكِ الكمال... عليكِ أن تستمعي لكل ما يقوله قلبكِ وتنسي تلك الأوهام التي أدخلوها في عقلكِ!"

مع كل نغمة تخرج من تحت أصابعه كان قلبها يتراقص بين أضلعها بدوي مجنون واعتراف محترق تريده أن يحسم تخبطها وتمردها... ورغم سحر أنغام ما تسمع كانت تشعر بكلماتها ناقصة وبهدير قلبها المتعالي مبتورا!

"لا أعرف ماذا تقول لما لا أتبين معاني حديثها وماذا تريد؟!"

كيف يمكن لتلك الأنثى المهتزة بين ذراعيه أن تكون غلطة أو ورطة؟ بل كيف استطاع والدها ألا يرى فيها ما لمسه هو؟! أغمض عينيه الداكنتين وضَرْب أوتاره يزداد بنغمة نسيان لا يريد إلا أن تقتحم عقلها وتهبط على قلبها

بالسلام والسكينة ...بنبرة رخيمة عميقة كان يخبرها "إنها حرب إنسانية، نزاع بين القلب والعقل، دواء لعله لم تكن بيدينا... إنها لغط لدقات قلبكِ الذي يرتد بين أضلعكِ فيمتزج مع لغط قلبي الذي تمرد على عقلي ليجاري تمردكِ يا لغط القلب"

توقفت أصابعها عن مشاركته عزفه تلتف بين ذراعيه مجبرة إياه على التوقف... عيناه تلتهم وجهها الطفولي المحبب وشفتيه تطبع قبلة عميقة على وشم بتلات الورد لمعصم يديها التي حاوطت فكه بينما هي تقول بخفوت "لا أريد أن أكون سببا لعثرة في قلبك"

من فوق معصمها كان يتمتم "الحب والألم مترافقان متجاذبان لا يصيب أحدهم القلب إلا والآخر يتبعه... وأنا مرحب جدا بكليهما معا طالما أنتِ صاحبتهما"

أطلقت تنهيدة ارتياح طويلة بينما رأسها تعود لا إرادياً لتندس فيه... يده كانت تتحرك على شعرها برتابة قبل أن تغلف الجدية نبرات صوته الحازمة وهو يقول "والآن عودة لما حدث... ماذا أخبركِ ليجعلكِ تفقدين تماسككِ بهذا الشكل؟!"

تمتمت دون أن تخرج من حالة الاسترخاء التي ادخلها فيها "هل يمكننا تجنب الأمر؟ لا أريد الحديث عنه إطلاقا"

"ولكننا يجب أن نتحدث في الأمر.. الى متى الهروب؟!"

ابتسمت وهي ترفع عينيها أخيراً إليه وقالت بتردد "لماذا يجب أن نتحدث دائما في أمور ترهق كلينا؟"

يده انتقلت يمسد وجنتها بإصبع السبابة وهو يقول "الليلة ملككِ ...ماذا تقترحين؟"

هزت كتفيها بجهل وقالت "لا أعرف... ربما أنت لديك اقتراح"

ابتسم مرة أخرى مما دفع لقلبها حرارة مغلفة إياه بدفئه وقال برقة "في الواقع لديّ اقتراح... ولكن لا أعرف هل يناسب حملكِ؟"

الحب الجارف المطل من عينيه دفع إليها إحساس أنها مرغوبة محبوبة تستحق أن تحظى بكل أهتمام العالم وبأنها لم تأتي لهذا العالم عبثا ...دموعها عادت تسيل من جديد وهي تقول بصوتٍ اختنق بالعاطفة "من لم تذُق طعم حبك لن تعرف للعشق طعما يوما..."

نيران العاطفة كانت تتوهج في عينيه الداكنتين وهو يقولِ بنفس رجولي حار "وأنتِ أقوى النساء اللواتي عرفتهن يوما... أكثرهن طفولة... أكثرهن عشقا يجعل قلبي لأول مرة يتعثر يتمرد على كل ما ظننته يوما... أنا أصبح ضائعا وغير واثق الخطى والمشاعر عندما يتعلق الأمر بكِ... أنتِ تتلاعبين بكل كياني يا دجينة"

همست بضياع "لا تقل هذا"

وقف من جلسته ثم جذبها نحوه وقال بخفوت "لم لا؟!إنها الحقيقة"

تراجعت خطوة وهي تقول بألم "أنا خائفة آصف..."

قطب جبينه وفمه يتوتر ثم قال "من ماذا؟!"

قالت بمرارة "من أن تكون مجرد وهم، سراب وكل ما تعيشه معي مجرد إحساس بالشفقة أو يدفعك طفلك إليه... وبعد أن أُسلم لك كاملة وأمنحك ثقتي وقلبي تعود أنت لتمنحني خيبة أمل أخرى لن أنجو منها هذه المرة... أنا سأموت إن فعلت"

قالٍ مجبراً نفسه على الهدوء متفهماً مخاوفها "لن أفعل أبدا... ماذا علي أن أفعل لتطمئني لي وتمنحيني ثقتكِ؟"

قالت هامسة "لا شيء... أنت فعلت فوق ما تتحمله طاقة أي رجل ...أنا أدرك هذا... الأمر كله أن الخلل بي أنا"

قال بحنان "أنا أحبك دجينة والحب لا يمتلك أسباب ومنطق خاص ليجعل الرجل يفكر فيما يفعله... لذا أنا أخبركِ أني على استعداد لأقدم حياتي كلها لكِ فى مقابل أن تبقيّ معي"

همست "أنا لا أظنني أملك خيارات أخرى غير البقاء معك"

قال بصوت أجش "وهل هذا الاختيار يُعَدّ إجباراً؟"

همست "نعم.. عندما أستيقظ كل يوم لأجدني أقع في حبك من جديد"

توسعت ابتسامته فوق ملامحهٍ الوسيمة ليظهر ذلك الجموح البري الذي لمسته فيه يوما... لم يرد بكلمات أو وعود ...لم يحاول طمأنتها مرة أخرى برد على اعترافها... بل اقترب منها أكثر بتمهل قاطعا الخطوات بينهم ملامسها بجسده دون أن يضمها إليه وهمس بصوته الرخيم الذي يعصف بكل تعقلها "إذا راقصيني"

إبتسمت مودعة الألم بينما يديها تتعلق بطرفي قميصه "وبعد أن أراقصك؟"

يديه ارتاحت على ظهرها دافعها إليه بينما جبهته تلامس جبهتها وقال ممازحها "أممم! ساستغلكِ بالطبع في أغراض دنيئة... تعلمين أني دفعت بكِ مالا طائلا يجب أن أحسن الاستفادة منه"

همست بينما شفتيها تطبع قُبلة على فكه "جيد هذا ما كنت أهفو إليه منذ ساعات... لقد انتابني اليأس والشك أنك لن تفعل"

انطلقت ضحكاته العميقة التي تعذب إياها فقاطعتها بشفتيها وكأنها ما عادت تحتمل ألم احتياجها لدفئه.. وعندما عاد يحيط جسدها بذراعيه يدفعها إليه أكثر مقبلها بدوره وكأنه يخبرها بلغة الجسد أخيرا كم حياته أصبحت مرهونة بها أحست دجينة ولأول مرة بالثقة الكاملة... بأنها خُلِقت لهذا المكان... لهذا الرجل... فرائحته المسكية أسكرتها كما عبثتٍ حرارة جسده القوي بتماسكها... لم تدرك دجينة أبدا أو تتوقع إلى أي حد هي راغبة في الغرام إلا عِندما ضمها آصف إليه لأول مرة ...لقد كانت تضيع تماما غير مدركة حتى للتخبط الذي تعيشه غير شاعرة بالأرض الباردة التي لامست جسدها ...لدقيقة واحدة استوى على مرفقيه يشرف عليها من علو وعيناها عالقتين مع عينيه في تعبير حبس أنفاسها... فعادت من جديد تطبع قبلة على قلبه في خط تصاعدي حتى وصلت لتجويف عنقه تهمس بجشع عاطفي جعل أنفاسه تتعالى بلهاث عاطفي "أحبني أكثر"

لمس شفتيها الناعمتين المطالبة الصريحة به... عدم ترديدها إتهامات تعرف يقين كذبها جعل رغبة وحشية عنيفة تفور وتغلي داخل أعماقه... وعندما عاد يكتسحها هذه المرة كان حريصا أن يشبعها بطريقة تجعلها دائما نهمة لعاطفته.

&&&&&&&&&

الجهل... قد يدفعك الجهل لفقد حياتك بأكملها...
وإيمانك الأحمق أن العالم أجمع يحمل بين جنباته
صراحتك المعتادة... طريقك المستقيم... وأبعد ما يكون عن
الخبث والالتواء... فإذا أدى بك إلى السقوط والسقوط حتى
تصبح مجرد أضحية تتلاعب بك الأيادي... فلا تلم إلا
نفسك ...لا بأس أن ينعتك العالم بالشرير خبيث النفس
سيء الطباع... سيظل هذا أفضل شأنا من تلك الطيبة
اللعينة التي تحولك لمضغة سهلة يلوكها الكلاب.

.....

ضجيج صاخب ملأ رأسه ليبث طنيناً عبر أذنيه فيمنعه من الاسمتاع إلى أحاديث من حوله... الأفكار تتصارع داخل رأسه مع صور سريعة متداخله لما حدثٍ؟! بل ولماذا حدثٍ؟ تركته مرة أخرى وهربت!! اختفت تماما دون أثرا واحدا... وكأنها كانت مجرد طيف توهم بوجوده في حياته... وكأن الشهور الماضية كانتٍ خيالات رسمها عقله وقلبه الذي سلمه لفتاة لم تستحق أيا من تضحيته! كانت صورة حية للجحود في أعنف معانيه... للتصلب للقهروالكبرياء الذي تحطم على يديها للمرة الثانية!

لم يظن آصف قط في حياته أنه عندما يقع في الحب أخيراً سيسلم لامرأة تحطم كبريائه قبل قلبه... كيف يستطيع أن يكذب على نفسه بأنها كانت مجرد وهم وسراب؟! كيف يُنكر حقيقة وجودها بين ذراعيهٍ طوال الليل يتلمسها بطريقة جسدت كل أحلامه يوما عندما يمتزج مع نصفه الأخر الذي سيكمله... كيف ينسى تجاوبها بين ذراعيه وشفتيها الناعمتين التي كانت تهمسٍ بفورةٍ عاطفية باستجداء يائس لحبه أمرة إياه مرارا وتكرارا بسلطة عنيفة لم يمتلكها أحد يوما عليه أن يحبها وأن يمنحها نفسه لترتاح مخاوفها... كيف يستطيع نسيان

بشرتها الناعمة التي احترق فوقها منصهراً ويديه التائهة تتلمسها ليعزف عليها ألحان خاصة لم يدركها يوما في نفسه... كيف ينسى تكور بطنها الذي لامسه مرارا وتكرارا مبهور الأنفاس متضخم المشاعر... مكررا لعقلها الخائب فيها أن نطفته هنا... صغيره هنا فمن أين يمتلك تلك القوة ليمحو ذكرى انتهاء عاصفته الغرامية؟! تردُد حبه صاخبا صريحا بالترافق مع شعور كليهما بحركة صغيرة لأول مرة وكأنه دليل حيّ صاخب أنه حان وقت ارتياح كلاهما أخيرا من رياح توسنامي التي حملت والدته إليه لتدمر كل حياته.

"آصف" لمسة خفيفة ليد جلاء على كتفه جعلته يفيق مرغما من أفكاره فقال "ماذا تريد؟!"

أطل الحزن من عيني جلاء وهو يتذكر تخبط من أمامه لساعات وهو يقلب القرية السياحية رأسا على عقب باحث عن زوجته لتصدمه بالأخير بأتصالها الذي ترافق مع فحصهم كاميرات المراقبة لبهو الفندق... "لقد ظننتك تستحق ثقتها"

كان العنف مجيبه عندما قال آصف من بين أسنانه "إياك ثم إياك أن تبرر لها أبدا هي صفحة وانتهت"

هتف جلاء فاقداً صبره "كنت متأكداً أن وجودك في حياتها مجرد كذبة... هي لا تعنيك... لم تفهمها... لم تؤمن أبدا بقضيتها"

أخذ قلبه ينبض بالغضب داخل صدره ولم يشعر بنفسه وهو يمسك بجلاء من تلابيب قميصه يهزه بفظاظة قائلا بخفوت شرس "لقد أوضحت كاميرات المراقبة أنها صعدت معه بكامل إرادتها... وبنفس طريقتها الجاحدة القذرة حدثتني أنها غير قادرة على العيش معي مطالبة إياي

بالانفصال... دجينة كررت بالضبط ما كنا اتفقنا عليه عندما وجدتها... أي من المستحيل أن تكون تعرضت لابتزاز أو إجبار... المرأة التي هربت من عوني ومن خطيبها السابق مختفية لأربعة أعوام منهم ثم تزوجتني لتهرب بنفس الطريقة لا تُجبر أبدا"

كان جلاء أكثر إيماناً منه وأكثر ثقة... وهذا ما أغضبه بشدة إذ أنه كان قد ارتاح لفكرة أن من أمامه هو الذي استحقها... هو الذي يملك تلك الثقة والسلطة للدفاع عنها.

"إذاً فلتحترق بما تعتقده وتستحق ما فعلته بك... أما أنا لن أصدق إلا لو سمعتها من شفتيها صريحة... دجينة الموت لديها أهون بكثير من أن تعود للمدعو والدها"

أزاحه آصف نافضه على طول ذراعه بينما يقول من بين أسنانه "حتى وإن كانت مجبرة بريئة بأية طريقة من هذا الهروب ستظل خائنة لثقتي بها وعهدي معها"

عندما يسيطر الغضب على عقلك يتلاشى التفكير تماماً من حساباتك ولا يعد للمنطق مكان وهذا ما كان يشعر به آصف في تلك اللحظة... لقد منحها كل ما استطاع وهي قدمت في ليلتهم الأخيرة كل الوعود والعهود... إذا كيف يصدق أنها أجبرت؟؟ لقد أفاق من غفوته على خلو ذراعيه منها... بحث كالمجنون عنها فلم يجد لها أثرا... إن كان سيصدق أن عوني المنصوري خطفها بأية طريقة أو أجبرها لتصاحبه... كيف يبرر لها خروجها بكامل إرادتها من غرفته؟ من أين يملك القوة ليمحو من عقله صوتها الجامد الذي حدثه عبر الهاتف مطالبة إياه بحريتها وأنها ما عادت تريده... بأنها اكتشفت فور استيقاظها أن كل ما عاشاه كان كذبة وأنها أبدا لن تؤمن به أو تمنحه ثقتها...

كيف يثق بها وهي رفضت أن تخبره بأسرارٍ تخبئها عنه باستمرار؟! إذا حديث الوالد وابنته لم يكن شيئا قاسيا كما توقعه بل وعود جديدة بالحماية وإعادة لروابط الأبوة المزعومة تلك !!!!

&&&&&&&&&&

بعد أسبوع

دخلتٍ آيتان بخطى ثقيلة حتى وقفت وراء ظهره المنحني تماما وسألته "ستغادر؟"

صوته كان ساخراً بقتامة وهو يقول "هل اعتبره من تلك الأسئلة الغبية المشهورة... ماذا ترين؟!"

"خالي"

"أنا لست مستعداً لأي نقاش يا دجينة لقد انتهى الأمر"

تصلب ظهره وكأنه أدرك زلة لسانٍه للتو التي جعلت آيتان تتعاطف بشدة معه... لم تقل شيئا ولم تحاول أن تناقشه بإحدى مبرراتها الذكية إذ أن زائرته التي خرجت متألمة وهو يرمي كل شيء على سطح المكتب الذي كان يأخذه كمقر عمل هنا ليدير منه مصالحه... أوصلت لها بوضوح أنه يعاني وينازع وقد وأد قلبه حيا.

"كيف امتلكت كل هذه القسوة والجحود؟!"

اغرورقت عينا آيتان بالدموع ولأول مرة في حياتها كانت تشعر بالذنب العميق بالحيرة من تساعد ومن تساند وأيهما تمنحه المبررات لما يفعل؟

"أنا لن أحاول إقناعك بنظرية جلاء... لأني أعرفك أنتِ لن تتخلى عنها بكل هذه البساطة إن لم تكن متأكدا مما تمسكه ضدها... لكن صغيرك يا آصف هل ستتركه لهم؟!"

كانت تسمع أنفاسه الصاخبة بالغضب رغم انحنائه على سطح المكتب يتمسك فيه بيديه الاثنين وكأنه يحجم نفسه من نوبة غضب همجية أخرى... "فور أن تلده سأطالب به، على كل حال نحن لدينا اتفاق"

"خالي" عادت تردد بيأس ربما تحصل منه على أي تفاعل... لم يقاوم أن يقول بقتامة

"لقد كان الطفل حجة، طريق لأصل إليها وأبرر لنفسي كسرها إياي بأفعالها... أنا أردتها هي ...أحببتها هي"

توسعت عينا آيتان من إقراره الصريح... سمحتٍ لنفسها أخيرا أن تتقدم لتجبره أن يواجهها ولم يقاومها أبدا... عندما التفت إليها بملامح مرهقة متعبة مستنزفة لآخر قطرة صمود منه كتمت صرخة آنين أصابت قلبها وحاربت لتتجاوز شفتيها "من أجلي أنا لا هي ابحث عنها... واجهها أجعلها تخبرك وجها لوجه بما قالته..."

أرجعها آصف برفق من أمامه وهو يقول بتشنج "الأمر انتهى... هذا اختيارها ويجب أن تدفع ثمنه ...لم يعد لي أية رغبة بمحاولة إصلاح عطبها!"

تشنج وجه آيتان وتوتر جسدها بينما قالت "لا أصدق أنك تتخلى عنها دون أن تشك للحظة واحدة أنها أجبرت... وكأنك كنت تتوق للتخلص منها!"

ظل ينظر لها بعينين عاصفتي التعبير قبل أن يقول بجمود "لقد قضت ليلتها بين ذراعيّ يا آيتان... أمنحها وعدٍي بالحماية وهي تقدم عهود الثقة بي... عدم الخيانة أبدا...

لساعات كانت يدا كل منا تتحسس طفلنا الذي تحرك لأول مرة فتكرر بيأسٍ عدم تركي أبدا ثم ببساطة تستيقظ وتغادر فراشي ...ترتدي ملابسها وتخطو لبهو الفندق تقابل والدها وبحركات واثقة غير مهزوزة كانت تغادر مرافقة إياه مدسوسة بين ذراعيه... عن أي إجبار تتحدثين؟!"

ارتعشت شفتي أيتان بشدة بطريقة أثارت تحفزه وهي تقول "ربما هددها بشيء قد اعتقدت بغبائها أن خسارتها إياك أهون لديها من أن تعرفه"

نظر إليها وسأل بشك "وما هي ماهية هذا الشيء؟ إذ أنني أعلم عنها أبشع ما قد يعرفه رجل عن امرأته"

مررت آيتان لسانها تبلل شفتيها التي شعرت فيهما بجفاف رهيب ثم قالت هامسة "بل هناك شيئا خالي.. كانت دجينة مستعدة لقتل نفسها قبل أن تعرفه أنت بالذات"

نظرة سوداء مرت عبر عينيه جالبة رعب جليّ لقلب آيتان عندما أمسك آصف بها بعنف مهاجمها بالقول "عن ماذا تتحدثين؟ انطقي آيتان"

الصلابة المعهودة عادت تضربها بقوة وهي تهتف فيه بشراسة "أتعلم؟! أنت لا تستحق جلاء محق... إذ أنك لو أحببتها قط ما كنت شككت في دوافعها للحظة واحدة"

"آيتان" قصفها صاخباً غاضباً

قالت على الفور بنبرة أشبه بحد سيف بتار قاطع "حقيقة دجينة غير كاملة يا آصف العظيم... زوجتك تعرضت لأكثر من محاولة اغتصاب في هذا البلد... مرتها الأخيرة كادت أن تخسر نفسها كاملة بعد أن ذهبت مع هاني لشقته بكامل إرادتها!"

أنفاسه التي توقفت مع تحوله للوحة جامدة ميتة كانت شافية بشكل مؤلم وللغرابة آيتان أرادت لآصف أن يتألم فوق ألمه ...أن يصفع بما كان يغفل عنه ربما هيٍ قاسية وربما الصورة التي وصفت بها ما حدث حقيقة قاتلة لصورة دجينة في نظره ولكنه في النهاية كان يجب أن يُصفع ليستفق ويعود لكامل تركيزه ويحلل الأمور بمنطقية لا أحد غيره يعلمها...

"لقد قام بحبسي...

كان الجميع لايهمهم سوى جسدي...

مقدماً نفسه ليصبح رقماً في قائمتي...

لم يصدقني ...لقد أجبرني على الأعتذار...

كاذب! دجينة لا تستطيع أن تكن لك بإرداتها!"

شهق آصف بعنف وكأنه يستجدي بعض الهواء ليدخل رئتيه بعد أن حبس أنفاسه لوقت طويل بينما يتذكر إعترافاتها المضطربة المتكررة متداخلة مع إصرار جلاء على أنه حولها لزوجة عن طريق الإرغام "أكره هنا... ما حدث لي مخيف ولا يشعرني بالأمان... إن خِنت عهدك معي إن خيبت أملي بك وأصبحت مجرد وهما أخر أنا سأموت يا آصف... لا تتركني"

"ماذا فعلت؟!" خرجت من بين شفتيه هٍامسها بإخفاق شديد ومرارة أشد لقد شك في الأمر مرارا بل وأجزم فيه بضٍع مرات ولكن العقل عاد ينفي بقوة إذ أنه لم يتخيل أبدا أن مهما كانت قذارة عوني وحقارته لن تصل به أن يتاجر بشرفه أن يتلاعب بعار أبنته من اجل حفنة من المال ...أن يدفعها ليغتصبها آخر كي يفلح الامر؟!!!

قالت آيتان بحرقة.. متذكرة مرارة خذلانها هي سابقاً "خذلتها يا خالي... خنت إيمانها الكبير بك وأخفقت في اختبارك للمرة الثانية معها!"

اختفت كل الأصوات من حوله وتوقفت كل الأفكار في عقله... مصفوعاً بالحقيقة المرة التي خرجت من بين شفتيها... مذهولاً من غبائه وجحود استحكم عقله... ما الذي يدفع دجينة للهرب منه؟! لقد أقرت مراراً أنه كل ما أصبحت نفسها تهفو إليه... لقد سلمت دون مقاومة ووجدت السكن فيه... كيف سمح لنفسه أن يصدق خدعة جمودها وطلبها للانفصال عنه؟ كيف عاد كبريائه الأعمى ليتحكم فيه... لينفيها من حياته دون حتى أن يحاول رؤيتها لمرة أخيرة؟ أبعد كل ما عرفه عنها؟!! أبعد كل ما أقره داخل روحه من خسة نفس والدها.

أحست آيتان بملامحه تمزقها وهي تهمس "أنا سأخون عهد جلاء... ليس من أجلك بل من أجلها إذ أني أعرف الطعم المر الصدئ للخيانة من الرجل الذي أحب"

أغمض عينيه بقوة والألم يرتسم على ملامح وجهه... بينما يسمعها تكمل تصفعه بأخر ما لديها "لقد اتصلت دجينة بجلاء اليوم يا خالي مطالبة إياه بوعد لم يفي به سابقاً... امرأتك حبيسة والدها وتريد الهرب مرة أخرى ولكن هذه المرة للاختفاء منكم جميعاً"

كانت تطعنه دون رحمة وهي تقر بما صفعه دون أن ينطق به "لقد ظنت أنك قادر على إنقاذها من قدرٍ أسوأ من الموت... لكنك منحتها بخذلانك وعدم ثقتك ما جعل الموت أرحم ألف مرة"

&&&&&&&&&&

لقد عرفت من اللحظة الأولى التي رأت فيها والدها في الحفل أنه لن يتركها تحيا بسلام أبدا... عرفت من عينيه التي زادت قبحا وتطرفا أنه سيجعلها تدفع الثمن... لقد عاد، عاد من جديد ليحطم حياتها بعد أن جعلته يخسر شركاته وصفقاته مع ذلك النتن الذي كان يريد تزويجها له... عرفت وسلمت بالأمر ولضعفها وقلة حيلتها عندما أتاها صوته المنفر صباحا عبر الهاتف بتهديد صريح وواضح إن لم تنسحب الأن من حماية آصف وتأتي إليه سيجعل كل ماضيها الأسود بين يديّ آصف غانم عبر إخباره بكل ما حدث مزور الحقائق وما يساعده ويدعمه بالطبع ذلك الفيديو الذي سجله لها هاني وهي تدخل معه لشقته بكامل أرادتها تتناول المشروب وتوافق إياه على الموسيقى الصاخبة التي علمت بعدها أنه يستخدمها ليحتوي صراخها إن اعترضت...! كل شيء كان مرتب له وهي ببساطة ارتعبت وكانت تجزم أن آصف وغيره كانا سيأخذان بالأدلة...! أو ربما هي لم ترد له فضيحة يكفيه ما ناله حتى اللحظة منها!

كان عقلها جامد تماماً وكأنه يحمي نفسه من نظرته إليها إن عرف سبب هروبها... إن اكتشف سذاجتها في تركٍ أخر يجرها لشقته الخاصة ليستبيح ما كان آصف متملكا بشدة نحوه... لقدٍ كانت تعلم أن ماضيها مع آصف نفسه لن يساعدها أبدا ليدرك كم كانت غبية وساذجة في تصديق حجة هاني... من ستقنع وكل تصرفاتها تدفع أيا من كان ليشكك في أخلاقها؟!!

وكم كانتٍ محقة... لقد كان لديها أملاً واحداً ورجاءً ضعيفا مبتورا ألا يصدق ما تفوهت به ...أن يهرع إليها مثبتا كل وعوده ...أن يعرف من نفسه أن الأمر كان فوق

طاقتها وأنها غادرته مجبرة مذعورة ومرعوبة أن يكتشف أخر سر قذر كانت تخبئه عنه...

"ولكنه فشل... لقد كفر بها آصف كما كفرت هي به يوما... فأصبح طرفا المعادلة متساويان... لا لوم ولا عتاب... لا فرص أخرى تمنحها ولا رجاء وأمل كاذب بسكن ووطن حلمت به يوما"

&&&&&&&&&&

عندما وصل آصف أمام ذلك المنزل الكبير المتكلف وكأن صاحبه يريد بأية طريقة إثبات لمن ينظر إليه بأنه يحمل عراقة وأصل لا يمتلكهم ترجل من السيارة وهو يندفع غير منتظرا جلاء الذي كان يصرخ فيه بالتمهل وإيجاد خطة لإخراجها غدرا كما أخذت منه ولكنه ما كان ليفعل أبدا... إن كان عليه التهور والجنون والهمجية المطلقة لمرة واحدة في حياته فلن يستحقها سواها... الغضب كان ما يجره والشعور بالفشل والذنب ما يتلبسه... المرارة التي خلفها شعوره بأنه هذه المرة أوقع عليها ظلما بين لن تغفره له أبدا... حقيقة أنها تتصل بجلاء طالبة النجدة كانت أشبه بصفعة قوية على وجهه لن تُمحى ما حيا... لقد كانت آيتان محقة "لقد كفرت به مدركة بإيمان قوي أنها لن تدخل عقيدة قلبه يوما... لقد كان وهما وسرابا كما أخبرته أخر ليلة"

طرق على باب المنزل المصنوع من الأرابيسك المبالغ فيه كان قويا غاضبا فاقدا للعقل والمنطق وكأنه يخبر سكانه أن عاصفة ستجرف كل من أمامه فور أن يسمحوا له بالدخول...

عندما فُتح له الباب أخيراً اندفع هائجاً محملاً بغضبه والوجه المبتسم بشماتة الانتصار أخبره بوضوح أنه كان ينتظره

"أين زوجتي؟!" كان صوته مظلماً قاسياً وهو ينطق بها

كانت عينا عوني ضيقتين أشبه بالجليد وهو يرد بصقيع "لا يوجد في منزلي من تدعى زوجة لك"

كاد أن يفقد أعصابه عندما حاول أن يتقدم منه خطوة فشعر بيد جلاء التي تمسكت بقوة بذراعه وهو يقول بسيطرة "لم نأتي للشجار... تذكر أنها كل ما يهم"

ملامح عونٍي زادت سخرية مهينة وهو يقول مندفعاً "إن لم تغادرا حالاً سأبلغ الشرطة بتعديكم على المكان ...ابنتي طلبت الطلاق والذي بالمناسبة أنت نفسك وعدت به وكل ما لديك عندي ذلك العلقة التي تحمله وفور أن تتخلص منه سأرسل لأحدكم ليستلمه"

اشتدت أصابعه التي تكورت في باطن كفه بينما كل عرق في عنقه نفر موضحاً مقدار الغضب الذي يكبته بداخله وأوشك على الانفجار

"أنا لم أعِد بشيء... أنت كأي تاجر أعراض قذر عرضت ثمن لتسليمها لي وأنا منحتك فوق ما طلبته شرط أن تبتعد عنها تماما... تختفي بنجاستك من عالمها الذي شوهته... لذا إن كنت تريد تجنب غضبي الحقيقي وما قد أفعله بك سلمني زوجتي حالاً"

قال عوني بعد لحظات من التفكير المظلم "لقد علمت أنك أضعف من أن تنفذ شيء كما هي أكدت لي ما يدور حولك... أنت ستطلقها على كل حال وأنا لن أسمح لها بالفرار مرة أخرى كما هربت منك من قبل... لذا دعنا

نتخطى هذا العرض الذكوري المبالغ فيه ونتكلم كأي رجلي أعمال يسعيان لتعويض المكسب غير ناظرين للخسارة"

كان بالفعل قد فقد أعصابه وتقوس فمه بطريقة متوحشة وغضبه المظلم يحجب عن عقله التفكير المطلق... كلٍ عضلة من جسده متحفزة نافرة بشكل مؤلم فلم يعد أبدا للرد المتعقل مكان بل النزعة الشرقية الرجولية هي من ردت على الفور عندما قال عوني بصوت تاجر هوى حقيقي يتعامل مع زوجته وعرضه على أنها مجرد عاهرة "أنت ستطلق... وأنا وجدت لها من يتقبل بقاياك وبالمناسبة هو مُرَحِب جدا بصفقتنا بعد أن هربت مُعرِضَة...."

لم يتمكن من إكمال جملته عندما أطلق جلاء ذراعه أخيراً وهو يقول "إن لم تستخدم عضلاتك تلك الأن في تحطيم فمه القذر سأفعل أنا"

ولكنه لم يكن يحتاج لصب الزيت على النار المتقدة في الأصل بداخله... تقدم نحو الرجل دون تفكير ليلكمه بقوةٍ ألقته أرضا... فعاد آصف بهمجية ينحني نحوه سريعا يمسكه من تلابيب قميصه... لم يكن يرى في تلك اللحظة سوى غشاءً أحمر يحجب عن عينيه أي رؤية غير هذا الرجل الذي لا يستحق لِقب الأبوة ولا حتى الرجولة التي تطلق عليه وصفا لا فعلا... الرجل الذي أمتلك من الحقارة ما يكفي كي يبتز زوجته... كي يتحدث عن زوجته كأية عاهرة تسلم نفسها لمن يدفع أكثر... منصاعة لقوادها. وعند كل فكرة تطرق عقله كانت لكمة أخرى تهبط على فك عوني تتبعها أخرى تزين عينيه ثم اخر لكمة أخرى تستقر في معدته تماما ليرفع يده وتستقر بعدها قدمه!!

جروب خربشة للبنات فقط

كان عوني يجاهد عبثاً الهروب من قبضة خصمه الذي أعماه الغضب محاولاً أن يدافع عنه نفسه... يبادله الضرب ولكن كان من المحال فالقوة البدنية غير متكافئة على الإطلاق... لقد بدى آصف كالثور الأعمى يضرب ويضرب ويضرب حتى لم يتبقى في عوني خلية واحدة لم تنالها مهارة آصف القتالية العالية...

انهالت الصرخات من حوله من ساكني المنزل... امرأة شابة كانت تقترب منه آمرة إياه بالتوقف...

عندما حرره آصف أخيراً لم يوقفه إلا قوة جلاء البدنية من خلفه آمرا إياه بالتوقف وأنه لا يستحق حتى الجهد الذي يبذله...

التفت آصف لاهثا لصرخاتٍ طفولية أخرى لطفلين في إحدى الزوايا منكمشين رعبا... جاعلة إياه يعود لبعض من تعقله!

"زوجتي!" نطقها من بين أنفاسه المتحشرجة بخفوت شديد... فأشارت تلك المرأة بيد مهتزة نحو سلم يهبط لأسفل بهو المنزل.

عندما فتح آصف باب الغرفة المغلق مستخدماً ذلك المفتاح الذي منحته له زوجة أبيها التي لم تتردد لحظة في منحه إياه وقد فهم أنها عادت لتساعدها هذه المرة أيضا عندما منحتها هاتفها لتطلب النجدة من جلاء... أحس بقلبه ينقبض بين أضلعه مسببا له غصة أوشكت أن تصيبه بجلطة... إن لم يكن جسده وبنيانه تكفل بتحملها... بينما تتلاحق أنفاس الانفعال مترافقة مع مرارة الفشل الذي أحس بها تنحره نحرا... أغمض عينيه بقوة وأخذ دقيقة واحدة يجهز نفسه لما قد يراه ويواجهه خلف هذا الباب.

تكلم جلاء الذي كان أكثر سيطرة منه في تلك اللحظة "دعنا نخرجها من هنا قبل أن يتسبب هذا الكلب في مزيد من المشاكل"

تصنع هدوء فشل تماماً فيه مع صوته المضطرب وهو يهمس "انتظرني هنا... لن أستطيع أن أدعك تدخل معي وأنا لا أعرف بأية حالة قد أجدها "

أخذ جلاء نفساً عميقاً متراجعاً خطوتين وهو يقول بتفهم "سأنتظرك"

عندما دخل أخيراً كانت كل ذرة في جسده تنتفض وعينيه تقع على الجسد المنكمش في أحد زوايا الغرفة... الغرفة التي رغم فخامتها لكنها تبقى سجناً يقع في قبو منزل تُحتجز فيه... لم يحتج الكثير ليدرك في تلك اللحظة أنها لم تغير ملابسها التي غادرته بها رغم أنه لمح بطرف عينيه بعض الملابس المسنودة على أحد المقاعد أمامها... مرتجفاً، مصدوماً جثا على ركبتيه أمامها... فرفعت رأسها مرة واحدة من انكماشها حول نفسها منتفضة وكأنها تعرفت عليه وأحست بوجوده ...اشتمت عطره الخاص دون حاجة لها أن تراه.

رؤيته بعثت رجفة قوية من الحاجة لأنٍ تصرخ باسمهٍ وترتمي بين ذراعيه فلا تخرج منها أبداً... تخبره مراراً وتكراراً عن إخفاقها الشديد عندما تخلت عنه واستسلمت للابتزاز والضعفٍ وأسمعتِه ما سمع منها... ولكن الأن بعد أن تركها أسبوعاً كاملاً هنا ...بعد أن أخبرها بنبرة باردة دون سؤال دون إستفسار دون مطالبةٍ بالفهم ودون إنكار مطلبها... الأن يبدو الأمر سخيفاً جنونياً

"لقد أخبرتك أنك وهماً أخر فلم تصدقني... هل عرفت الأن أنك تشبههم؟!"

كانت نظراته مشوشة وتفكيره مضطرب وانضباط مشاعره مفرط تماما "لماذا لم تخبريني؟!"

قالت بصوت أجش مشحون بعواطفها المرهقة "إن أخبرتك لن تفهم... هل كنت تستطيع التعايش مع فكرة أني ذهبت بقدميّ مع رجل أبدى أكثر من مرة رغبته القذرة فيّ؟ هل كنت لتصدق أني ساذجة لهذه الدرجة؟ هل لأحدٍ أن يصدق أن الرجل الذي أنجبني يستخدمني كسلعة لمن يدفع له المال؟! لا.. لا أعتقد أنك تفعل"

صوت القلب كان يصرخ بداخله مناقضاً صوت العقل في حرب إنسانية لن تنتهي أبدا بداخله نحوها... فقلبه كان أكثر من أن يصدقها ...وعقله لا لم يكن ليصدقها أو يرحم ضعفها..

عندما لم يرد قالت بصوت باهت أظهر مدى خيبتها... مدى يأسها ومدى الظلم الذي وقع عليها منهم جميعا "أظن أن الأمر انتهى هنا... كل ما اتفقنا عليه سينفذ بالحرف الواحد... وأنت غير مجبر أبدا على إبداء أي اهتمام أخر بي... أنا أحلك من كل وعودك"

أغلق جفنيه مقراً بحقيقة كل كلمة تنطقها... هو قد أخفق إن كان اتهمها في المرة الأولى بظلم، بتطرفها، بغبائها بعدم سماع تبريراته أولا... هذه المرة ما مبرره في خذلانها؟!

استوت دجينة أخيراً بصعوبة تستند على الحائط في محاولة للوقوف على قدميها المتورمتين... تهم بالخروج من أمامه واثقة تماما أن جلاء بالخارج ينتظرها... أنه لم يأتي من تلقاء نفسه بعد أن تركها بين أنياب أشباحها ومخاوفها أسبوعا كاملا... حتى أنه لم يهتم ليدافع عمن تحمله في أحشائها!

لم تكد تستوى على ساقيها الهزيلتين إلا وخانتها... فلم يتردد لحظة وهو يقف مندفعا إليها يسحبها إليه ..احاط جسدها اللين بذراعيه ضامها بشدة ...متوقف الأنفاس حتى شعر أنه قد يختنق من فرط إحساسه بها.. أبدت رفضا هزيلا ومقاومه أشد ضعفا... ثم تفجر كل شيء وهي تدفن رأسها بمكانها الطبيعي في تجويف عنقه ويديها تتمسك بقميصه لاوية إياه بشدة بين أصابعها... مجهشة في البكاء على الفور لاسعة إياه بسخونتها... واسمه يخرج بهذيان مرددة إياه من بين شفتيها... هذه المرة لم يستطع أبدا كتم آهة أفلتت من بين شفتيه مرددها بحرقة ....مرارا وتكرارا عله يُخرج ذلك الجحيم الذي يكاد يوئده حيا....

حملها بين ذراعيه أخيراً ضامها إليه بقوة وهمس وهو يخطو نحو باب الغرفة مغادرا "لا بأس... لقد أنتهى كل شيء حبيبتي... أعدكِ أننا هذه المرة سنستطيع سويا قتل جميع أشباحكِ... أبدا لن أسمح لأي أحد مرة أخرى بأذيتكِ"

وهي ورغم كل شيء ورغم الألم القاتل الذي يسكن أضلعها في تلك اللحظة صدقته... صدقته والدليل الحي كانت تلمحه بطرف عينيها لجسد أبيها الدامي الممدد في ردهة منزله الذي غادروه للتو... ولم تحتج حتى لتفسير لتعرف من المتسبب في الأمر... ولم تنتابها أية ذرة للتعاطف... لقد كانت على ثقة أنها انتهت منه أخيرا إلى الأبد هذه المرة.

&&&&&&&&&&

"الطفل بخير... حالته مستقرة ولكن حالتها الجسدية والنفسية مدمرة"

قالتها آيتان بصوت مرتجف لم يتبين آصف وسط دوامته أسبابه...

تابعت مختنقة بنبرة غالبتها عبرة "أنا سأبقى معها إلى أن تستعيد قواها..."

كان هو مرهقاً نفسياً وجسدياً عندما قال "يكفي آيتانِ جلدكِ إياي ومحاولة إظاهركِ لي أني لا أختلف كثيرا عن أي رجل أحمق غبي لن تُجدي نفعا إذ أني أعرف ذلك بالفعل"

"أنت كل ما يهمك الطفل"

صوته عاد يتلبسه الحزم من جديد وهو يقول مسيطراً "إلى هنا يكفي... أنتِ ستغادرين حالا وتضبي أفكاركِ وتمردكِ جانبا... إذ أنكِ ساعدتني بالفعل... بالمناسبة أخبرتكِ أن هي كل ما يهمني في العالم ولكي ترتاحي هذه المرة.. أنا سأحررها كما رغبت دون أن أفرض عليها نفسي قصرا"

&&&&&&

بعد يومين... كان مشغولاً بها غارقاً في استسلامها المؤلم لكل ما يحدث... عندما يمنحها أدويتها لا تقاوم وعندما يحاول إطعامها تتناوله بصمت... حتى عندما رفعها بين ذراعيه ليحممها لم تقاومه وكأنها أصبحت تمثال شمعي لا يتكلم لا يشعرولا يسمع...

كان ينظر إليها بينما تهرب كالعادة بالنوم... تتسطح على بطنها غير مبالية بحملها الثقيل فوضع هو وسائد لتخفف الضغط على الطفل... وكأن المشهد يعيد نفسه وكأن كل جهد بذله معها كان مجرد سراب... ولكن هذه المرة هو لم يعد يملك حجة ولا يجرؤ على طلب منحه فرصة أخيرة.

قطع شروده هاتفه الذي ضج معلناً عن اتصال... أخذ نفساً طويلا قبل أن يرد بسكون على عزير العاشوري "مرحبا... كيف حال الفتاة؟"

رد آصف بهدوء "بخير"

كعادة عزيز دخل في صلب الموضوع مباشرة جاعلاً آصف للحظات لا يستوعب ما يتفوه به "أعرف أنك قادر على حماية ما يخصك ولكن أنت قدمت الكثير بالفعل... لذا تقبل هذه الهدية مني ومن أعمامك... لقد تعدى عوني المنصوري على ما يخصنا جميعا ....ووو..."

قاطعة آصف حازماً بتصميم "أنا شاكر لك يا عزيزي وللجميع أي ما كانت خططكم ولكن ثأر زوجتي لن يأخذه ويخطط له سواي"

قال عزيز في محاولة لجعله يتقبل خططه "ولكن، لم تشغل نفسك ونحن قادرين؟!"

أخذ آصف نفس عميق قبل أن يتركها ليتحدث بعيد وهو يقول "لقد قاومت نفسي بالفعل أن لا أذهب وأحطم هذا الهاني أو ربما أقتله مقدما رأسه تحت قدميها ولكن أنت تعلم ..أن هذا لن يفلح إذ أنه لم يقترب منها وهي زوجتي ..لذا قررت أن انتقامي منهم على مقدار جرمهم يجب ان يدفعوا الثمن غالي من أجل عذبوها بسببه !!"

عاد عزيز يخبره بهدوء أشد وكأنه يفسر نفسه وعلامات الاستفهام لما يفعل "لا عليك أفعل ما تريده وتذكر أنا بجانبك ...أنا كنت أريد تقديم المساعدة لأني لدي نظرة غريبة حول الفتيات في هذا المجتمع أفضلهن أكثر قوة... أكثر تمردا... لذا أشجع بشدة منحهن الدعم والحماية

التي ينشدونها... تعرف في وسط مجتمع ذكوري قد تضيع أية فتاة هشة لا تستطيع الدفاع عن أقل حقوقها.. حريتها!"

&&&&&&&&&&

"هل انت واثق مما تفعله!"

نطقها أحد مدراء أعماله بينما هو يعيد دراسة أوراقه جيداً ينظر لأعمامه وعزيز الذين أصروا على أن يساندوه حتى لا يجازف بماله ونفسه ...ويتكبد خسارة الكثير مما كان سيقدم عليه بالفعل مقابل أن يؤلم كل من أوجعوها!

وضع قلمه الأنيق بجانب أوراق الصفقة التي وقعها للتو وهو يقول بهدوء "نفذ بدون نقاش لقد حسم الأمر ولا تراجع!"

تدخل أحد أعمامه وهو يقول بهدوء "ألن تخبرنا لماذ تريد تدمير تجارة عوني وهاني ..ومحوهم من السوق!"

أخذ آصف نفس عميق قبل أن يقول بنبرة معلقة "حسابات قديمة ويجب تصفيتها.. على كل الصفقة مدروسة عمي وكما اتفقنا وتبرعتم أنتم لن نخسر من ورائها شيء كما لن نكسب منها إلا هدم وتحطيم المعنين بالأمر"

تدخل عزيز وقال بهدوء "لا.. لقد كسبنا ترابطنا مرة أخر كما أننا تخلصنا في السوق من مجرد جرذان أعمالهم قذرة"

هز آصف رأسه بشبه موافقة.. فهو لا يعنيه سوق ولا تجارة كل ما أراده أن يؤذيهم بالمال الذي أغرى الحقير والدها لبيعها ..واستغله النذل الآخر معتقد أنه يستطيع شرائها..

فقط يتبقى لديه انتقام واحد سعى إليه بشدة... وهو اتصال بسيط لأحد دبلوماسيين فرنسا وأخبارهم عن المخالفة القانونية التي افتعلها المدعو هاني بزواجه من امرأة فرنسية منذ عام وأخرى هنا في بلده ..ليحاكم ويحرم من دخول اوروبا كلها! لقد تأكد أنه فتح عليه أبواب الجحيم على متسعها..

ولكنه ما زال لم يشفي غليله بعد.. يشعر أن نيرانه لن تهدأ وبركانه الثأر لن يخمد إلا عندما يلوث يديه بدماء الحقير الذي سبب لها كل تلك الأوجاع كما حطم وجه والدها..!

&&&&&&&&&

منذ ساعات كان يرتب لمغادرتهم من هنا أخيراً ليعودٍ لحياته الطبيعية بعد الإعصار الذي ضربه... وأقر أخيرا بفشله للتصدي له وحمايتها هي قبله... فليعترف بخاطر لنفسه إنه أناني لأخر رمق فيها... مقيدا بصك عبودية تملكه وحدها وقد ظن أن زمن العبيد قد ولى...

ضحك ساخراً متذكراً هتافها العاصف بأنها ليست إحدى جواريه غير مدركة بعاصفتها أنها من قيدته ممتكله قلبه وحياته.

لقد أخبرها أنه سيوفر لها منزلاً آمناً بالسويد لتنفصل عنه وتستقل بعيدا... مستغلا حجة الطفل الذي يجب أن يكون بينهما في أول سنوات عمره الصغيرة على الأقل... لم يحصل على إجابة منها بل إيماءة بسيطة مستسلمة وكأنها تخبره أنها ما عادت تهتم... ربما عليه أن يجري معها حديثا أخير متحضرا فربما يصل معها لأية ردة فعل.

تحرك نحو باب الشقةِ يفتحه بقلبٍ منقبض كعادته وكأنه لن يتخلص أبدا من شعوره بالذنب... من اضطراب أفكاره المشوشة والتي ما عاد يفهمها عندما يتعلق الأمر حولها.

فور أن فتح الباب تجمد مكانه بينما عيناه تحملقان دون تصديق للمنظر الذي أمامهِ وكأنه صورة خياليةٍ من رابع المستحيلات أن تحدث يوما... أتراه قد يسيطر يوما على تطرف أفكاره أو خفقات قلبه الذي يضطرب مع كل فعل يصدر عنها؟!

اقترب ببطء ثم وقف على بعد خطوات منها يراقب الجسدِ المنحني أمامه على سجادة الصلاة التي لم تغادره يوما تحيط وجهها الشاحب بشال ناصع البياض مغطيةٍ كل خصلةٍ من شعرها... مرتديةٍ أحد الفساتين المحتشمةٍ والتي يملأ خزانتها بها في رجاء غير معلن منه أن تستر كل جزء منها وتودِع ملابسها المكشوفةٍ السابقةٍ... كان يوجد أمامها مصحفا تفتحه على آيات قرآنيةٍ بينما صوتها المختنق كان يردد بلهجةٍ عربيةٍ متضعضعةٍ تماما... مما جلب الدموع لطرف عينيه مرغما "لقد جربت كل شيء ولم أحصلِ على نفسي وسلامي، أنا كنتِ أعرف أنك موجود دائما... أنا كنت أحتمي بك دائما من نفسي ...ساعدني يا الله.. ساعدني لأصِل إليك دون أنِ يدفعني أحدٌ إليك... أنا ضعيفةٍ جدا لا أمتلك شيئا وأحتاج إلى أن ترشدني وتحميني ...أرشدني يا إلهي أرجوك أرجوك أعدني إليك.. أعدني إليك"

"دجينة" كان يهمسها بعاطفةٍ أخرى لا تمت لأي شهوة بصلةٍ ...لقد انهار قلبه تماما بين أضلعه ودمعةٍ خائنةٍ طفرت من عينيه... ربما كلماتها متخبطةٍ هزيلةٍ ولكن رجائها الصادق، برائتها في طلب العون بفطرتها التي قادتها

لطلب العون من خالق الكون أخيراً جعلت كل شيء يضعفه بطريقة مؤلمة.

كانت عينيها مشوشتين ونبراتها ضائعة، مسلمة أمرها بطريقة قتلته في صميمه عندما التفتت إليه تهمس بحرقة "حاولت أن أقلدك... أقيم الشعائر... أن أصلي كما كنت أراقبك تفعل.. عله يمنحني السلام الذي أجزم أني لن أحصل عليه يوما... ولكن أنا فشلت... فشلت حتى في هذا يا آصف... لأني لأني...."

أحس بالعاطفة تكاد تخنقه بينما ركع على ركبتيه أمامها وهو يكمل ما قطعته بصوت أجش "لأنكِ تجهلين طريقة إقامتها"

كانت دموعها تسابق بعضها وهي تهز رأسها ببطءٍ شديد موافقة إياه... منفصلة عن كل ما حولها وكأنها لم تخرج من حالة الروحانية التي تلبستها.

لم يستطع مقاومة حاجته لأن يلمسها... مد يده يتلمس نعومة الحجاب حول وجهها... ملامحه تبتسم بفورة عاطفية كأنه يرى أمامه أكثر النساء جمالا... أكثرهن روحانية... براءة وطفولة... ونقاء لا تعرفه الكثيرات حتى من تلقت ما حُرمت منه دجينة... هبطت يده تداعب وجنتها وهو يهمس "هلَ تسمحين لي... هل تمنحيني هذا الشرف أخيرا؟"

قالت بضعف مس شغاف قلبه "هل... هل تفعل؟"

أحس بالحزن يغمر روحه وهو يقول بحنان "كانت أمنية... أمنيتي منذ يوم معرفتكِ"

&&&&&

بينما تقف متأخرة عنه بخطوة بين يدي الخالق لم يستطع تفسير ماهية تلك الروحانية التي يتذوقها... حتى وهو يعرف لذة حلاوتها منذ كان في عمر العاشرة.

قبل أن يشرع في تكبيرة الصلاة كانت أصابعه تجذب ساعدها برفق يساوي وقفتها متذكرا كيف علمها الوضوء خطوة بخطوة... جسدها المرتعش ما زال يتخبط في تلك الدوامة التي تغرقها... دوامة لذيذة ناعمة أغرقته معها في عالمٍ من اليقين ينشرح بها صدر كلاهما الذي كان مرهقا... كانت مشاعره متخبطة تماما مثلها... كان الأمر أكبر من أن يصفه... أصعب من أن يفسره بعد فقدانه كل أمل فيها وإقراره بفشله.

شرع مرددا التكبير ثم بدأ بقراءة الفاتحة بصوتٍ عالي متبعها بسورة قرآنية قصيرة... صوته رغم علوه قليلا كان خاشعا متضرعا بينما كل أماني قلبه كانت أن تجد طريقها وسلامها بين يدي الله... وألا تسقط أبدا مرة أخرى.

مع كل آية قرآنية تصلها كانت شهقتها تزداد حدة... روحها تطفو في فضاء فسيح... خفيفة وخالية من الآثام والهموم... كانت لأول مرة في حياتها تشعر بالسلام الحقيقي... تعرف معنى السكينة والخشوع.

فور أن أنهى الصلاة التفت إليها مبهورالأنفاس وكأن تلكٍ الصورة التي هي عليها لن تشبع روحه أبدا... لم تهتم أبدا بمشاعره بل عادت تضع جبهتها في وضع السجود جسدها يختض بذهول كأنٍ ما تذوقته من لذة الخشوع ومخاطبة الخالق لن تكفيها أبدا... مبهورة بذلك الشعور الذي يجعلها تطفو وتطفو وكأنها عادت لتولد من جديد مُطهرة من كل شرور الدنيا.

"ومنذ متى كان اللجوء إليك يحتاج إلى وسيط؟ من ذا الذي يغتر في نفسه أنه قد يستطيع جبرأحدهم على حلاوة الهداية؟!"

عندما رفعت جسدها بين يديه كانت ما زالت تنظر له تلك النظرة المشوشة بدمعها فسألها "بماذا تشعرين؟"

"وكأني كنت عطشى طوال عمري وباللجوء إليه ارتويت"

&&&&&&&&&

بعد شهرين جوتبرغ.. السويد

تستطيع القول إن عواصفها جميعها قد هدأت... وجدت مرسى واحدا قوي تسند نفسها إليه أخيرا... مصيرها بين يديها بعد ان رأت بعينيها دليل انتقامها من كل من أذوها لقد حطمهم آصف تماما وأوقع المدعو هاني في كارثة مادية وقانونية لن يتداركها حتى بعد عشرة أعوام ...ورغم هذا لقد اتفقا على الانفصال بعد ولادتها الطفل ...لقد وعدها بأن ينفذ كل ما تطلبه بعد أن أوضحت له بقوة أنها أبدا لن تمنحه ثقة لا يستحقها... ولكنها تعرف زيف وعده وهي للحقيقة لا تريد مقاومته...بل إن كانت تملك أي غضبٍ ناحيته فهو غضب عدم تمسكه الهمجي بها "حسنا هي تبقى أنثى تحتاج دائما بعض همجية الرجل الشرقي في تمسكه بها...."

ومن ناحية أخرى من يوم انهيارها بين يديه تتوسله تقريبا تعليمها كيف تتواصل مع الله وهو لا يمل من تلقينها الآيات القرآنية وكيفية الصلاة التي أصبحت تجيدها وتحافظ عليها... بالطبع لغتها الفرنسية لا تساعدها في القراءة فقام آصف بمساعدتها بتنزيل بعض البرامج

الإلكترونية لتسهل عليها قرآته مكتوباً بالفرنسية أو ناطقاً بالعربية... بالطبع هي تفضل سماعه بالعربية في الوقت الحالي..

تستطيع القول الأن بينما تربت على صغيرتها التي اقتربت على المجيء بأنها مرتاحة... مرتاحة جدا للطريقة التي تسير بها حياتها وإن تبقت بعض الغصص والألام التي تتمنى أن تودعهم قريبا عندما تحمل ابنتها بين ذراعيها... تنهدت وهي تعود لتستلقي مستعدة للنوم بينما تتلاعب بسوارها ذي بتلات الورد لفانديتيا... مهرها من آصف الذي عادت لتضعه ولن تخلعه أبدا... همست بابتسامة جريحة تحدث صغيرتها كما تعودت خلال الأشهر الماضية "اشتقت أن أضم موسيقاي لصدري صغيرتي "فليون"

غافلة تماماً عن تلك العينين التي لم تتركها أبداً لوحدتها وحزنها"

&&&&&&&&&

"يدكِ التي حطت على كتفي
كحمامة نزلت لكي تشرب
عندي تساوي ألف أمنية
يا ليتها تبقى و لا تذهب
الشمس نائمة على كتفي
قبلتها ألفاً و لم أتعب
تلك الجميلة كيف أرفضها
من يرفض السكنى على كوكب

قولي لها تمضي برحلتها
فلها جميع جميع ما ترغب
تلك الجميلة كيف أقنعها
أني بها معجب بها معجب
يدكِ الصغيرة طفلة هربت
ماذا أقول لطفلة تلعب
أنا ساهر ومعي يد امرأة
بيضاء هل أشهي و هل أطيب
تلك الجميلة كيف أقنعها
أني بها معجب...بها معجب"
"أبيات مختارة لنزار قباني"

&&&&&&&&&&

قراءة سعيدة

الخاتمة

نظرت دجينة حولها بنوع من الإرتباك والتشوش وهي تراقبه يزيح أريكته الوثيرة جانبا لتستقر في أحد أركان غرفة المعيشة الواسعة... رفع وجهه مرة واحدة يخبرها بنبره صارمة "أجلسي هناك حتى أنتهي وأعود إليكِ"

لم تستطع أن تكبح فضولها وهي تقول بسرعة "ماذا تفعل ولما قلبت كيان المكان هكذا؟"

توجه آصف ناحية المدفئة الحجرية بتكاسل وهو يقول "بضع دقائق يا قطيطة وستعلمين"

جلست بحرص على مقعدها المفضل وهي تحيطِ بطنها المنتفخ بكلا كفيها ثم قالت بنوعٍ من الضيق "كف عن مناداتي بهذا اللقب أنا أكرهه"

كانت يديّ آصف تعمل سريعاً على وضع بعض جذوع الشجر ليزيد من حرارة المكان ثم ما لبث أن اعتدل ليغلق الباب الزجاجي الصغير والعازل للنار المشتعلة

وقال بنبرة هادئة "بل تتمردين عليه كما كنتِ تدّعين رفض الكثير؟!"

لم ترد ولم تحاول حتى أن توجه عينيها مرة أخرى نحو عينيه بل ظلت تنظر للنار التي تتراقص من خلف الزجاج متأملة فخامة المنزل ككل مرة تفعل حينما تتواجد معه ويفرض هيمنة وجوده حولها... مدفئة حجرية من القرميد الاحمر الأثري يتوسط بنائها باب من الزجاج الحراري المقوي والعازل ثم يعلوها أرفف مصنوعة بطريقة حديثة كأنه خطط لها هو بنفسه لينثر فوقها بعضا من الكتب في معظم المجالات... وبالطبع جهاز تلفاز حديث يعينها قليلا على وحدتها... منزله بسيط رغم فخامته

وكأنه صمم بحميمية ليسكنه هو ومن سوف تسكن قلبه وحياته كما أخبرها... بعد أن تبتعد هي؟!

خفق قلب دجينة بجنون وارتفع صوت أنين من حلقها... كأن مجرد الفكرة تطعنها ألاف المرات... كأن اتفاقهم لم يتم برضاها وشرطها؟! عندما غادرا مصر ليأتيا إلى هنا... وقد أصرت كردة فعل على ما حدث هناك أن تنفصل عنه كما كان مخططا منذ بداية علاقتهما... ولكم كذبت.

شعرت بيده تبعد خصلات شعرها الكثيف وراء أذنيها ليدس أصابعه تحت ذقنها يرفعه نحوه وهو يقول بتعجب "ماذا بكِ؟ هل هناك شيء أزعجكِ ؟!"

فغرت شفتيها قليلاً وهي تنظر له بعينين خضراوين متوسعتين وغير مصدقتين لما يهمس به فمها "اكتشفت فجأة أني سأفتقد كل شيء هنا؟!"

أومأ آصف برأسه وهو يقاوم نفسه وقلبه بأن يحتويها بين ذراعيه... أن يضمها إلى قلبه ويهتف فيها مرارا وتكرار بأنه لن يسمح لها أبدا بالابتعاد أن تفقد أو تفتقد مرة أخرى!!! ولكنه قال بخشونة تخللها شعور بالإختناق "سيظل المكان دائما ملجأكِ الخاص... أنا لا أرد سائلا أبدا دجينة"

ابتلعت غصة في حلقها قبل أن تقول بنبرة مرتعشة "أنا أحب شكله الخارجي جدا وسط زهور الأدونيس التي تنعكس عليها أشعة الشمس لتصبح المنطقة المحيطة بلونٍ واحد"

هز رأسه وقال مجاريها "أنتِ وقعتِ في غرامه من أول مرة قبل عامٍ من الآن؟!"

قالت بنبرة غير واثقة "ما زلت أذكر عندما أتيت بي إلى هنا وعندما نهرتك وضعت المفتاح في يديّ بهدوء وانصرفت دون كلمة؟!"

ضحك وهو يهز رأسه بتفهم متذكراً ملامحها وقتها وجنونها الأهوج ثم ما لبث أن قال "في العادة لا أحب الجدال مع الحمقاوات"

ارتفع حاجبي دجينة وهي تقول بحيرة "كيف يصح ما تقول وأنا منذ أن رأيتك وأنت لا تكف عن مجادلتي؟"

تحركت يديه نحو انتفاخ بطنها الكبير ثم مسد على الصغيرة بهدوء حنون وقال بصوته الرخيم "أنا لم أجادل دجينة... معكِ أنا كنت أصحح صورة وأكمل طريق كنتِ تبحثين عن أوله ولكنكِ لم تستطيعي أن تعرفي أيهم الأنسب لكِ ولوضعكِ كأنثى عربية الهوية"

قالت بهدوء "وهذا قد فعلته أنتَ ...ولكني ما زلت أحتاج الكثير للتعلم؟!"

طبع قُبلة مفاجئة على بطنها جعلت كل جسدها ينتفض بردة فعل غريزية بينما ابتسم هو بأناقة أرستقراطية معتادة وقال بتلك النبرة الملكية التي تجعلها تهتز للأعماق "أنتِ أثبتِ أنكِ لا تحتاجين أحدا ...دائما قوتكِ كانت بداخلكِ"

وقف مرة أخرى على قدميه وراقبته يتحرك نحو مكان الأريكة التي أزاحها جانبا في السابق وهو يفتح إزرار قميصه حتى أسفل خَصره بقليل ثم يتبعه بأن حل أكمامه يطويهم واحدا تلو الأخر ليكشف عن ساعدين قويين... خلع حذائه الأنيق ورماه جانباً..

تحرك نحو ستارة ضخمة مخملية الملمس من القماش الثقيل باللون الأسود المتداخل مع الأبيض... لطالما تسآلت دجينة عن سر وضعها وراء تلك الأريكة المماثلة للونها وببطء ازاحها آصف ليظهر من خلفها بابا ملونا بالأسود اللامع... وقفت دجينة وهي تمتم بانبهار "رباااه... ما هذا ؟!"

أخذ آصف نفساً عميقاً قبل أن يلتفت إليها من خلف كتفه وقال "سري الصغير والذي لم يكتشفه أحد يا قطيطة؟!"

اجابته دجينة متشككة بتردد "وأنت تكشفه لي أنا؟!"

مد يده في دعوة أن تنضم إليه فلم تتردد وهي تتوجه ناحيته حتى جاورته فلف ذراعه نحو خَصرِها بأريحية وقال بتلك النبرة الواثقة "ليس هناك مخلوقا أحق منكِ في معرفته... كما أنكِ الوحيدة التي ستتفهمه؟!"

هزت رأسها موافقة وهي تبتلع ريقها بتوتر بضغط يزداد وسؤال يعصف بعقلها يتواطئ مع دقات قلبها التي تتعثر بلغط مجنون غير مستوي يخفق في بعض دقاته ويتعثر في بعض نبضاته... يخفق في ضخ الدم لأوردته "كيف يمكنها ترك هذا الرجل... كيف تستطيع الانفصال عنه كما أوهمت نفسها؟!"

رفع أصابعه يتلمس بها وجنتها الحارة ثم همس بنعومة "مستعدة؟!"

"بل متلهفة لأعرف سيد آصف غانم ماذا يخبئ"

إبتسم وهو يتركها وأمسك مقبضي الباب الجرار يسحبه على اتساعه وهو يقول "أخبئ أوتارا موسيقية وعالما من النسيان والانعزال عن العالم ...دنيا من الارتقاء وسمو المشاعر ...غذاء العقل والروح يا دجينة"

قفزت دجينة أمامه وهي ترفع وجهها لتستطع مقابلة وجهه الهادئ الباسم بأريحية لتقول باستنكار "أنت... أنت عازف بيانو مستحيلللللل"

أزاحها آصف برفق ليلف جسدها الصغير لتواجه الغرفة الموسيقية ثم مال يضع رأسه على كتفِها وهو يقول ببطء "ولماذا مستحيل؟! الفن لم يقتصر يوما على فقير أو غني... مثقف أو جاهل.. ثم أنا قد عزفت لكِ بالسابق في ليلتنا الغرامية... ألا..."

صمت فجأة فأدركت من توتر جسده أنه يتذكر ليلتهم الأخيرة والتي اعتقدت أنها خسرت كل شيء بعدها..

أجابته ببساطة متجنبة إحساسه العميق بالذنب والذي ما زال لم يتخلص منه "أنت متكلف جدا في طريقة كلامك، مأكلك، ملبسك وكل شيء حولك يدور بدقة وثقة دون خلل... فكيف أصدق أنك مثلنا؟"

أخذ آصف نفساً عميقاً قبل أن يدفعها برفق أمامه وقال "إذاً دعيني أثبت لكِ بالرهان"

سحبها برقة ليجلسها على كرسي خشبي مكسو بطبقة مريحة من الإسفنج مبطنة بقماش أسود قطيفي ناعم له ظهر واسع مريح مماثل وأخبرها

"أريحي نفسكِ تماما لا نريد أن نرهقكِ"

لم تستطع أن تقاوم الإثارة التي تجتاح كل جزء منها وهي تقول بحماس وترقب "أنا بخير لا تقلق ولكن أرجو أن أستمتع ببعض من عزفك لقد افتقدت جزءا من هويتي يا آصف منذ أن توقفت عن ممارسة الموسيقى!"

تركها آصف وتحرك نحو البيانو وجذب شيئاً ما من خلفه قبل أن يعود إليها ممسكا بالحقيبة الجلدية المماثلة الشكل

تماماً لما تحتويه بداخلها ...جلس على عُقبيه ووضع الحقيبة على ركبتيها وقال "لن أعزف وحدي أريد التشجيع بمشاركتكِ بلحنٍ واحد متناسق يا دجينة"

اغرورقت عيناها بالدموع وهي تقلب نظراتها بينه وبين آلتها الغالية وقالت باختناق "لقد ظننت بأني فقدته؟!"

وقف مرة أخرى يرتكز بكفيه على جانبي المقعد محاوطها قبل أن تلفحها انفاسه الحارة وهو يقول بصوتٍ مكتوم يقاومه لينسى ما فعلته نحوه وعاد يرده بقسوة الجهل نحوها "لقد نسيته يوم أن هربتِ مني... واحتفظت به من أجلكِ... كيف استطعتِ التفريط فيه؟ لقد منحتكِ إياه واضعاً قلبي بداخله"

صمتت ولم تجد ما تخبره به فأشاحت بوجهها بعيد عنه ثم ما لبثت أن قالت بصوتٍ خفيض "هل لديك خيال معين نحو اللحن؟!"

ابتعد ببطء ولم تفارق عينيه الداكنتين وجهها المتورد رغم تمرده المقاوم بينما هو يزيح كرسيه ويفتح الغلاف ليكشف عن أصابع البيانو وقال بصوت أجش متحشرج "لحن النسيان هل تعرفينه؟!"

أغمضت دجينة جفنيها فإنسابت الدموع فوق وجنتها ببطء ثم همست برقة مبتسمة باكية "نعم... هذا لحني المفضل منذ سبع سنوات مضت"

التفت إليها مبتسماً دون أن يرد بكلماتٍ... فالكلمات فقدت معناها في تلك اللحظة بينهما... شاهدها وهي تفتح الحقيبة وتخرج "الكمان" من موضعه مررت انامله عليه برقة بشوق فضحه كل إنشٍ منها وكأنه جزء من روحها كان قد سُرق منها وعادً بتدفق من جرعات الأمل والحياة... لم تهتم بغلالات دمعها التي هبطت حتى شوّشت

الرؤية وهي ترفعه برفق تضعه على كتفها وأناملها تلتف لتعانق الجزء الأخر من أوتاره ثم باليد الأخرى تناولت عصاه الخاصة به ثم وضعتها لتعانق أوتاره الأربعة برقة بحب برفق وتمهل... ثم مررتها بهدوء شديد وبدأت في العزف المتناغم... لم يتأخر آصف وهو يضع يديه على الأصابع الحساسة لتتابع عزف دجينة الهادئ في بادئ الأمر... كان يبتسم وهو يتذكر القواعد الفنية البسيطة بأن آلة الكمان من أرقى الآلات الوترية والتي لا تزاحمها أية آله موسيقية أخرى وقد اصبح للكمان السيادة على كل الآلات الوترية ما عدا البيانو والذي لم يستطع رغم كل شيء أن يُضعف من مكانتها أو يقل من سيادتها... فأصبح كليهما آلتان لا تتضاربان؟!

أغمضت دجينة عينيها ووترها المشدود يتصاعد بصخبٍ صارخٍ يتراقص على نغمة الكلمات... رأسها يميل يمينا ويسارا يرتفع وينخفض ناثرا خصلات شعرها المتمردة بجنون... ورغم أنامله التي تعزف بتسارع محاولا أن يلحق بكلماته الهادرة التي تنساب بصمت من بين ألحانها لم تستطع عينيه أن تتوقف عن مراقبتها ولا أن يكف قلبه عن الخفق بقوة من أجلها...

"وتبقين حلماً يتحقق... بعد أن انهارت كل المسافات بيننا"

همسها آصف وهو يرى موهبة حقيقة أمامه وليس مجرد تائهة لا تعرف ما تريد بل كانت كل نغماتها الصارخة التي تتمرد لكسر الطوق للمطالبة بالحرية، بالإنسانية بحق تقرير المصير تمتزج مع موسيقاها التي تعزف وتحكيها ملامح وجهها وتتفاعل بكامل جسدها مع كل لحن... غزت قلبه بتحكمها الفريد، بأناملها التي تعانقت مع الأوتار الأربعة فلم يعد يفرق بينهم... بروحها التي كانت تأن بصمتٍ نازف... وقلبها الذي يصرخ بجنون متوحش...

الأن فقط علم وصدق "كمان دجينة هو لغة روحها فكيف لا يدعها تُلحن؟!"

قيل عن لحن النسيان أنه يحفر السماء!! وجفني دجينه المغلقين ويدها التي تحتضن الأوتار وعصى الكمان ورأسها الذي يدور بتسارع ثم يتباطأ فجأة بوتيرة متمهلة ...لقد كانت فعلا تحفر السماء... بالبكاء وبإخراج كل مأساتها... بشكوى حنينها وإهمالها، بضياعها، بيعها، باستغلالها وسلب حريتها من أهل لم يعرفوها أبسط أمور دينها وهويتها... كانت تتراقص بخفة فراشة على لحن لا يشبهه عزف... بإحساس لم يشابهه إحساس بعالم صادقً لا يكذب لا يُكفر به... بلحن يودع الماضي بخجل ويأملٍ في مستقبل أخر دون شعور اليأس؟! توقفت يديه مرغما عن عزفه وهو يراها تمتزج مع آلاتها ...مشاعرها وإحاسيسها التي تخرج من قلبها جعلت فؤاده هو يأن... يتتبع كيف تضم أوتارها بحنان تحت رأسها كيف تحرك أوتاره بمشاعرها وليست أناملها... لقد كان يُؤمِن دائما أن للموسيقى صوت للحن كلمات تخرج مستترة من وراء كل تحكمٍ وها هي دجينة عبر موسيقاها تخرج كل ما عجز هو أنً يصل إليه لقد أصبحت مكشوفة أمامه أخيرا دون حواجز أو تردد ،دون إغلاق على قلبها... قطيطته ومالكة قلبه الذي تمرد تريده تحتاجه... تحبه... ولكن مأساتها خوفها... أفكارها المخلوطة تجعلها تنأى بنفسها.. وتتمسك بجنونها السابق.

انتهت أخيراً وهي تنزل الكمان من علىٍ كتفها بهدوء وانسيابية... فتحت عينيها الجميلتين أخيرا نحوه مباشرة وقالت بنبرة متحشرجة "شكرا لك كنت أحتاجه؟!"

كان في عينيه انفعالٍ من المستحيل أن تخطئه أبداً... هل أرخى حصونه أخيرا نحوها مرة أخرى؟!! مجردٍ الفكرة جعلت شعور الحاجة يتأجج داخلها يطالب صارخا باحتواء

لم تجربه من قبل إلا معه وبين ذراعيه ...بجعل عقلها يتطرف في تفكيره متذكرة كل لمسة من آصف كل ليلة لمسها فيها... كل خلجة منه وكل همسة ...كانت وكأن تلك الغشاوة انزاحت من على بصرها ببطء لتظهر الصورةٍ الحقيقية أمامها بوضوح؟! ابتسمت وهي ترتجف فعليا جراء تلك النظرة في عينيه... لكن جسدها تصلب حينما قال بهدوء "أرجو أن يكون كشف سري هذا طمأنك أن الطفلة ستكون بخير معي ولن أصيبها بضرر كما فعل والدكِ معكِ؟!"

ازدادت الرعدة في جسدها على الفور بينما يديها تضم الكمان على بطنها بتلقائية خفضت وجهها نحو جزئي روحها الغاليين وهي تقول بخفقة شعر بالألم فيها "هل تعتقد أنها ستحبني إن علمت بأني لم أستطع التضحية من أجلها والبقاء معك؟!"

استدار آصف نحو جهاز البيانو مرة أخرى يضع ساعده عليه وسند رأسه على كفه وهو يقول بنفس صعب أجش "لا أعرف ولا أستطيع وعدكِ بعكس مخاوفَكِ... لكنكِ ما زلتِ تستطيعين البقاء؟!"

قالت بفظاظة رغم الغيرة الحارقة التي فضحتها نبرتها "وماذا عن زوجة أحلامك تلك المرأة بمواصفاتك القياسية والتي لا أملكها؟"

أسبلِ جفنيه وهو يتخيل مظهرها الصاخب المشرد والمهمل دائما بملابس غير متناسقة الألوان كذلك الفستان المهمل الذي ترتديه الآن وقال ببرود معاكس لصورتها في مخيلته "سنجد حلا لبقائكِ ومقاييسي تلك... كما أن مغادرتكِ إياي لم تكن لهذا السبب"

تجهمت ملامحها وهي تقول صارخةً بتوتر متجنبة جملته الأخيرة وكأنها تستفزه تدفعه ليتوسلها البقاء "بالطبع وماذا أتوقع منك غير هذا؟! عربيّ غبيّ أنانيّ تريد الجمع بين اثنتان كالجواري وربما أربع"

هز كتفيه العريضتين وملامحه تبتسم دون أن يسمح لها بأن تراه ...لم يرد حتى وهو يسمع أنفاسها الحادة تخرج ملتهبة بنارية إن سمحت لها قد تحرقه... فقال مجاريها وكأن إخفاقه الأخير معها لم يحدث أبدا وكأنهما عادا لجدالهما الممتع أول الأمر

"هل انتهيتِ؟ ليس لي مزاج الليلة بعد أن استمتعت بلحنكِ أن أجادلكِ!"

عبارته البسيطة عادت لتطفئ نار غضبها تتغلب على لغط تمردها فقالت بتردد "هل أحببت لحني حقا... هل رأيت أني أملك تلك الموهبة أم مثل ما قال هو مجرد خبط طفلة غبية لا تصلح لشيء؟"

أخذ آصف نفساً عميقاً قبل أن يستدير مرة أخرى نحوها يتأمل التشكك في عينيها وملامحها الرقيقة التي تعاني من ثقتها المهتزة المعتادة... رق قلبه كما صوته وقال "بل استمتعت بكل جزءٍ منها... لم أشعر بذلك الهدوء والرقي والسمو منذ زمن دجينة؟! أنتِ نغمات تتحدث وأنأمل تتراقص ومشاعر تتمرد لتكسر كل قيدٍ فرض وسيُفرض... فراشة تتنقل بين كل وتر وأخر وكأنكِ تصنعين حديقة من زهور ألحانكِ الخاصة؟!"

تأوهت بصمت بينما يديها تسند الكمان على الأرض برفق مرغمة وكأن شيء يقيدها لتسير نحوه كانت تقف ببطء تتوجه لجلسته الأنيقة ودون مقدمات كانت تجلس على

الأرض تمسك بكفه تضعها على ركبته ثم أمالت برأسها تريح وجنتها في راحة كفه؟!

في البداية كان مصدوماً وكأنه لم يتخيل أن يصدر يوماً تصرف مثل هذا من دجينة مرة أخرى "أنا لا أريد ترك طفلتي يا آصف ولا أريدك أن تتزوج من امرأة غيري"

أحس آصف بأن جسده يرتعد عندما انساب همسها إلى مسامعه... بأن الزمن يمنحه فرصة أخيرة كان ليدفع أي شيء... أي شيء ليحصل عليها... "أرجوك لا تتركني الليلة... سأموت قهرا وخجلا إن رفضتني"

رفعت رأسها وهي تعتدل تجلس على ركبتيها بين ساقيه كفيها تستند على وركيه وجسدها الضئيل يتطاول لتلامس شفتيها فكه... لم يتمالك نفسه وأصابعه تلتف حول شعرها ووجه ينخفض نحو فمها مباشرة يضغط عليه برغبة وإجتياح بحاجة لم يعلم أنه يحملها نحوها... فقد سيطرته التي مارسها خلال تلك الأشهر الطويلة وجسده يتحرر من إرادته... يرتعد بإثارة بشغف بحاجة برية لأن تكون امرأته ملتحمه فيه ...هو يريدها... استنشق آصف بعمق ونشوة نفسا طويلا صاخبا وهو يميل كله إليها حتى أصبح يواجهها على أرض الغرفة... جسدها الضئيل اصطدم بعنف على صلابة جسده ...يديها الناعمتين تتعلق بكتفيه بينما يديه تحتضنها إليه تعدل من وضعها ليسمح لقبلاته أن تجتاحها! كلما تعمق معها شعر بجسدها يرتعد، بسيطرته تهرب، بجنونها يزداد، بحاجتها تصرخ وببرائتها تفضحها... تبا هو أكثر احتياجا إليها مما كان يظن... "قطتي" همسها من بين شفتيها بحرارة لم يستطع أن يسيطر عليها... كانت صغيرة جدا حارة جدا

ومغوية لقلبه وعقله جداً جداً... للحظات وربما دقائق أو حتى ساعات نسي نفسه تماما ...نسي حملها ...وعده لنفسه بأن يتركها حتى توازن نفسها ...ألا يمسسها الا عندما تدرك بقائها معه باختيارها.. وتاه كليا بها وفيها... أطلق صوتا أشبه بالزئير وقد غابت حواسه في حاجة لم يدرك أنه كان يعاني منها لوقتٍ طويل فخرجت دون مقدمات عندما صرخت هي بحاجتها إليه! "لا تتركني" ثورة جسده لم تمهله للتعقل... لأخذ حذره والتمهل حتى لا يصدمها في جنون اجتياحه واحتياجه مددها على بعض الوسادات المنثورة بين البيانو وباب غرفته المخفية ويده تعملٍ ليرفع ثوبها محررها منه ملقي به بعشوائية لم تكن يوما فيه؟! بينما نبراته الخشنة كانت تهدر فيها بغضبٍ محذر "أقسم دجينة إن ندمتِ بعدها أو جُن جنونكِ او استيقظت لأجد ذراعي خاليين منكِ.. لأفصل رأسكِ عن جسدكِ هذه المرة دون شفقة"

وبجنونٍ تمردها ومشاعرها التي أثارها برغبة لم تعرف يوما بتواجدها داخلها كانت تخبره بصدق وحرارة "لن أفعل أعدُك ...لم يعد بيننا أسرار ولن أختار أبدا الهروب بديل لمواجهة مصائبي!"

توقف للحظات مطلا عليها برأسه كليهما أنفاسه تخرج لاهثة صاخبة عينيه تتعلق بعينيها الخضراوين شعرها الذي يتناثر على الوسادة بإهمال وكأنها صورة لحورية من حوريات شارع الشانزليزيه المعروضة!! جسدها الذي تناسق بجمال وبنعومة جعلت حرارة جسده تتصاعد كجمر ملتهب...

لم يستطع أن يبادلها المزيد من التوعد أو الكلمات... لم يملك القوة بعد أن بدأ معها بالفعل بما كان يكاد يموت شوقا لأن يفعله... بل لم يكن في الكون شيء واحد قد يجبره أن يتوقف

بعد أن اجتاحها بأكثر الطرق البرية والتي كان يحتفظ بها عميقا بعيدا عن كل عين تحت ملابسه وتصرفاته الارستقراطية.

&&&&&

عندما انتهت فورته العاطفية عاد يجذبها ليحتضنها بين ذراعيه يديها تستريح على صدره ورأسها يتمرمغ بنعومة مهلكة في عنقه بينما تهمس "هل هذا يعني أننا عدنا؟"

لم يتمكن من كبح الابتسامة التي صدرت نابعةً من عاطفته الجامحة المزوجة بالتسلية "ألم يتأخر سؤالكِ هذا قليلا؟"

توقف تحركها بينما إجابته بدلاً أن تريحها أربكتها "ماذا تقصد... هل.. هل ما حدث كان رغم إرادتك أو أني أغويتك؟ ربما أنت لا تريدني حقا وربما..."

لم تتمكن من إكمال حديثها عندما أرجع رأسه للوراء وهو ينفجر ضاحكا مستمتعا لعودتها للردود الساذجة..

عبست وهي تنتزع نفسها منه غاضبة فامسك بها وهو يقول من بين ضحكاته "حسنا... أقدم اعتذاري بوهيميتي الغاضبة"

اختفت ضحكته مرة واحدة بينما ينظر لوجهها المتجهم وهو يقول بجدية "نحن لم نفترق من الأساس لنعد... وأنتِ لم تجريني لشيء... لقد دفعتكِ فقط لما أريد!"

تلاحقت أنفاسها وهي تسأله مرتبكة "لقد اتفقنا في شقتك في مصر أنك ستتركني وأنا أخبرتك أني ما عدت أثق بك... أعني..."

سكون جزئي عاد يلفهم من جديد قبل أن ينسحبٍ هو يجلس أمامها وقال بصوتٍ أجش "نحن لم نتحدث أبدا عما حدث هناك وأنا لم أعد أستطيع الكتمان"

هزت رأسها نفياً وهي تقول بصوت مختنق وكأن تذكيره إياها عاد يدفع إليها كل أحاسيس القهر الذي عاشتها هناك في زنزانة أبيها "لأني لا أريد الحديث في الأمر كلانا أخطأ... كلانا معترف بأنه يريد الأخر... فلماذا نزيد الدراما العربية دعنا نتخطى الأمر بهدوء"

هز رأسه متفهماً ولم يستسلم لمحاولتها الالتفاف هذه المرة لرغبتها الدائمة في التهرب ثم قال بهدوء "ذلك النوع من الأحاديث لا يعني دراما يا دجينة نحن نحتاج حقا لكشف هذا الأمر قبل أن تأتي طفلتنا"

ردت هامسة بصوتٍ مرتجف "أنا لا ألومك... ربما كنت غاضبة، مقهورة وشعرت بالخيانة، بالخوف أن تكون صدقت كلماتي الكاذبةٍ... بأنك.. بأنك ما أحببتني قط... بأنك لن تأتي لإنقاذي أبدا"

أغمض عينيه بقوة متذكراً حرقته آن ذاك ...شعور القهر عندما كشفت له آيتان الحقيقة المريرة... الصفعة القاسية التي ما زال يستشعرها فوق وجهه "أنتِ اخترتِ جلاء عني يا دجينة... لم تمنحيني ثقتكِ الكاملة... لم تصارحيني رغم مطالبتي إياكِ مرارا"

جلست أمامه تضم بطنها بذراعيها وكأنها تحاول أن تحمي جنينها ونفسها من نوبة الانيهار التي تخللت صوتها وهي تقول "لقد هددني بكشف قبح أفعالي أمامك... بسذاجتي وغبائي... أنت أنت عرفت عني ما يكفي من الصور المشوهة ولم أرد منحك المزيد لتكرهني... لأسقط من ناظريك"

تنهد وهو يقول بهدوء "أنتِ حكمتِ على كلينا بوجهة نظركِ المشوهة المعتادة... إذ أني لم أكن لأسلمكِ إليه قط أو أستمع إليه أبدا... أو حتى أصدقه... أنا كنت سأستمع للحقيقة منكِ فقط... إلى هذا الحد أنا كنت أثق بكِ"

هتفت فاقدة أعصابها "إذاً لماذا لم أجد ثقتي هذه عندما رميتني أسبوعا كاملا بين أنيابه... لما لم تأتي إليّ تدافع عن حقك بي... تكسر رأسه إن تطلب الأمرلتعيدني إليك؟ أنا كنت أنتظرك كل لحظة هناك يا آصف... كان لديّ الثقة أنك لن تصدق ذلك المسلسل الرخيص الذي قمت به... أنا أنا نزفت هناك حتى مات أملي في انتظارك"

كيف له أن يحافظ على ذرة تعقل أو تحكم ظنها في نفسه وهو ينظر لعينيها يراقب جسدها الذي يختض عائدا لألمه، لإنفعاله الذي قد يسبب لها أذى وهي بحالتها تلك لم يفكر قبل أن يسحبها إليه معيدها داخل صدره الذي بلغ شوقه مداه خلال الأسابيع الطويلة الطويلة جدا التي قضاها يفتقدها رغم أنها تعيش معه تحت سقفٍ واحد وتشاركه فراشا واحدا دون أن يسمح لنفسه بأن يلمسها... محترما تلك المساحة من الاتزان التي كانت تريدها "هشش... اهدأي حبيبتي"

قالت بقهر ويداها تخبطه على صدره بحرقة "لا تقل حبيبتي... لا تكرر مشاعر لم تكن صادقة نحوي"

أصابعه تخللت شعرها الناعم ويده الأخرى تشبثت بها مانعا محاولتها الابتعاد "لا أصدق أنتِ تستحمين يوميا... تمشطين شعركِ دون أن أطلب... هذا حلمٌ أخر يتحقق!!"

فغرت دجينة فاها وهي تردد ببلاهة "ما.... ماذا؟!"

كتم ابتسامة أخرى متسلية دفعتها لتضربه بقبضتها مرة أخرى وهي تقول "أنت تحاول تشتيت تركيزي رغم أنك من طلبت ذلك النقاش!"

قال بصوتٍ أجش"لا أريد لك الأنفعال"

صمت ثم أخذ نفساً عميقاً أخر قبل أن يسحبها فوق حجره محتويا لها بكل ما فيها بين ذراعيه... جسده يلامس جسدها مشكلا كل إنشٍ منها بداخله "أنا الأخر كنت أتألم يا دجينة... بالنهايةً أنا مجرد بشر يتعذب يشعر باليأس بالفشل عندما يسمع الرفض والهروب من الفتاة الصغيرة التي أحب... المرأة التي تحمل جزءا مني... لتلك الحبيبة التي قضت طوال الليل تخبره بوعود وعهود وتكرر عشقا أسطوريا ناله منها أخيرا... ليستيقظ على فاجعة هروبها منه... بل وطلبها الطلاق رامية كرهها الشديد على أذنيه..."

للحظات ظلت تنظر إليه تحاول أن تتفهم دفاعه عن نفسه... مبرره الذي جعله يخفق معها ثم قالت بتعاسة "أعرف... الأن أستطيع رؤية الأمر من جهتك... ولكن ذلك الألم في قلبي وتلك الغصة المريرة التي صنعتها بداخلي بخذلانك لي لا أستطيع تخطيها"

قال بحزم "وأنا الآخر أمتلك جرحاً مماثلاً منكِ ولكني أستطيع تخطيه من أجلكِ...من أجلنا!"

هتفت في وجهه بيأس "وأنا الأخرى أستطيع... لقد لقد أثبت لك للتو مقدمة نفسي وروحي... ما الذي تريده أكثر؟!"

سمعته يقول بصوته العميق المثخن بالعاطفة "ربما أن تعودي لتُحبيني... أن تمحي ذنبي هذا وإثمي في حقكِ... أن نتخطى سويا أية ذكرى بشعة للماضي... أن تفتحي لي

قلبكِ دون خوف مني... أن تجعليني وطنكِ وسكنكِ وأمانكِ الذي عشتِ تبحثين عنه"

أحست بالدموع تحرق عينيها بينما تجيبه بدون تفكير أو ترتيب "بل سأجعل منك شعاري للحرية.. نبراسي للهداية.. وعقيدتي التي لن أكفر بها أبدا!"

صوته بدأ يهتز وهو يحني رأسه و كفه يندفع نحو رأسها من الخلف غارزها في شعرها الكثيف يقربها منه أكثر وأكثر بينما عينيه تقع على شفتيها التي ما زالت تحمل أثار قبلاته قبلٍ ساعات... جسدها الذي لا يفصله شيء عنه ما زال محملا برائحته مختلطة برائحة التفاح الذي تنبعث منها "هذا يعني أنكِ ستبقين أخيرا بإرادتكِ ولأنكِ ترغبين... لا عثرات مرة أخرى يا دجينة... لا غباء منكِ لا حجج ومبررات سخيفة... أنتِ ستكونين زوجتي وأم ابنتي ،لا أم أبنائي.. أريد الكثير الكثير منكِ أنتِ ولا أقبل بامرأة سواكِ يوما!"

همست "هل هذا وعد جديد غير قابل للخذلان آصف"

رد دون تردد "نعم... وما يجب أن تعرفيه أني أحبك... أحبك بكل المعاني التي تحملها هذه الكلمة... أحبك وسأقضي ما تبقى من عمري محاولا إسعادكِ... معوضكِ عن كل لحظة قضيتها شاردة هاربة لا تحملين هوية ولا تعرفين وطنا"

ارتجفت.. ارتجفت حتى العمق... ليس ألماً هذه المرة بل عشقاً حبا وسكينة وهي تهمس "ولكنك فعلت... إذ أنك وحدك هويتي ووطني يا آصف"

عندها فقط لم يجد آصف للكلام معنى... كفيه الكبيرتين حاوطت وجهها برقه متخللا شعرها الذي انسدل من حوله ثم انحنى دون تردد وقبلها بينما أغمضت هي عينيها

مسلمة لعاطفته العميقة... مؤمنة أنها وجدت المرسى أخيرا.

&&&&&&&&&&&

"الحب ليس شيئاً مادي يُكتسب... بل يولد معنا ويسكن بداخلنا وفقط يحتاج للشخص الصحيح ليأتي ويوقظه"

في المسرح الفني لمدينة جوتبرغ لم يقبل أن يجلس في الصفوف الأولى مع المتفرجين... بل كان يقف هناك بجانب ستار المسرح... يرتدي بذلته السوداء الأنيقة يعلوها معطف صوفي أسود ويلف حول عنقه شالا من نفس اللون... كان صورة حية لأناقة ورقي فطري... لا يبذل جهدا لإظهاره.

فناقض الصور البوهيمية الجمالية بشكل أخاذ لامرأته التي ترتدي فستان فضفاض طويل يصل حتى كاحليها مبهرج الألوان... مناقضة للفرقة الموسيقية الفخمة التي تعزف ورائها... لقد فعل شيئا جيدا معها شيئا يتفاخر به لنفسه... ولم يبدي الندم أبدا على تلك الفرصة التي سعى لها بكل قوته كهدية أخرى يقدمها لها لقبولها البقاء داخل قيوده التي رحبت بها بكل ما يعتمل في صدرها من عشق تجاهه.

لم يستطع في تلك اللحظة تفسير إحساسه كعادته معها بينما بأمر مايسترو الأوركسترا فرقة الموسيقية بالتوقف سامحا لتلك البوهيمية والمعجزة الفنية أن تسحرهم... لقد كانت صورة حية للسلام ،للحرية... لجميع الأصوات النسائية التي تحارب من أجل امتلاك حق المصير... منادية بآدميتها... عينيها مغمضتين بينما عيناه تبرقان بالمشاعر

التي تنتمي إليها وحدها... أناملها تلتف حول عصى الكمان مطلقه ألحانه بينما أنامله تحترق للمسها... ذراعها يحمل بكل حنان العالم آلتها الموسيقية بينما ذراعيه يحترقان يحاربانه علهما يصلان إليها وطفلتهما التي تتكور بداخلها وقد أوشكت على الخروج... جاعلة كل من ينظر إليها يشده انبهار وعينيه تتوسع بالدهشة.

لقد كانت تلمس بالكمان وتراً حساساً بداخل كل فرد يستمع إليها... تلحن وتحفز الكون من حولهم بنغمة آسره لا فكاك منها... غامضة مثيرة وفي الوقت ذاته واضحة وضوح الشمس... نغمات تطلقها لتنقل من يستمع أليها إلى عالم أخر خارج الحد الزمني... ليبدأ فقط القلب بالعد كأنما صرخة تريد أن تخرج مخترقة حدود الكون... لقد كان ببساطة يرتجف تأثرا... هل من المنطق أن تتحول النغمات الصوتية لشيءٍ ملموس عبقري يقيد الإنسان بسحر... سحر لا فكاك منه أبدا... لقد أصابت كل من استمع إليها بالابتهاج بالصفاء... بالصرخات ...وحتى ببكاء حاد للبعض منهم"

&&&&&&

عند انتهاء مقطوعتها لم تستطع أن تتبين هل دموعها التي تنزل مدرارا دموع الابتهاج... دموع النصر والنجاح... أم دموع الارتباك والخجل الشديد الذي أسرها فور رؤيتها جموع الناس التي وقفت تصفق لها بحرارة هاتفين بكلمات سويدية بمدى العبقرية والموهبة... حتى الفرقة الموسيقية خلفها اشتركت في هذا التصفيق الحار... ولكن عينيها لم ترى كل هذا بل كانت تبحث عنه وحده.

هي في تلك اللحظة تريد وطنها المتمثل فيه... أن يحتويها بقوة... تحمد الله فقط أن مايسترو الفرقة يفهم تخبطها

والذي منحها هذا الشرف... كما فهمت عندما أخضعها للتجربة أكثر من مرة أنه يملك علاقة ودية بآصف... آصفٍ غانم رجلها حبيبها، صديقها وأبيها حتى قبل أن يكون والدا لطفلتها... غمز الرجل بعينيه مشيرا لها نحو الباب خلف الستار... فلم تتردد وهي تحتضن الكمان خاصتها وتهرول ناحيته متجاوزة حتى حملها الثقيل بطفلتها...

كان يوشك على الخروج بالفعل من باب المسرح متجاوزاً بعض درجات السلم الرخامية فصرخت بكل ما يحمله قلبها من اضطراب واضعة كل توسلها الصامت أن يعود ليحتويها "آصف... كيف تجرؤ أن تتركني؟!"

التفت إليها متسمراً في مكانه بينما كل ملامحه تحمل الفخر والحب الذي لم يعد فؤادهٍ يتسع استيعابه.. .اندفعت نحوه ملقية نفسها... واثقة تماما أنه سيتلقاها... وقد فعل... ضمته بتشدد... فضمها هو أقوى وأقوى "أين كنت ستذهب وتتركني؟"

همس من فوق رأسها الذي كان يطبع عليه قُبلاته "أردت منحكِ المساحة لتحتفلي بنجاحكِ الذي حققتيه وحدكِ"

لم ترفع رأسها من على صدره الذي دفنت نفسها فيهٍ وهي تهمس "لا طعم لشيء بدونك... لا تتركني أبدا أبدا... أنا ألزمك بكل وعد أطلقته لي"

"ربما التزم عندما تكررين تلك الكلمة السحرية لي"

رفعت عينيها ليرى ربيعه الذي ازدهر فيهما بعد صقيع الجليد وحرب الخريف... وهمست بصدق وببساطة "أحبك... لطالما حبك كان يسكن بداخلي منذ مولديّ وكان يقبع هناك ينتظرك لتأتي لإخراجه"

&&&&&&&&&&&&&

بعد شهرين

كانت تحرك وركيها بصعوبة لليسار واليمين بينما ضحكتها تتعالى وهي تتراقص على نغمات تجبر جسدها الانثوي على القيام بتلك الحركات البهلوانية ليس رقصا احترافيا ولكن شيء يعبر عن كم السعادة التي أصبحت تغمرها ...سعادة ما كانت تتخيل يوما أن تعيشها ...سعادة وراحة نفسية كانت تخيفها ..إذ أنها لم تتعود أبدا على كل هذا المقدار من الفرح والأمان والاطمئنان كما تعيشها مع زوجها ..كم حققتها هي لنفسها وباختيارها الكامل.. لقد عرض عليها ماسيترو الفرقة الموسيقية التدريب والعمل معهم وهي ببساطة من رفضت رغم منح آصف لها الدعم وحتى التشجيع ..لقد أخبرها يومها أنها طالما تلتزم بشرائع مذهبها وإيمانها الذي منحها السكينة هو ليس لديه مانع ولكن هي من تعترض.. والسبب الوحيد صغيرتها التي أوشكت على الخروج ..ضمت بطنها العاري الذي يبرز من تحت قميصها القصير الذي يغطي جزئها العلوي.. وبنطالها الواسع ذو الخصر الهابط ..ثم همست "لا أريد لأي أمر أن يعطلني عن تواصلي معكِ واهتمامي بكِ ..حلمي يمكنه الانتظار ..أما موسيقاي سننميها أنا وأنتِ سويا .."

"وأين مكاني أنا من كل هذه الخطط؟"

توقفت رقصاتها بينما تستدير بين ذراعيه التي حاوطتها وبنعومة قطة ..تسرق قلبه وتثق في امتلاكها روحه كانت تقول "يمكننا أن نجد لك مكان بيننا ..إن أردت البقاء معي!"

عبس وهو يقول بجفاء "ما معنى هذا؟!"

قالت ضاحكة "اختبار آخر لحبك لي ..أو ربما استفزاز بغرض المزيد من الاعتراف "

"إذن لن تحصلي عليه"

تجهمت "لماذا!"

قال ببساطة مغيظة "لأنكِ تتلاعبين بغير إنصاف ..كما أني مثلكِ لا أحب الإجبار!"

تجهم وجهها بشدة وعقدت حاجبيها بغرابة وكأنها تستنكر شيء ما ..كفيها استندت على ساعديه تزيحه عنها وهي تقول من بين أسنانها "أعتقد أني لن أجادلك "

قال بقلق ملاحظ تغير هيئتها "ماذا هناك؟"

اغرورقت عينيها بالدموع والألم يتسارع بوتيرة فائقة وهي تقول "أعتقد أن كلام الطبيبة صحيح أنا ألد"

&&&&&

بعد عدة ساعات

"دعيني أذهب بكِ إلى المشفى أرجوكِ"

قالت من بين بكائها العنيف بينما تبعد يد الممرضة التي تمسح عن جبينها حبيبات العرق "لا لقد اتفقنا سألدها بطريقتي.."

كان متوتر كما لم تراه أبداً من قبل وهو يميل نحوها وقال "أنتِ تتألمين فوق ما توقعنا بحق الله دجينة.. استمعي لي"

أمسكت بيده بشدة تقول من بين أسنانها متحاملة على الألم الذي تشعر بها يشطرها ويحطمها كأنها ألواح من

زجاج "لا سألد ابنتي بالطريقة الطبيعية دون تدخل طبي ودون مسكنات يجب أن أشعر بها ...أنا أحتاج لمزيد من الارتباط لمزيد من طعم الألم حتى أتذكره دائما ..أرجوك أحتاج لدعمك لا خوفك!"

أناملة تخللت شعره الكثيف بعصبية بينما يرفع عينيها للطبيبة التي هزت كتفيها وهي تقول بالسويدية "لقد فعلت هذا عدة مرات.. لا تخف ستكون بخير!"

ابتلع آصف ريقه بينما يعود ينظر إلى الحوض البلاستيكي المخصص للولادة والذي كانوا قد جهزوه منذ شهر أو أكثر.. بعد طلبها الملح أن تشع ابنتهم بتلك الطريقة البوهيمية المجنونة ..ورغم استحسانه للأمر وتفهمه أسبابها ولكنه الآن بينما يراقبها تتألم وتصرخ عذابا ..بينما جسدها يتمدد في الماء داخل ذلك الحوض، يشعر بالرعب وكم المخاطرة التي يقدم عليها.

جسده العلوي كان يسند على حافة الحوض بينما هو يحتضنها من أسفل كتفيها ليساعدها على الاستقامة مدت أناملها تقبض على ساعديه بشدة وهي تصرخ بعذاب "آصف، هذا مؤلم افعل شيئا لا أستطيع "

كان يشعر بالعجز حقاً إذ أنهِ الأمر الوحيد الذي يجب أن تخوضه متحملة الألم كاملا وحدها، فكيف له أن يمنحها عون أو يمنعه كما تطلب..."

"امنحيها شيئاً!" قالها صارخاً.

فردت الطبيبة "لا أستطيع.. أنا هنا فقط لمتابعة عملية الولادة والتدخل وقت الطوارئ ..هي من طلبت هذا أتذكر!!"

"تباً ..لجنونكِ دجينة" قالها بالضعف بالعجز المختلط بالرعب..

لتزيد جنونه ضحكت من بين دموع الألم بينما تقول "فات أوان الندم أو التراجع.. قل ما تشاء!"

زمجر بخشونة بينما ينفضها بعيداً عنه يستوي سريعاً على ركبتيه "آصف" قالتها باستعطاف وصوتها بكائها يزداد تعثرا "أنتَ لن تتركني"!

خلع آصف قميصه ثم رفع ساقه ودخل إلى الحوض يرفع جسدها ثم جلس خلفها ذراعيه حاوطت جسدها جيدا وركبتيه احتوت ركبتيها ساقيه المفرودتين كانت تغطيان ساقيها كليا بينما يهمس بتحشرج جانب أذنها "تباً لكِ ..ولانعدام ثقتكِ يا لغط القلب"

كانت أنفاسها تتسارع وهي تتمسك بذراعيه التي تحتويها كليا بصدره الصلب الذي منح ظهرها السند المريح والحماية والأمان "أنتَ نبض قلبي آصف ..بل أنا أثق فيك أكثر من نفسي"

دقائق طويلة مرت بعدها بينما صراخها الذي يشتد فتطلقه متألم مذعور فيحتويه داخل صدره ضامها اليه اكثر فأكثر..

أظافرها تحفر ذراعيه فيقدمها لها بكل نفس راضية ربما يشعر ولو بجزء يسير من ألمها.. وجهها يلتفت تدفنه في صدره أسنانها تنغرس هناك مطلقة أناتها ..أنفاسها تتلاحق حتى تكاد تفقدها فيحاول هو رغم رعب الموقف أن يمسد على قلبها مدفئه ماسح على صدرها ربما يمنح رئتيها السكينة لتلتقط أنفاسها...

"أنا معكِ.. أشعر بكِ حبيبتي" يهمسها ربما تجد صدى فتمحنها قوة فتصرخ هي من بين أوجاعها "أنا احبك ..وأحب طفلتي"

كانت كل خلية في جسده مشدودة متوترة بينما يضغط على بطنها بلطف كما أخبرته الطبيبة "جيد ..كنت أنتظر أن تلقي كرهكِ في وجهي"

"ولماذا قد أكرهك وأنا على وشك الإنجاب منك"

قال بحيرة "هذا ما أعرف أن كل النساء تقوم به أثناء الولادة"

قالت من بين أنفاسها "تلك حماقة وتناقد.. كيف أكرهك وأنا آتي بطفلك للحياة ..أليس هذا أكبر دليل للحب؟!"

"ليس دائماً هناك نساء تأتي بأطفال لمجرد إكمال المسيرة"!

"مهلا للحظة.. هل نقوم بالنقاش بهذا بالفعل والآن"

ضحكت بينما تطلق صرخة الألم من داخل قلبها الذي كان يقفز حرفيا من قفصها الصدري "هذا جيد لقد قام بالهائك ..أشعر أنك من تتألم يا آصف وليس انا.. أاااااااااه"

ومع خروج تألمها الأخير كانت صرخة صغيرته لبرهة قبل أن تسقط في الماء الذي يرقد فيه كلا أبويها..

جسد دجينة في تلك للحظة ارتمى كليا.. صراختها تخرج متحشرجة.. ألقت بكل حملها على صدره بينما هو أزاحها قليلا وبسرعة على أحد جانبيه ثم مال يلتقط جسد صغيرته برهبة برعب ومشاعر مختلطة لم يستطع تفسيرها ..كان جسده كله يختض كفيه ترتعشان يقربها منه ببطء وتمهل وكأنه مشهد تصويري حتى اعتدل جسده بالكامل وأصبحت صغيرته تستلقي على صدر أمها التي رفعت ذراعيها بوهن تضمها اليها.. ثم

انفجرت في بكاء أعنف وأشد مما كانت تشعر به منذ ساعات..

حاوطهم آصف أخيراً بين ذراعيه جاعلها تشعر بجنتها داخل جنان حنانه وقلبه.. شفتيه تبتسم فمه يطبعٍ قبلات عميقة فوق رأس حبيبته ..بينما عيناه لم تفارق أبدا وجه صغيرته..

&&&&&&&&&

بعد ثلاث سنوات

"ماذا تفعل بابا؟"

قال بصبر"أُصلّي"

"لماذا؟"

سحبها لتجلس على ركبتيه بعد أن أنهى صلاته للتو "لأني أحتاج أن أكون دائما بين يديه وصلتي به لا تنقطع"

بفضولها المعتاد الذي يبرق من عينيها الكبيرتين "من هو بابا؟"

"رب العالمين... من خلقني وخلقكِ... ونظم الكون أجمع"

"وكيف فعل هذا؟"

عقد آصف حاجبيه بشدةٍ قبل أن يقول بالعربية "ألا تتفقين معي بأنكِ ثرثارة قليلا وفضولية بالنسبة لعمركِ"

ضيقت ما بين عينيها ثم قالت بتمرد لم يستعجبه "لا أفهم... هل تسخر مني بابا؟"

الأن توسعت عينيه ذهولاً وصدمة ثم انفجر ضاحكاً... متبينا سر الكلمة الجديدة التي التقطتها ابنته... إذ لا تملك أمها غيرها عندما يعجز قاموسها اللغوي عن إسعافها بإجابة ذكية خلال حواراتهم.

كانت ما زالت تنظر له بتلك الطريقة الفضولية الغير متنازلة وكأنها تنتظر منه توضيحا كما يفعل منذ أن كان عمرها مجردٍ أشهرٍ... ورغمٍ سخرية الجميع مما يفعل هو كان واثقا تماما ومؤمنا بمد جسور الحوار مع ابنته منذ نعومة أظافرها... ولا ينوي تغيير هذا أبدا.

"أين ماما (فليون)؟"

أشارت بكفها الصغير المدبب نحو الخارج "هناك"

وقف مرة واحدة برشاقة حاملاً صغيرته فوق كتفه يدغدها مداعبا وهو يقول مرحا "وأنتِ لماذا لا تبقين معها وتأتين لإزعاجي؟"

ضحكتها الطفولية انطلقت بينما تنطق ببساطة منطق أمها "لأني أحبك بابا"

خرج من باب المنزل أخيراً ووجدها هناك تجلس بين زهور "الادونيس" وككل مرة يتسمر سحرا أمام عزفها الأخاذ... تسلبه عقله تتلاعب بقلبه... تمنحه كل سكينة بحثت عنها يوماً ولم تبخل أن تشاركه فيها... أنزل صغيرته (فليون)

التي توجهت على الفور نحو بيت صغير خشبي يرقد به كلبها الصغير الذي أتى به لها كهدية في عيد ميلادها الأول.. بينما ألحان أمها تلفهم لفا بنغمة صافية سعيدة... تجلب الاستقرار العاطفي والراحة النفسية... جلس آصف مستويا على ساقيه يجذب رأسها بين يديه يطبع قبلة على جبهتها... ثم همس "أحبك"

ابتسمت شفتيها بجمال مانحة إياه عهدها وقلبها مسلمة إياه كل ما كانت تخشاه يوما عبر كلمة واحدة "أحبك"

اخفضت الكمان على الفور تضعه بجانبها.. ثم همست "هل يمكنك أن تقرأ لي كما وعدت!"

انخفض يتمدد بجانبها ثم جذبها ليمددها على ذراعه مطمئن للسور العالي الذي يحيط المنزل فلا يكشف نومتها تلك.. " كنت أريد أن أئمكِ في الصلاة اليوم لما لم تلحقيني!"

قالت بتبرم "أنت من تأخرت فسبقتك أنا ..وأيضا لأتهرب من (فليون) أصبحت فضولية وتسأل كثيرا وأنا لم أحصد رصيد جيد بعد لأجيبها"!

"فترسلينها لي" قال مستنكرا

انكمشت بين ذراعه وجذعه وهي تقول ضاحكة "أنت أفضل معلم حصلت عليه.."

أناملة داعبت خصلاتها بحنان بينما يقول بنبرة رخيمة "وأنت أفضل امرأة على وجه الأرض ومن حسن حظي أني حصلت عليك كزوجة لي"

عينيها كانت تنضحان بالراحة والسعادة وجهها مشرق الملامح وهي تقول "بل أنا من حصلت على كل شيء مع رجل مستعد أن يهز الدنيا وما فيها فقط ليمنحني السكينة"

"بل لأنه يحبكِ، ومازال قلبه ينبض بعشقكِ كأني أراكِ لأول مرة"!

"أقرأ لي"

قدمت كتاباً فالتقطه منها عارف تماما ما تطوق لسماعه وترغب في نقاشه ما زالت دجينة تتلمس طريقها تتعلم وتجاهد لتصل لمرساها.. تخطو ببطء ولكن خطوات منتظمة حثيثة ومتمهلة نحو هدفها ..الرضى الكامل نحو نفسها وعلاقتها الفريدة التي صنعتها بينها وبين خالقها!

تعالت ضحكات دجينة بينما هز هو رأسه يأساً وشفتيه تبتسم بينما عفريتته الصغيرة تندفع بقوة نحوهم تلقي جسدها الصغير لتندس بينهما "أحبكما عندما تتشاجران"

وبينما ينظر لعائلته الدافئة الصغيرة... داخله كان يبتهل إلى الله حمداً وشكراً.

وامتناناً واحداً يحمله في قلبه لمدرسة جلاء الوحشية التي منحته أكثر ما كان يحلم يوما.

&&&&&&&&&&&&

في مكان آخر وحكاية أخيرة أخرى...

"حريتك تنتهي عندما تبدأ حرية الآخرين ..كلمة يتردد صداها من حولنا ..ولكن دعني أخبرك أن حريتك المزعومة تلك تنتهي عند إيذاء نفسك واندفاعك بقوة نحو النار التي ستأكلك حياً دون رحمة..!

بالنهاية ليست كل الوجوه خادعة والأحكام ظالمة!!"

كانت تتجول بعينيها في أنحاء شقته المترفة والفخمة ..ورغم خدعة مظهرها.. كانت تبدو غامضة ..مخيفة وكأن أسراراً سوداء مظلمة تختفي بين جدرانها ..مثل صاحبها تماماً ..العقل والمنطق يخبرانها أن تهرب ملايين الأميال بعيداً عنه ..ولكن هي أبداً لن تفعل بل أتت تقتحم عرينه برغبتها الكاملة.. وليس هذا فحسب.. عندما رفض استقبالها قامت بتهديده بكشف ما عرفته عنه أمام جميع

الناس.. ابتسمت بتشفي.. بانتصار وزهو وهي تدرك أخيراً إحرازها نقطة بملعبه..!

شق ثغرها المكور بإغراء فطري شبح ابتسامة متهكمة قاطعة الصمت أخيراً وهي تقول "ألم أخبرك ..نستطيع التحدث كأي ناضجين، دون كل تلك الأفكار المنحطة التي تدور في عقل أي رجل عند خلوته بامرأة"

رفع رأسه يرمقها بحدة ..وكل عضلة في جسده كانت ترسل إليها ذبذبات غضب مكبوت مخبرها مقدار الجحيم الذي يعانيه وهو يجبر نفسه على تواجدها معه ..ثم قال بخشونة "أنتِ محقة ..لقد ربحتِ الجدال، وجهة نظر سليمة ما الضرر أن تأتي امرأة لزيارة رجل في جنح الليل، فقط ليتحدثا بتحضر"

حركت كتفيها المكشوفين من تحت فستانها ذو الحمالات الرفيعة ..ثم قالت بنبرة ناعمة منخفضة خاضعة كعادتها المنفرة لأذنيه!! "والآن هلّا دعوتني لمشروب أم ربما لعشاء ساحر من بين يديك"

غمزت بعينيها العسليتين الوقحتين قاصدة..!

مما جعله يزم شفتيه محاولاً كبح جلّ غضبه ..متوعداً بداخله أنها يجب أن تدفع الثمن ..

بينما ينظر هو لجلستها حيث تستريح على أريكته ..تضع ساق فوق أخرى ..جسدها المرسوم بإتقان ريشة فنان ..يظهر له بشكل وافي من ملابسها الكاسية العارية محركة غريزة أي رجل وشهوته ..وهو بالنهاية رجل ..رجل قرر بكل

اقتناع أن يلقنها درس في حريتها الخادعة.. يجعلها تظل عمرها كله تكفر عنه ولن تستطيع أبداً..

أومأ برأسه واجماً ثم انصرف نحو المطبخ لدقائق قبل أن يعود إليها بكأس بارد..

ناولها إياه مراقبها ترتشفه قطرة وراء أخرى ..تتحدث عن كل شيء وأي شيء وهو ظل على صمته دون أن يبادلها حديثها...

شعرت بعد دقائق بالدوار، انعدام القوة وبرغبة قوية بأن تلقي جسدها المثقل على أي فراش ..ولكن أبقت عينيها متيقظتين.. عقلها يعمل سريعاً ليدرك أن هناك شيء خاطئ.. تمتمت والذعر أخيراً يعرف طريقه ليطفو على ملامح وجهها "ما الذي قدمته لي؟!"

ابتسامة ذئبية شرسة ارتسمت على شفتيه التي لم تعرف المرح يوماً وهو يقف يقترب منها ببطء يديه تعمل سريعاً على فك أزرار قميصه ثم قال بصوت متوحش "شيء يساعدكِ على إجراء محادثة متحضرة ..في بيت رجل أعزب أتيتِ إليه بقدميكِ ليلاً ..مقدمة له نفسكِ وعينيه تستطيع اختراق حتى ما تستريه تحت ملابسكِ الداخلية!"

انتفضت عندما أمسكت يديه أخيراً بجسدها بعنف ..بيأس كانت تحاول أن تستعيد قوتها وصلابتها ..أو صرخة قوية تستجير بها فلم تجد لقد كانت مصدومة خائفة مذعورة كما لم تكن في حياتها قط وهي تتمتم مترجية متوسلة

إياه "دعني أذهب ..أرجوك لا تؤذني أنا لست كذلك أرجوك.. أرجوك"

بكاؤها يزداد عنفاً.. جسدها يختض بغريزة الدفاع رغم المخدر الذي تعمد وضعه لتخور قواها ..ولكن تبقيها متيقظة لقد أراد ورغب بشدة أن تعيش كل ما يحدث وهي واعية "أنت فاسقة لعينة دون أخلاق تستحقين كل ما يحدث لكِ.. فلا تدّعي الشرف أمامي الآن"

يداها استطاعت أن تتحرر من سجنها وكأن ما يكاد أن يسلبها إياه يجعلها تخترق كل قوانين الكيمياء والطب ..قاومته بعنف وصرخة ناحرة تخرج بالهواء.. غزال جريح وجد نفسه بين براثن ذئب مفترس لا يعرف الرحمة "أرجوك أرجوك.. أنت مخطئ أنا لست كذلك لم يقترب مني أحد قط.. أتوسلك الرحمة أرجوك"

توسلها المذعور بدل أن يجعله يترفق بها أطاح بصوابه متذكراً كل صورة لها ..بملابس خليعة بإغراء رغم فطريته لا تتهاون أبداً في استغلاله ليجعل كل أعين الرجال تنطرٍ لها بوقاحة.. تكاد تعريها ما يتبقى لها ليسترها ..ارتفع جاثماً فوق جسدها ..مقيداً معصميها فوق رأسها بيد واحدة ..بينما تقبض يده على مقدمة فستانها ممزقه مرة واحدة " أتساءل أحياناً ما الذنب الذي فعله والدكِ المحترم الملتزم ليبلى بابنة مثلكِ"

تعالت شهقاتها وتمنت بكل ما يعتمل بصدرها من قهر ذعر وخوف أن تموت في تلك اللحظة ألف مرة "أبي ..أبي أرجوك أنت تعرف أن أبي لا يستحق هذا.."

"ولكن أنتِ تستحقين ..وقوفكِ أمام باب منزلي مهددة إياي يستحق.. أنتِ لعبتِ مع الشخص الخطأ يا فاسقة"

عندما لمس شفتيها أخيراً ويديه الحيوانية تجتاحها دون رحمة ..علمت أنها فتحت أبواب الجحيم ..جحيم سقر سيلتهمها حية.. "هي ستدفع ثمن تلاعبها بشرف أسرتها تحت خدعة منظومة واهية"

تمت بحمد الله .

إلى اللقاء في الجزء الثالث والأخير من سلسلة "تمرد وحشي"

بداية الاقتباسات من النوفيلا كانت بتاريخ ٢٠١٨/٧/٢٨

بداية الكتابة يوم ٢٠١٨/١٠/٣٠

الانتهاء يوم ٢٠١٩/٣/٧

بداية التنزيل الإلكتروني ٢٠١٩/٣/١٢

تاريخ انتهاء النشر يوم ٢٠١٩/٤/٢

بشكر كل من تابع معايا النوفيلا

وبشكر من كل قلبي الجميلة رانيا حسني لتعبها في التدقيق والمراجعة الأكثر من رائعة شرفني بشدة العمل معك ..

وشكري الخاص لحبيبة قلبي رفيدة مناصرة للتصميم والتعبئة والأهم من دا كله لوجودها صديقة على المستوى الشخصي والإنساني ..

وشكر خاص جدا لقلبي الجميلة عبير الحياة يكفي وجودك معايا

وشكرى الأخير والدائم لحبيبتي ومناقشتي الهمامة بيرو معطى ..ومراجعتها النهائية للعمل ..

&&&&&&&&&&

دمتم بألف خير